رَغَباتُ النفسِ والجسَد



رَغَباتُ النفسِ والجسَد

أبو موسى الحريري

دار "لأجل المعرفة"
ديار عقل - لبنان
٢٠٠٠

سلسلة "الحقيقة الصعبة"

دار من أجل المعرفة، ديارعقل–لبنان. قياس (١٧×٢٤)

١) **قسّ ونبيّ**، بحث في نشأة الإسلام، أبو موسى الحريري، ١٩٩١، ٢٣٢ ص.

٢) **نبيّ الرحمة** ، بحث في مجتمع مكّة، أبو موسى الحريري، ١٩٨٥، ٢٠٨ ص.

٣) **عالم المعجزات** بحث في تاريخ القرآن، أ. موسى الحريري، ١٩٨٦، ٢٥٠ ص

٤) **أعربيٌّ هو؟** بحث في عروبة الإسلام، أبو موسى الحريري، ١٩٩٠، ٢٥٤ ص

٥) **العلويّون النّصَيريّون**، بحث في العقيدة والتاريخ، أ.م. الحريري، ٢٧٢ ص

٦) **بين العقل والنبيّ**، بحث في العقيدة الدرزيّة، أنور ياسين، ١٩٨١، ٤٦٤ ص.

٧) **رسائل الحكمة**، (كتاب الدروز المقدّس)، حمزة بن عليّ، إسمعيل التميمي، بهاء الدّين السّموقي، طبعة ٥، ١٩٨٦، ٨٦٤ صفحة.

٨) **مصادر العقيدة الدرزيّة**، حامد بن سيرين، ١٩٨٥، ٥٧٦ صفحة.

٩) **السلوك الدرزي**، أنور ياسين، ١٩٨٦، ٢١٨ صفحة.

١٠) **مذبحة الجبل**، (حسر اللّثام عن نكبات الشام، تاريخ الحرب الأهليّة الدامية في لبنان سنة ١٨٦٠)، شاهين مكاريوس، ١٩٨٣، ٣١٠ صفحات.

١١) **المسيحيّة في ميزان المسلمين**، (ردّ على كتاب "الإسلام والمسيحيّة في الميزان" لـ شريف محمّد هاشم)، أبو موسى الحريري، ١٩٨٩، ٢٥٦ ص.

١٢) **نَزَعنا القناع**، (ردّ على كتاب "أنزعوا قناع بولس عن وجه المسيح"، لـ أحمد زكي)، ١٩٩٧، ٣٦٠ ص

١٣) **رغبات النفس والجسد**. (ألحياة الجنسيّة في الإسلام)، أبو موسى الحريري، ٢٠٠٠، ٢٨٨ ص.

١٤) **موازين «الحقيقة الصعبة»**، (ردّ الحريري على ردود مسلمين)، ٢٠٠٠، ٢٣٦ صفحة.

وجاء فيه أيضاً: "قل. سبحان ربّي! هل كنتُ إلاّ بشراً رسولاً!"[٧]، فلماذا يحرم الناسُ النبيَّ، إذا، ممّا هم به يتمتّعون ويتنعّمون!!!

للرسل والنبيّين، في طبيعتهم البشريّة، ضعفٌ لا يُلامون عليه. إنّهم بشر لا ملائكة، ولا أنصاف آلهة: "قالت لهم رسلُهم: إنْ نحن إلاّ بشرٌ مثلكم"[٨]، و "ما هذا إلاّ بشرٌ مثلكم يأكلُ ممّا تأكلون منه"[٩]. وبقدر ما يظهر ضعف بشريتهم بقدر ذلك تبان النزغات الدنيويّة فيهم. هكذا تميّزت حياة النبيّ محمّد. ولكنّه، رغم شدّة أمياله وكثرة نسائه، استطاع، مع تفاوت أعمارهنّ، واختلاف أنماطهنّ، وتباين طبقاتهنّ، أن يصمد معهنّ صموداً عظيماً.

بل إنّ حياة النبيّ مع نسائه تتميّز بالحرارة والحركة والاستمتاع واحتمال الأعباء والضيق والاضطهاد. و "تاريخ الإسلام، على ما تقول بنت الشاطئ، يعترف لهؤلاء السيّدات الكريمات بأنهنّ كنّ دائماً، في حياة الرسول البطل، يصحبْنه، حين يخرج في معاركه ومغازيه، ويهيّئن له ما يُرضي بشريّتَه، ويُغذّي قلبَه، ويُمتّع وجدانَه، ويُجدّد نشاطَه. فكان له من ذلك كلّه ما أعانه على حمْل العبء الباهظ، واحتمال ما لقي في سبيل دعوته الخالدة"[١٠].وبسبب هؤلاء السّيّدات "عاش رسول الله ما عاش فتيَّ القلبِ حتّى بعد أن جاوز الستين"[١١].

ولو انّ أزواج النبيّ رأيْنَ فيه النبيَّ فقط لما تنافسنَ عليه، ولما غرنَ بعضهنّ من بعض، حتى تجاوزت الغيرة بينهنّ المدى. إلاّ أنّهنّ رأينَ فيه الرجل الرجل. ولذلك كان من الطبيعي أن تحتدم المنافسة، وتشتعل الغيرة، ويتآكلهنّ

---

(٧) سورة الإسراء ١٧/٩٣.
(٨) سورة إبراهيم ١٤/١١.
(٩) سورة المؤمنون ٢٣/٣٣.
(١٠) نساء النبيّ، ص ٢٠٤.
(١١) المرجع نفسه.

مقدّمة

ألكلامُ على الجنس عند النبيّ محمّد وفي الإسلام جزء من العلوم الدينيّة الإسلاميّة المألوفة. وممّا يلفت النظر في ذلك، ويستدعي الانتباه، ألكلامُ على نساء النّبيّ، أزواجه وسراياه، يتحدّث إليهنّ، ومعهنّ وعنهنّ؛ ويعالج مشاكلهنّ النسائيّة، ويفكّ عقدهنّ النفسيّة، ويواجه شؤونهنّ الجنسيّة؛ ويرسم حدود النكاح، ويوضح فوائدَه وآفاته، ويفصّل الموانع والمشقّات، ويتوسّع في أنواعه وأحكامه.. حتى تخطّى حدود هذه الدنيا إلى جنّات الخلود حيث حُورُ العِين والغلمان المخلّدون.

ولا يُدْهَشَنَّ القارىء من هذه الموضوعات، لأنّ الكلامَ على شهوات الرجال وعشقِهم النساء، ومعالجة مشاكلهنّ الجنسيّة لمّا يستهوي. والإسلا نفسُه شرّع لهذه الشهوات، وعالج هذه المشاكل؛ والقرآن نفسه، وهو كلام الل المنزل، أجاز النكاح الدائم بأربع، ونكاح المتعة المنقطع، ونكاح الإماء بما لا يـ وحياة رسول الله كلّها كانت مثالاً وقدوةً لهذا السلوك. وتعاليمُه أيضاً كا تدعو إلى النكاح وتحثُّ عليه. وهو القائل : "حُبّب إليّ من دنياكم ألنس والطَيب. وجُعلتْ قرّةُ عيني في الصلاة"، والقائل أيضاً: "مسكين.. مس رجلٌ لا زوجة له. مسكينة.. مسكينة امرأةٌ لا بعل لها".

وكما عُني الإسلام بالصلاة، وفرضَ لها الحدودَ والقيود، وأوجد المصلّين الطهارةَ والوضوء.. هكذا عُني أيضا بحياة الإنسان الجـ والعاطفيّة، وبالغ بعنايته بها، وبتحديد سننها، وضبط تفاصيلها. ورس

الحسد. وبسبب هذه، تقول بنت الشاطئ أيضا: إنّ " حـياة محمّد، في بيته، تبدو رائعةً في بشـريّتها. فـقد كان يؤثر أن يعـيش بين أزواجه رجلاً ذا قلب وعـاطفة ووجدان "(١٢)، من أن يعـيش نبيّـاً متـعلّقاً بالمـلكوت، بعيـداً عمّـا هو للناس في بشريّتهم من إرضاء شهوات قلبهم.

وكذلك أيضا، كمـا تقول السيّدة المرنيسي: "لم تكن الجماعـة الإسلاميّة الأولى بقيـادة رجلٍ مخنّثٍ، أو باردِ العاطفةِ الجنـسيّة، المنصرفِ بالكلّيّـة للبحث عن السلطة "(١٣)في؛ بل كانت بقيادة نبيّ أنعم اللّهُ عليه بكلّ شيءٍ.

وبالنتيجة، إنّ مبرّرات الكلام على حياة محـمّد الحميمة كثيرةٌ. أفلح فيها المسلمون وأبدعوا. وقد رأوا فيها تبريراً لسلوكهم هم. ولكن، هل هي الحقيقة؟ أم هي تمنّيات الرّاغبين في أن يكون النّبيّ على ما يشاؤون؟! ألأبحاث التالية توضح لنا بعض الشيء.

(١٢) المرجع نفسه.
(١٣) الحريم السياسي، مرجع ذكر، ص ١٣٠.



الفصل الثاني

رسولُ الله والمرأة

لم يكن النبيّ محمّد بدون شعور بالجمال وحبّ النساء. بل كان، في شعوره هذا، مميَّزاً، يتفوّق على الطباع العاديّة: فمنذ طفولته، مروراً بتنشئته، وتربيته العائليّة، وريعان شبابه، ورجولته، حتى يوم وفاته؛ في بيته الوالدي كما في صخب الحياة؛ في هدوئه كما في حروبه؛ في تعاليمه كما في سلوكه... في كلّ هذه، كان رسول الله غنيّاً، حسّاساً، شغوفاً ميّالاً إلى الجمال والنساء، منقاداً إلى طبعه البشريّ الصاخب.

ولم يكن المسلمون أنفسهم غافلين عن هذه الناحية البشريّة عند رسول الله. لقد كتبوا عنها المطوّلات، ودوّنوا دقائق الأمور، وعالجوا خوالج النفس الخفيّة، وتتبّعوا الأخبار والأحاديث، واستكشفوا نساءً ورجالا، وتوّسعوا في الشروحات والتفاسير، ورأوا لها ألف ألف مبرّر من السماء ومن الأرض.

أوّلاً – رسول الله والحرمان

ليس من ينكر عامل الحرمان العائلي في التأثير على طباع البشر. وبقدر ما يكون الحرمان كبيرا وشديدا، يكون أثره كبيرا وشديدا. وأشدّ الحرمان

حرمان العاطفة والحنان في مرحلة الطفولة والتنشـئة. وقد يتفاعل هذا الحرمان ويتعـاظم مدى الحياة إذا مـا تتابعت الظروف نفسُـها، ووجدتْ لها في المجـتمع تجاوباً. والنبيّ محـمّد ما كان على ما عـرفناه لو لم يكن حرمانه كبيـرا وشاملا. لقد ولد في بيـت، أقلّ ما يقال فـيه أنّه بيت حرمـان في كلّ شـيء ومن كلّ شـيء. وإلينا الدليل :

١. قضى والدُه، عبدالله بن عبد المطلب، وهولم يزل جنيناً.

٢. وقضت والدتُه، آمنة بنت وهب، وهو لا يزال طفلا رضيعاً.

٣. لم يكن له لا أخ ولا أخت. فحُرم من الحنان والعاطفة والعون.

٤. حُرم من المال الذي به تقوم الحياة. ولم يرث من أهله شيئا يُذكر.

٥. حُرم أيضـا من الصحّة الجسـديّة. فكان مصابا برَمَدٍ في عـينَيه، ذاك الوباء الصحراوي المنتشر. كما كان يحدث له نوبات وإرهاصات كان منها جزعا، وكان له مَن يرقيه.

٦. وفي صغره، قبل الثامنة، رعى الغنم في شعاب مكّة بالقراريط.

٧. وبعد موت والدَيه، تكفّل تربيتَه والعنايةَ به جدّه الذي ما برح أن فارق قبل أن يبلغ محمّد الثامنة.

٨. ثم كفلَه عـمُّه أبو طالب، أكثـرُ أعمامـه فقراً وعوزاً. وقـد كان يُسمِـعه مراراً هذا القول المرير: "يا ابنَ أخي! أنا رجل كثيـر العيال قليل المال".. فما كان من عمّه إلاّ أن يسعى ليدبّر ابن أخيه ليُزيل عنه الهمّ والغمّ.

٩. فتدبّرته خـديجة بنت خويلد، فعـمل عندها خافرا لقوافلهـا التجارية. فكان أمينا. يعمل لها بوفاء وإخلاص. ممّا زاد تعلّقهـا به، فرغبته زوجا لها، وهي سيّدته، وعائلته، وتكبره خـمس عشرة سنة، وهي امرأة لرجلين قبله، وأمّ أولاد، وسيّدة المال والجمال في قريش.

١٠. وما ساهم أيضا، في تنشئته الصعبة، تعرّفه على محرومين مثله. سمّاهم القرآن "أذلّة" و"أراذل" و"أرذلون"[١]، مقابل "الأعزّة" و"الملأ الأعلى" و"المترفين"[٢]... أولئك كانوا له عونا للقيام بثورة إجتماعيّة عنيفة في قلب مكّة، تلك المدينة التجاريّة المضطربة، المترقّبة حدثا ما يقلب فيها الأوضاع رأسا على عقب؛ وهؤلاء كانوا حافزاً لانقلاب في مجتمع مكّة.

هذا الحرمان، مع ما رافقه من نقمة فطريّة متمكّنة في نفس محمّد، لن يبقى حرمانا سلبياً أبداً. سينفجر سريعا، كسدٍّ محصور، أو كبركانٍ هائج. والدوافع كلّها جاهزة ومعدّة للقيام بعمل ثوريّ ما. ويبدو أنّ المجتمع في مكّة مهيّأ لمثل هذا العمل. والناس ينتظرون مثلَ هذا الحدث.

لكنّ هذه النتيجة الثوريّة لهذا الحرمان المحمّدي لا تعنينا الآن. لقد كُتب فيها الكثير... أمّا ما يعنينا الآن فهو أثر ذاك الحرمان على نفسيّة محمّد، وما فعله في مجتمع مكّة والحجاز والجزيرة العربيّة، التي شهدت غزوات الرسول وحروبه. هذه أولى نتائج الحرمان. أمّا النتيجة الثانية فكانت على حياة النبيّ الخاصّة، وسيرته، وزواجه، وتعدّد نسائه، وكثرة السبايا، وما رافق ذلك من معاناة سجّلها عليه المحدِّثون والإخباريّون.

وما سجّله المسلمون من حياة النبيّ الخاصّة يكفي للدلالة على هذا الحرمان، ولما ولّده هذا الحرمان في شخصيّته... كلام لا يُحصى يشير الى ذلك. ونساء عديدات دخلن البيت النبويّ، هنّ دليل واضح على شخصيّة نبويّة غنيّة عارمة بالجنس والعاطفة.

هذه الحياة، لو كانت عادية مألوفة، كما هي عند سائر الناس، لما استرعت

---

(١) أنظر سورة الشعراء ٢٦/ ١١١، وسورة هود ١١/ ٢٧، وأيضا:٣/ ١٢٣، ٥/ ٥٤، ٢٧/ ٣٤ و٣٧، ٦٣/ ٨...

(٢) أنظر القرآن: سورة المائدة ٥/ ٥٤، النمل ٢٧/ ٣٤، وأيضا:٣٧/ ٨، ٣٨/ ٦٩.. ٣٤/ ٣٤/، ٤٣/ ٢٣، ٥٦/ ٤٥، ١٧/ ١٦,٢٣/ ٦٤.

انتباهَنا وشغلت بالنا. إلاّ أنّها، وبدون شكّ، حياة غير عادية، وغير مألوفة، لا في حيـاة الناس العاديين، ولا في حياة النبـيّين؛ إلاّ ما شاء المسلمـون النظر إليه عند سليمان الحكيم...

ثانياً – دهشة رسول الله بالمرأة والجمال

لقد كثر الكلام، في كتب السير والأحاديث النبويّة، على دهشة رسول اللّه بالنســاء الجمـيـلات. وقد جـاءت هذه الدهشــة على ألسنة نســاء مقـرّبات منه، عرفهنّ، وزارهنّ، وقيّل عندهنّ، وتحدّث إليهنّ، وعُجب بهنّ، واحتمل تجربتهنّ.

حدّثنا أبو عمر قال : " قدمتِ الـفارعةُ بنتُ أبي الصلت على النبيّ بعد فتح الطائف. وكانت ذات لبٍّ وعفافٍ وجمال. وكان يُعجَبُ بهَا "[٣].

وكان قلبُه يسارع في الهوى لدى رؤيته امرأة ذات جمال، أو لدى ذكرها. وكان يتعذّبُ عندما تُذكر له امرأة تُعجبُه، بينه وبينها مانع ما للزواج منها. عن أمّ حبيبة، زوج النبيّ، قالت:

قلتُ: يا رسولَ اللّه !إنكَحْ أختيَ بنتَ أبي سفيان.

قال : وتحبّينَ ذلك؟!

قلت: نعم. لستُ بمُخليَةٍ. وأَحَبُّ مَن شاركني في الخير أختي.

فقال: إنّ ذلك لا يحلّ لي.

فـقلت: يا رسولَ اللّه! فـواللّهِ إنّا نتـحدّث إنّـك تريد أن تنكح درّةَ ابنةَ أبي سلَمَة[٤].

---

(٣) علي بن حجر العسقلاني، كتاب "الإصابة في تمييز الصحابة"، دار صادر، رقم ٨٢٤.

(٤) هي اخت زوجـه أمّ سلمـة. ولا تحلّ له بسـبب سنّة إلهـيّة فـي عدم الجـمع بين الأخـتين (أنظر سورة النساء ٤/ ٢٣).

فقال: ابنةَ أمّ سَلَمَة!!!

فقلت: نعم.

قال : فواللّهِ. لو لم تكن ربيبتي فـي حجري ما حَلّت لي. إنّها ابنة أخي من الرضـاعـة. أرضـعـتني وأبـا سَلَمَـة ثُوَيْبِـيَّـة. فَـلا تَعـرضْنَ عَلَـيَّ بَنَاتكُنَّ ولا أَخَواتِكُنَّ "(٥).

وعن زينب بنت أبي سَلَمَة، ربيبة رسـول اللّه، قالت: "كانت أمّي، إذا دخل رسول اللّه يـغتسل، تقـول: أدخلي عليه. فـإذا دخلتُ عليه نضحَ فـي وجهي من الماء. ويقـول: إرجِعِي "(٦). ومن المعلوم أنّ النبيّ، عـندما تزوّج أمَّ سَلَـمَة، كـانت زينب ترضع من أمّها. وقـد قيل عن جمالها، عندمـا أمست عجوزا كبـيرة، أنّه ما نقص من وجهها شيء. ولم يزل ماء الشباب في وجهها، حتى كبرت وعمرت(٧).

والوجه الحسن كـان دائما موضعَ إعجاب رسـول اللّه. وهو القائل عن أمّ رومان، إمـرأة صديقـه أبي بكر الصدّيق، وأمّ عائشـة زوجه الأحب؛ وقـد "كان يزورها ويقيل في بيـتها"، كـان يقول عنها: "مَـن سـرَّه أن ينظر إلى امرأة من الحور العِين، فلينظرْ إلى أمّ رومان". وعندما ماتت حزن عليها جدّا، حتى أنّه نزل قبـرَها واستغفـر لها قائلا: "أللّهـمّ! لم يَخفَ عليك ما لقيَتْ أمُّ رومـان فيك وفي رسولك "(٨).

وقد عـبّرت عائشـة عن دهشة رسول اللّه ببـعض النساء، ممّا كان يُثـير غَيرتَـها ويوقد نار فتنتـها. فأخبـرتنا فقالت: " استـأذنتْ هالةُ بنتُ خويلد أختُ

---

(٥) صحيح البخاري، كتاب النفقات ٧/ ٨٧.

(٦) ابن الأثيـر، أسد الـغابة في مـعـرفة الصـحـابة، دار الفكر، رقم ٦٩٥٨، ٦/ ١٣١-١٣٢. والإصابة، رقم ٤٨٤.

(٧) لمرجع نفسه.

(٨) أسد الغابة، رقم ٧٤٤٢، الإصابة، رقم ١٢٧١.

خديجة على رسول اللّه، فـعرَفَ استئذانَ خديجة. فـارتاع لذلك (أي تغيّر لونُه). وقال: ألّلهمَّ هـــالـــة!!! فَـغِرْتُ. فقلتُ: ما تذكر من عجوز مـن عجائز قريش حمراء الشِدقَين، هلكتْ في الدهر، وأبدلَكَ اللّهُ خيراً منها "(٩).

ولم يكن رسـول اللّه يتـورّع عن الخلوة بامرأة، مع إظهـار دهشـته بهـا، وحبّه الشديد لها. خلوة كهـذه ليست بدون خطر. عن أَنَس بن مالك قال: "جاءت امرأةٌ من الأنصار إلى النبيّ، فخلا بها. فقال: واللّهِ! إنّكُنَّ لأَحَبُّ النّاس إليّ "(١٠).

وعمق مـعرفة الرسول بالـنساء، وكثرة خـبرته بهنّ، جعله يسنّ قـاعدة لطريقة التـعرّف عليهنّ. فـحدّثَنا عن ذلك بعض الصحـابة المقرّبين، فقـال: "كان رسول اللّه يُرسل بعضَ النسوة ليعرفْنَ بعضَ ما يخـفى من العيوب، فيقول لها: "شِـمّي فمَـها. شِـمّي إبطَيـها. أنظـري إلى عرقـوبَيهـا "(١١). وفي رواية ثانية: "أنظري إلى عرقوبِها. وشمّي معـاطفَها (أي ناحيتَي العُنُق)". وفي رواية ثالثة: "شمّي عـوارضَهـا (أي الأسنان في عرض الفم، ومـا بين الأسنان والأضراس. والمراد رائحة الفم) "(١٢)

إنّ إعجاب النبيّ بالنساء يقابله، طبعاً، ميلُ النسـاء إلى النبيّ. والدهشة لم تكن من طرفٍ واحـد. ورغبـةُ النساء في النبيّ ظهـرت في حديثـهنّ معـه، وفي جوابه لهنّ عن كلّ ما يسألنَه، أو يحدث لهنّ، أو ما يشتكين منه.. وهذا باب واسع جدّا في كـتب السِيـر والأحاديث النبويّـة. وهو يدلّ على انفتاح رسـول اللّه على النساء، وميله إلى مساعدتهنّ في حلّ مشاكلهنّ، بدون عقد جنسيّة.

---

(٩) أسد الغابة، رقم ٧٣٢٤، الإصـابة، رقم ١٠٧٥، أنظر أيضا البخاري، باب فـضل خديجة، ٥/٤٨-٤٩. "حمـراء الشدقين"، كمـا في أسد الغابة: عـجوز كبـيرة جدّا، حـتى سقطت أسنانها من الكبر، ولم يبق لشدقها بياض شيء من الأسنان، إنما بقي فيه حمرة لثاتها".

(١٠) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب ما يجوز أن يخلو الرجل بالمرأة عند الناس، ٧/٤٨.

(١١) عن السيّد سابق في فقه السنّة، ٢/٣٠.

(١٢) المرجع نفسه.

كان لبعض النساء جرأة في سؤال النبيّ عن أمور نسائيّة. وكنّ يستحين من سؤاله. فكان النبيّ، كخبير وطبيب يعالج ويسدي النصائح، يشجّعهنّ، ويرفع عنهنّ الحياء والخجل. وهذا ما جرى بين الرسول وابنتَي يزيد. عن أمّ كَثير بنت يزيد، قالت: دخلتُ، أنا وأختي، على رسول الله، فقلت له: إنّ أختي تريد تسألك عن شيء وهي تستحي! قال: فلتسأل. فإنّ طلبَ العلم فريضة. قالت: فقلت له: إنّ لي ابناً يلعب بالحمام. فقال: أمَا أنّه لعبة المنافقين".

والصدفة تشاء أن يلتقي رسولُ اللّه بامرأةٍ خارجةٍ من الحمام، وهي خيرَة بنت أبي حَدْرَد أمّ الدرداء. عنها أخبرنا سهلٌ عن أبيه قال: "إنّه سمع أمّ الدرداء تقول: خرجتُ من الحمام فلقيَني رسولُ اللّه، فقال: من أين أقبلتِ يا أمّ الدرداء؟ فقلتُ: من الحمام. فقال: والذي نفسي بيده، ما منكنّ امرأةٌ تضعُ ثيابَها في بيت أحدٍ إلاّ وهي هاتكةٌ كلَّ سترٍ بينها وبين الرحمن عزّ وجلّ"[١٣].

وترغبُ أمُّ عطيّة الأنصاريّة أن تستشير النبيَّ في الخفاض (أي ختان النساء). فكان على رسول اللّه أن ينصحها قائلا: "أشِمّي ولا تحفي. فإنّه أسرى للوجه، وأحظى عند الزوج" (أي: لا تبالغي في القطع. ولا تستأصلي. فذلك أكشف. كأنّ المرأةَ، لمّا تخفض، يُسرَى عنها، فيظهر في وجهها)[١٤].

وفي رواية عن ماريّة، خادم النبيّ، ما يشير إلى تعاطف وانسجام كبيرين بينهما. قالت: "ما مسستُ بيدي شيئاً قط ألينَ من كفِّ رسول اللّه". وهي نفسها قدّمتْ نفسَها للنبيّ ليصعد على كتفيها فارًا من المشركين، فقالت: "تطأطأتُ للنبيّ حتى صعد حائطاً ليلةَ فرَّ من المشركين"[١٥].

والتعاطف إيّاه نجده بين النبيّ وليلى مولاة امرأته عائشة. قالت: "قلتُ:

---

(١٣) أسد الغابة، رقم ٧٥٦٧، الإصابة، رقم ١٤٦٥.

(١٤) أنظر أسد الغابة، رقم ٧٥٣٣، والإصابة، رقم ١٤١٦.

(١٥) أسد الغابة، رقم ٧٢٧٠، الإصابة، رقم ٩٨٦.

يا رسولَ اللّه! إنّكَ تخرجُ من الخَلاء، فأدخلُ في إثرك، فلا أرى شيئاً. إلاّ أنّي أجدُ ريحَ المسك! قال: إنّا معشرَ الأنبياء، بُنِيَتْ أجسادُنا على أرواح أهل الجنّة. فما خرج منّا من نَتنٍ ابتلعته الأرض "(١٦).

ونساء عديدات شربْنَ بَولَ رسول اللّه، وحدث لهنّ بسببه شفاء. عن أُمَيمَة بنت رُقَيقَة قالت: "كان للنبيّ قدحٌ من عيدان (من خشب) يبول فيه. يضعه تحت السرير. فجئتُ وشربتُ منه فشُفيت "(١٧). وكانت بَرَكَة الحبشيّة، مرضعةَ النبيّ، هي أيضاً شربت بول رسول اللّه(١٨).

ونساء كثيرات توضّأْنَ مع النبيّ في إناءٍ واحد، ولامستْ أيديهُنّ يدَه، وهو الذي كان يعلّم ويردّد بأنّه لا يصافح النساء قط. عن خولة بنت قيس الجهنيّة، قالت: "اختلفتْ يدي ويدُ رسول اللّه في إناء واحد. تعني الوضوء "(١٩).

وعندما جاءت النبيَّ نساء يعترضنَ عليه بسبب اهتمامه البالغ بالرجال دون النساء، كان جوابه لهنّ بأنّ "حسن تبعّلهنّ" لأزواجهنّ يكفيهنّ أجراً. عن أسماء بنتِ زيد، قالت: "إنّي رسولُ مَن ورائي من جماعةِ نساء المسلمين، كلُّهُنَّ يقلنَ قولي، وعلى مثل رأيي: إنّ اللّه تعالى بعثك إلى الرجال والنساء. فآمنّا بك واتّبعناك. ونحن معشرَ النساء، مقصوراتٌ، مخدرات، قواعد بيوت، ومواضع شهوات الرجال، وحاملات أولادهم. وإنّ الرجالَ فُضّلوا بالجمعات، وشهود الجنائز، والجهاد. وإذا خرجوا للجهاد حَفِظْنا لهم أموالَهم، وربّينا أولادَهم. أفنشاركُهم في الأجر، يا رسولَ اللّه؟!

---

(١٦) أنظر أسد الغابة، رقم ٧٢٦١، الإصابة، رقم ٩٧٦.

(١٧) عن أسد الغابة، رقم٦٧٣٢، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، للقرطبي، بهامش الإصابة، ٤/ ٩٨.

(١٨) أنظر: أسد الغابة، رقم ٦٧٦٣ و٧٣٦٣، والإصابة، رقم ٢٥٠، والاستيعاب، بهامش الإصابة، ٤/ ١٦٥.

(١٩) أسد الغابة، رقم ٦٨٨٩، الإصابة، رقم ٣٧٦.

فالتـفتَ رسولُ اللّه بوجهه الى أصـحابه، فقال: هل سـمعتم مقـالةَ امرأةٍ أحسنَ سـؤالاً عن دينها من هذه؟ فقـالوا: بلى واللّهِ يا رسولَ اللّهِ. فقـال رسولُ اللّه: إنصرفي يـا أسماء. وأعلِمي مَن وراءك من النسـاء: أنّ حسنَ تبـعّلِ إحداكنّ لزوجِـها، وطلبَـها لمرضـاته، واتّباعَـها لموافـقتـه، يعدلُ كلَّ مـا ذكرتِ للـرجال. فانصرفتْ أسماء وهي تهلّلُ وتكبّرُ استبشاراً بما قال لها رسول اللّه "[٢٠].

والحادثة نفسُـها جرت مع امرأة أخـرى إسمها سَلاَمَـة، حاضنة إبراهيم بن النبيّ. قالـت: يا رسولَ اللّه! إنّك تبشّـرُ الرجالَ بكل خـير، ولا تبشّـرُ النسـاء! قال: أصُوَيْحِبَاتُكِ دَسَسْنَك لهذا؟ قالت: أجل. هنّ أمرنَني. قال: ألا تَرضَى إحداكُنّ أنّها إذا كانت حامـلاً من زوجها، وهو عنها راضٍ، أنّ لها مثلَ أجـرِ الصائم القائم في سبيل اللّه عزّ وجلّ. وإذا أصابها الطلْقُ لم يعلمْ أهلُ السماء والأرض ما أُخفي لها من قرّة أعين.. "[٢١]

والمسلمـون أنفسـهم سجّلوا علـى رسول اللّه مـيلَه المفرط الى النسـاء. ودوّنوا عنه، في ذلـك، الأحـاديث المسندة. واعـتـبـروا النبـيَّ سنّ هذه الرغـبـة الطبيـعيّة من قِـبل اللّه نفسه. عن أنَـس بن مالك قال: جـاء ثلاثةُ رَهْطٍ إلى بيوت أزواج النبيّ يسـألـونهنّ عن عبادة النبيّ.. قـال أحدهم: أمّا أنا فـإنّي أصلّي الليلَ أبدا. وقـال الآخر: أنا أصـوم الدهرَ ولا أُفطِر. وقال آخـر: أنا أعتـزل النساء فـلا أتزوّجُ أبدا. فـجـاء رسولُ اللّـه فقـال: أنتم الذين قلتـم كذا وكـذا، أمـا واللّهِ أنّي لأخشـاكم للّه وأتقاكم له. لكنّي أصومُ. وأفطر. وأصلّي. وأرقـد. وأتزوّجُ النساء. فمَن رغب عن سُنّتي فليسَ منّي "[٢٢].

لقد كان رسـولُ اللّه يطبّق هذه "السنّة" ويتوسّع في ممارستـها. فرغب بالنسـاء. وعُجب بهنّ. ورعى الجـمالُ قلبَـه. وعدّد من النسـاء ما صـرّح اللّهُ به

---

(٢٠) أنظر أسد الغابة، رقم ٦٧١١، الإصابة، رقم ٥٨، الإستيعاب بهامش الإصابة، ٤/٢٣٧-٢٣٨.

(٢١) أسد الغابة، رقم ٦٩٩١.

(٢٢) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، ٧/٢.

منهنّ. هذه "السنّة الإلهيّة" لها ما يبرّرها في كتاب الله: أنّ الزوجة هي "سَكَنٌ" للرجل. بل هي "آية" من آيات الله. قال: "ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لِتَسْكُنُوا إلَيهَا" [٢٣]. إنها كالبيت الذي فيه يجد الرجلُ راحتَه وسكَنَه: "واللّهُ جعلَ لكم من بيوتكم سكَناً" [٢٤]. وإنّها كاللّيل الذي فيه الهدوء والسكينة: "هو الذي جعلَ لكم الليلَ لتسكنوا فيه" [٢٥].

لقد شعر رسولُ اللّه بهذه "السكينة" عندما كان يطوف كلّ ليلة على نسائه جميعهنّ؛ أو كان يقصد بعض النساء في بيوتهنّ، ويزورهنّ، ويتفقّدهنّ، ويقيل عندهنّ، ويستمع إلى شكاويهنّ، ويحلّ عقدهنّ الكثيرة، والتي ليس لها أحدٌ بمستواه. فهذه، مثلا، "ألشفاء بنتُ عبداللّه، كانت من عقلاء النساء وفضلائهنّ. وكان رسولُ اللّه يزورها. ويقيل عندها في بيتها. واتّخذت له فراشاً وإزاراً ينامُ فيه" [٢٦].

وأحاديث الرسول في جمال المرأة، وحسن وجهها، وصورتها، وبياض بشرتها، وشعر رأسها معبّرة عن رغبات قلبه. فكان يقول: "أفضل نساء أمّتي أصبحهنّ وجهاً" [٢٧]. ويقول: ألرجل الصالح مَن كان له "زوجة مؤمنة تُسرُّه إذا نظر إليها" [٢٨]. ويقول: "أطلبوا الخيرَ عند حسان الوجوه" [٢٩]. ويقول: "من سعادة الرجل أن يكشف الثوبَ عن امرأة بيضاء" [٣٠]. ويقول: "إذا أراد أحدُكم أن يتزوّج فليسأل عن شعرها كما يسأل عن وجهها. فإنّ الشعر أحدُ

---

(٢٣) سورة ٣٠/ ٢١. أنظر أيضا ٧/ ١٨٩.

(٢٤) ألقرآن، سورة ١٦/ ٨٠.

(٢٥) سورة ١٠/ ٦٧، أنظر : ٢٧/ ٨٦، ٢٨/ ٧٢...

(٢٦) أسد الغابة، رقم ٧٠٣٧، والإصابة، رقم ٦٢٢.

(٢٧) عن وسائل الشيعة، حديث ٨ من الباب ٥ من مقدّمات النكاح.

(٢٨) ألمرجع نفسه، حديث ١٠ باب ٩.

(٢٩) ألمرجع نفسه، حديث ٤ باب ٢١.

(٣٠) عن الإمام الرضا، حديث ١ باب ٢٠ من المرجع السابق.

الجَمَالَين "[٣١]... ذلك كلّه لأنّ " المرأة إنّما هي لعبة الرجل "[٣٢]، تشبع له رغباته الجنسيّة، وتُنسيه آلام الحياة ومتاعبها.

***

وفي الختام، إنّ ما أثبتناه في هذا الفصل يدلّ على ناحية من نواحي حياة رسول الله الخاصة: حرمان كان سببا رئيسيًا لمثل هذه الظاهرة النسائيّة العميقة في سلوكه، وتعاطف وانسجام تامّان ظهرا في سيرته ظهوراً بيّناً، وخبرة أدّت به إلى التعالي عن كلّ حياء أو خجل كان يمكن أن يكون بين النبيّ وبعض النساء..

هذه كلّها أدّت إلى أعظم، على ما سنرى في ما يلي.

---

(٣١) عن الأمام الرضا أيضا، حديث ٣ باب ٢١ من المرجع السابق.

(٣٢) حديث ١٠ من الباب ٧٢ من مقدّمات النكاح، في كتاب وسائل الشيعة.

الفصل الثالث

رسولُ اللهِ خبيرُ نساء

لرسول اللّه في أمور النساء خبرة ومعرفة. قد يجهلهما النساء أنفسهنّ. يبدو فيهما النبيّ عالما نسويّا متفوّقاً. فهو يعرف النساء في ميولهنّ، وشهواتهنّ، وتصرّفاتهنّ، وحياتهنّ الزوجيّة، وأعراضهنّ الصحّيّة، وحالاتهنّ الجسديّة، في حيضهنّ، وطمثهنّ، ونفاسهنّ، وعاداتهنّ، ومخاضهنّ، وعدّتهنّ، وأمورهنّ الجنسيّة كلّها...

من هذه الخبرة سوف نتعرّف على أمور: منها تفضيله البكر على الثّيّب، وعلمه في مسائل الحيض، وتفضيله المرأة التي تلد على التي لا تلد، ومنها كلامه على المداعبة، وعلى حقّ الزوج في أمور كثيرة، وعلى المرأة الأجنبيّة، والتطيّب، والوضوء، والغسل... وغير ذلك.

أوّلاً – أفضليّة البكر على الثّيّب

للبكر على الثّيّب، عند النبيّ، أفضليّة. فهو، مع أنّه لم يتزوّج، في حياته، غيرَ بكرٍ واحدة، هي عائشة بنت أبي بكر الصدّيق، ما برح ينصح أصحابه بالزواج من الأبكار. ويعطي في ذلك السبب. وقد عبّر عنه في مناسبات عديدة:

عن جابر بن عبداللّه قال: "... كنتُ حديثَ عهدٍ بعُرس. قال (النبيّ): بِكراً

أم ثيِّباً؟ قلتُ: ثيِّب. قال: فهلاّ جاريةً تلاعبها وتلاعبك، تضاحكها وتضاحكك"[١].
وعن جابر أيضا: "قال لي رسول الله: ما تزوّجتَ؟! فقلتُ: تزوّجتُ ثيِّباً. فقال: ما لك وللعذارى ولعابها!"[٢]

وعن الرسول هذه النصيحة، قال: "عليكم بالأبكار. فإنّهنّ أعذبُ أفواهاً، وأنتقُ أرحاماً (أي أكثرهنّ أولاداً)، وأسخن إقبالا (أي فروجا)، وأقلّ خبأ (أي خداعا)، وأرضى باليسير (أي من المال والجماع ونحوهما)[٣].

وفي سنّة النبيّ أنّ للبكر أيّاماً وليالِيَ أكثر من الثّيّب. عن أنَس بن مالك قال: "إذا تزوّج الرجلُ البكرَ على الثّيّب، أقام عندها سبعا، وقسم. وإذا تزوّج الثّيّبَ على البكر، أقام عندها ثلاثا ثم قسم"[٤]. يشرح صاحب التاج موضحا: "معنى ذلك، إذا تزوّج الرجلُ البكرَ، وعنده زوجة أخرى، فللبكر سبعُ ليالٍ بأيّامها. وإذا تزوّج الثّيّبَ، فلها ثلاثٌ فقط. وهذا واجبٌ لدفع الحشمة ولجلب الإلفة. واكتفى بثلاثٍ للثّيّب، لأنّها جرّبتِ الرجالَ، بخلاف البكر، فإنّها لا تزال في خدرها وحَيائها، فتحتاجُ إلى إمهالٍ وصبر. ولا تُحسَبُ أيّامُ العرس في القسمة، لأنّها منحة للزوجة الجديدة"[٥].

وعن أمّ سَلَمَة، إنّ رسول الله، لما تزوّجها، أقام عندها ثلاثاً. وقال: "إنّه ليس بكِ على أهلكِ هوان (أي: إحتقار بسبب الاقتصار على ثلاث ليالٍ، فإنّه حكم الله). وإن شئتُ سبّعتُ لكِ. وإن سبّعتُ لكِ سبّعتُ لنسائي (أي: إن زدتُكِ

---

(١) صحيح البخاري، كتاب النفقات، ٧/ ٨٥؛ أنظر ابن ماجة، رقم ١٨٦٠، الترمذي، رقم ١١٠٦.

(٢) صحيح البخاري، كتاب النفقات، ٧/ ٨٥، سنن ابن ماجة، رقم ١٨٦٠، سنن الترمذي، رقم ١١٠٦.

(٣) سنن إبن ماجة، رقم ١٨١١.

(٤) رواه الأربعة. أنظر حاشية التاج، ٢/ ٣٢٤، صحيح البخاري، كتاب النكاح، ٧/ ٣.

(٥) حاشية على التاج، ٢/ ٣٢٤.

حاسبتُكِ عليه)". وفي رواية تقـول: "ثلِّثْ ودُرْ على نسائك. فللبكر سبعٌ وللثّيّب ثلاثٌ"[٦].

ولرسول اللّه حكمةٌ في تصرّفه مع الأبكار تختلف عن حكمته في تصرّفه مع الثّيّـبات. قال: "لا تُنكَح الأيّمُ حـتى تُستأمَـر. ولا تُنكَح البكرُ حتى تُسـتأذَن. قالوا: يا رسولَ اللّه! وكيف إذنُها؟ قال: أن تسكتْ". وشـاءتْ عائشة أن تستفهم أكثر. فسألتِ النبيَّ، فقالت: "يا رسـولَ اللّه! إنّ البكرَ تَستحيي". قال: "رضاها صمتُها"[٧].

ثانياً - المرأة الولود

للمرأة الولود المنجبة عند رسول اللّه أفضليّة على المرأة العقيم التي لا تلد. ومع أنّ النبيَّ لم يُـرزق، في حـيـاته، ولدٌ إلاّ من امـرأة واحـدة، هي الأولى بين نسائه، خديجة بنت خويلد. ثم رُزق ولدٌ واحـدٌ من السريّة ماريّة القبطيّة. ألأولاد الذكـور، كلّهم، ماتوا صـغاراً في حـياته. ولم يـبق له منهم عقب يحـمل اسمَـه، ويكمّل رسالتَه.

لقد بقيت عنده حسرة عميقة على ذلك. تجلّت في مـحبته الفائقة لحفيدَيه الحـسن والحـسين إبنَي بنتـه فـاطمـة وعلي بن أبي طالب. وظهـرت إيضـا في تفـضيلـه المرأة الولود على غيـرها. وقـد ذكـر ذلك مرارا في أحـاديثـه. فقـال: "لَحَصيرٌ في ناحيـة البيت خيرٌ من امرأةٍ لا تلِد"[٨]. وقال أيضا: "خير نسائكم ألولود الودود". وقال: "سوداء ولود خير من حسناء لا تلد"[٩].

---

(٦) أنظر المرجع السابق نفسه.
(٧) صحيح البخاري، كتاب النكاح، ٧/٢٣.
(٨) عن إحياء علوم الدين للغزالي، ٢/٢٦.
(٩)عن المرجع نفسه.

ثالثاً – مسائل الحَيض

للرسول، في مسائل الحيض، معرفة واسعة. كم سأله نساء عنها! وكم أفتى لهنّ فيها! وميزة السؤال والإفتاء كانت الدقّة والصراحة. وتأتي أهميّة هذا الموضوع من أنّ الحيض، كما الأعمال الجنسيّة كلّها، هو من الموضوعات الهامّة في الإسلام. لهذا كثرت الأحاديث النبويّة فيه، وتعدّدت الإستفتاءات، واختلفت المناسبات، وتنوّعت الأجوبة. وأُفرد له في كتب الأحاديث النبويّة كتاب خاصّ، سُمّي "كتاب الحيض".

وقد ورد الكلام على الحيض في القرآن الكريم، حيث قال: "ويسألونَك عن الحَيْض. قلْ: هو أذىً. فاعتزلوا النساءَ في المحيض. ولا تقربوهُنّ حتى يَطهرنَ. فإذا تطهّرنَ فأتوهُنّ من حيث أمرَكم اللّهُ"[١٠]. ويفسّر النبيُّ: "هو أذى لهنّ وعليهنّ، لما فيه من المشقّة". وفي حديث نبوي أيضا: "مَن جامع امرأتَه وهي حائض، فخرجَ الولدُ مجذوما أو أبرص، فلا يلومنّ إلاّ نفسه"[١١].

لهذا "أجمع الأطباء في بقاع المعمورة، على حدّ قول كتاب تحفة العروس، على وجوب الابتعاد عن المرأة في هذه المدّة (مدّة الحيض)، كما نطق بذلك القرآن الكريم". ويعلّقُ صاحبُ الكتاب المذكور: "فيا لأعجاز القرآن العظيم!"[١٢]

ويبدأ "كتاب الحيض" بالكلام على بدء الحيض، حيث يقول النبيّ: "هذا شيءٌ كتبَه اللّهُ على بنات آدم"[١٣]. وكان رسولُ اللّه، في حال الحيض، "يأمر المؤمنين من الذكور بأن يأكلوا مع نسائهم ويشربوا معهنّ ويشاطروهنّ الفراش، وأن يفعلوا ما يريدون، ما عدا الجماع"[١٤].

---

(١٠) القرآن، سورة البقرة ٢/٢٢٢.

(١١) عن وسائل الشيعة، حديث ٣-١٠ من الباب ٢٤ من أبواب الحيض.

(١٢) تحفة العروس، ص ١٤٠.

(١٣) صحيح البخاري، كتاب الحيض، ١/٨١.

(١٤) أنظر سنن النسائي.

وروت أمّ ميمــونة، إحدى نساء النبيّ، قالت: "كــان يحصل أن يتلو النبيُّ القرآنَ، ورأسُه موضوع على ركـبةٍ واحدةٍ من بيننا والتي قد تكون في الحيض. وكان يحـصل أيضا لواحدةٍ من بيننا وهي تحـمل بساطا للصلاة وتفرشـــها في الجامع، في حين أنّها تكون في الحيض "[١٥].

وعن مـيمـونة أيضـا أنّ رسول اللّه كـان يبـاشر المرأة من نســائه وهي حائض إذا كان عليها إزار إلى أنصاف الفخذين أو الركبتين تحتجز به "[١٦].

وجاءت امرأة تسأل عائشة فقـالت: إحدانا تحيض وليس لها ولزوجها إلاّ فراش واحد. فقالت: أُخبركِ بما صنع رســول اللّه: دخل فمضى إلى مسجده فلم ينصرف حتى غلبتْني عيني وأوجعــه البرد. فقال: إدني منّي. فقلت: إنّي حائض. فقــال: وإنْ. إكشــفي عن فخــذيكِ. فكشفــتُ فخذي. فــوضع خدَّه وصـــدرَه على فخذَيَّ. وحنيتُ عليه حتّى دفئ ونام "[١٧].

وعن عائشــة أيضا قــالت: "كان النبيّ يُدني رأسَه إلــيّ وأنا حائض، وهو مجاور، فــأغسله وأرجّله "[١٨]. وعنها أيضــا قالت: "لقد كــان رسول اللّه يضـع رأسَه فــي حجري وأنا حــائض ويقرأ الـقرآن "[١٩]. وعنهــا أيضا قالــت: "كانت إحدانا، إذا حاضتْ، أمــرَها النبيُّ أن تأتزر بإزار. ثم يباشرها "[٢٠]. وعنها أيضا قالت: "كان رسول اللّه، إذا حِضتُ، يأمرُني أن أتّزرَ. ثم يباشرني "[٢١]. أو أيضـا: "كان رسولُ اللّه، إذا أراد من الحائض شيئــا، ألقى على فرجها ثوبا، ثم صنع ما أراد "[٢٢].

---

(١٥) أنظر المرجع نفسه.

(١٦) سنن ابي داود، رقم ٢٦٧.

(١٧) سنن أبي داود، رقم ٢٧٠.

(١٨) المرجع نفسه، رقم ٦٣٣.

(١٩) سنن أبي داود، رقم ٦٣٤. أنظر ابن ماجه أيضا.

(٢٠) سنن ابي داود، رقم ٦٣٦، وانظر أيضا ٦٣٥.

(٢١) سنن الترمذي، رقم ١٣٢.

(٢٢) عن سنن أبي داود والبيهقي.

غير أنّ عـائشة تُفتي غيـر ما كان يصنع الرسـول معها. فعن الـصحابي مسروق، لما دخل على عائشة، سـأل: إنّي أريد أن أسألكِ عن شيء وأنا أستحي!! فقالت: إنّما أنا أمّكَ وأنتَ ابني. فقال: ما للرجل من امرأته وهي حائض؟ قالت: له كلُّ شيء إلاّ فرجها " .

عن عائشة قالت: " خـرجنا لا نرى إلاّ الحج. فلما كنّا بسَرِف (مكان قرب مكّة)، حِضْتُ. فدخل عليَّ رسولُ اللّه وأنا أبـكي. قال: ما لكِ؟ أنُفِسْتِ؟ قلتُ: نعم. قال: إنّ هذا أمـرٌ كتـبه اللّه على بنات آدم. فـاقضي ما يَقـضي الحاجُّ غـير أن لا تطوفي بالبيت "[(٢٣)].

وعن عائشـة أيضا قالت: " قالت فـاطمةُ بنتُ أبي حُبـيش لرسول اللّه: يا رسولَ اللّه! إنّي لا أطهر. أفَـأدَعُ الصلاة؟ فقال رسول الـلّه: إنّما ذلك عِرق وليس بالحيضة. فـإذا أقبلت الحيضة فاتركي الصلاة. فـإذا ذهب قَدْرُها فاغسلي عنك الدم وصلّي "[(٢٤)].

وعن عائشـة أيضا أنّ امـرأةً من الأنصار قـالت للنبيّ: كيف أغـتسل من المحـيض؟ قال: خـذي فِـرصَةً مُـمَسَّكَـةً (أي قطعة من قطن لـها رائحـة المسك) فتوضّئي ثلاثا. ثم إنّ النبيّ استحيا فأعرض بوجهه "[(٢٥)].

وفي رواية ثانية، قال لها رسولُ اللّه: " خـذي فرصة من مسك فتطهري بها. قـالت: كيف أتطهّر بها؟ قـال: تطّهري بها. قـالت: كيف؟ قال: سبـحانَ اللّه! تطهّري. قالت عائشـة: فاجتذبتُها إليّ فقلتُ: تتبّعي إثر الدم. ثمّ إنّه صلّى اللّه عليه وسلّم استحيا. أو أعرض بوجهه حياءً " . أي، كما يعلّق السيّد محمد رشيد رضا، " منعه الحياء بأن يصرّح لها بوضع القطنة المطيّبة بالمسك في المكان الذي يخرج

---

(٢٣) صحيح البخاري، كتاب الحيض، ١/ ٨١.

(٢٤) صحيح البخاري، كتاب الحيض، باب الاستحاضة، ١/ ٨٤.

(٢٥)صحيح البخاري، كتاب الحيض، باب غسل المحيض، ١/ ٨٦.

منه الدمّ إتماما للطهـارة. فأخذتْها عائشــة وأفهمتْهـا المراد. والحديث في المسند والصحيحين وأكثر السنن "[٢٦].

وعن عائشة أنّ سهلـة بنت سهـيل استحـيضت فـأتت النبيّ فـأمرها أن تغتسل لكلّ صلاة. فـلما جهدها ذلك أمرها أن تجمع بين الظهـر والعصر بغسل، وبين المغرب والعشاء والآخرة بغسل. وتغتسل للصبح[٢٧].

وعن عائشة أيضا قالت: "دخلت أسماء بنتُ شَكَل على رسول اللّه، فقالت له: يا رسول اللّه! كيف تغتسل إحدانا إذا طهرت من الحيض؟"[٢٨].

وعن عائشــة أيضا: "أنّ بادية بنتَ غَـيلان أتت النبيَّ فقـالت: إنّي لا أقدر على الطهر. أفـأتركُ الصلاة؟ فقـال: ليست تلك بالحيـضة. إنّما ذلك عِـرق. فإذا ذهب قُرْءُ الحيض فارتفعي عن الدم، ثم اغتسلي وصلّي"[٢٩].

عن أمّ سلَمَة، زوج النّبيّ، قالت: "كنت مع رسول اللّـه في لحافه، فوجدتُ ما تجـد النساءُ من الحَيـضة. فانسللتُ من اللحـاف. فقال رســول الله: أنُفِسْتِ؟ قلتُ: وجدتُ مـا تجد النسـاء من الحيـضة. قال: ذلك مـا كتب اللّهُ على بناتِ آدم. قالـت: فانسللتُ فـأصلحتُ من شأني. ثم رجـعتُ. فقـال لي رسول اللّه: تعـالَي فادخلي معي في اللّحاف. قالت: فدخلتُ معه"[٣٠].

وعن معاوية عن أخـته أمّ حبيـبة، زوج النبيّ، قال: "سـألتـها: كيف كنتِ تصنعين مع رسول اللّه في الحيضة؟ قالت: انّ إحدانا، في فورِها أوّلَ ما تحيض، تشدُّ عليها إزارا إلى أنصاف فخذَيها. ثم تضطجع مع رسول اللّه"[٣١].

---

(٢٦) محمد رشيد رضا، حقوق النساء في الإسلام، ص ٦٣-٦٤.

(٢٧) أنظر: أسد الغابة، رقم ٧٠١٩، الإصابة، رقم ٥٩٥،

(٢٨) الإصابة، رقم ٤٥؛ أسد الغابة، رقم ٦٧٠٢. صحيح مسلم، كتاب الطهارة، ١/ ١٨٠.

(٢٩) أسد الغابة، رقم ٦٧٥٥؛ الإصابة، رقم ١٥٧.

(٣٠) سنن ابن ماجه، رقم ٦٣٧.

(٣١) المرجع نفسه، رقم ٦٣٨.

وعن عكرمــة عن بعض أزواج النـبيّ، "أنّ النبيّ، إذا أراد من الحــائض شيئا، ألقى على فرجها ثوبا "[٣٢].

عن فاطـمة عن أسمــاء " قالت: جـاءت امرأةٌ النبيَّ فـقالت: أرأيتَ إحـدانا تَحيضُ في الثـوب كيف تصنع؟ قال: تَحُتُّــهُ ثمّ تَقرِصُهُ بالماء وتَنْضَـحُهُ وتصلّي فيه "[٣٣].

عن أمّ سَلَمَة حـدّثتْ ابنتَها زينب قــالت: " بينا أنا مع النبيّ مضطجـعةً في خمـيصةٍ إذ حِضتُ، فــانسللتُ فأخذتُ ثيــابَ حيضتي. قــال: أنُفِسْتِ؟ قلتُ: نعم. فدعاني فاضطجعتُ معه في الخميلة "[٣٤].

وعن أسماء بنت أبــي بكر، أخت عائشة، قالت: " سـألــت امرأةٌ رسولَ اللّه، فقــالت: يا رسولَ اللّــه! أرأيتَ إحدانا إذا أصــاب ثوبَها الدمُ من الحــيضــة كيف تصنع؟ فقال رسول اللّه: إذا أصاب ثوبَ إحداكنّ الدمُ من الحــيضة فلتَقرصْه ثم لِتَنْضَحْهُ بماء ثم لتُصلّي فيه "[٣٥].

عن خولة بنت يســار قالت: " أتيت النبيَّ فقلت: إنّي امــرأةٌ أحيض. وليس عندي غــير ثوب واحــد. فلا أدري كـيف أصنع يا رســول اللّه! قال: إذا تطهّـرتِ فاغسلي ثوبَك. ثــم صلّي عليه. قلت: يا رسول اللّه! إنّي أرى أثرَ الدم فيــه. فقال: أغسليه. ولا يضرّك أثرُه "[٣٦].

وعن ســهلة بنت سعـد الساعـديّة: " ســألتُ رسولَ اللّه: يا رســولَ اللّه! أتغتسل إحدانا إذا احتلمتْ؟ قال: نعم. إذا رأتِ الماء "[٣٧].

---

(٣٢) سنن ابي داود، رقم ٢٧٢.

(٣٣) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب غسل الدم، ١/٦٦.

(٣٤) صحيح البخــاري، كتاب الحيض، باب من سمّى النفاس حـيضا ١/٨٢، وباب النوم مع الحائض ١/٨٨.

(٣٥) صحيح البخاري، كتاب الحيض، باب غسل دم الحيض، ١/ ٨٤.

(٣٦) أسد الغابة، رقم ٦٨٩١؛ الإصابة، رقم ٣٨١.

(٣٧) الإصابة، رقم ٥٩٤.

عن حَمْنَة بنتِ جحش أنّها استحيضت على عهد رسول اللّه، فأتت رسولَ اللّه فقالت: "إنّي استحضتُ حيضةً منكرة شديدة. قال لها: احتشي كُرْسُفاً (أي إحشيه قطنا). قالت له: إنّه أشدّ من ذلك. إنّي أثُجُّ ثَجّاً (أي يصب الدم صبا). قال: تَلَجَّمِي (أي إجعلي ثوباً كاللجام على موضع الدم) وتَحَيَّضِي (أي افعلي ما تفعله الحائض) في كل شهر في علم اللّه ستة أيّام أو سبعة أيّام. ثم اغتسلي غسلا.. "(٣٨).

عن أمّ قَيس بنتِ مِحْصَن قالت: "سألتُ رسولَ اللّه عن دم الحيض يصيب الثوبَ. قال: اغسليه بالماء والسِّدر. وحُكِّيهِ ولو بضلع (أي عود) "(٣٩).

وعن أم حبيبة بنت جحش، أخت زينب أمّ المؤمنين، أنها كانت تستحاض هي واختها حمنة. فـ" سألتْ رسولَ اللّه، فأمرها بالغسل عند كلّ صلاة "(٤٠).

وعن أم سَلَمَة، أمّ المؤمنين، قالت: "جاءت أم سُكَيم الى النبيّ فسألته عن المرأة ترى في منامها ما يرى الرجل؟ قال: نعم. إذا رأتِ الماءَ فلتغتسلْ (أي إذا رأت الماء ينزل منها). فقلتُ: فضحتِ النساءَ. وهل تحتلمُ المرأةُ؟ قال النبيّ: تَرِبَتْ يمينُكِ. فبمَ يُشبهها ولدُها إذا؟ "(٤١).

وعن خولة بنت حكيم قالت: "سألتُ النبيَّ فقلتُ: يا رسولَ اللّه! ألمرأة ترى في المنام ما يرى الرجل! قال: إذا رأتْ ذلك فلتغتسل "(٤٢).

وجاءت أسماء بنتُ مرشدة الى رسول اللّه، فقالت: "يا رسولَ اللّه! إنّي حدثتْ لي حيضةٌ لم أكن أحيضها. قال: وما هي؟ قالت: أمكث ثلاثا أو أربعا بعد

---

(٣٨) سنن ابن ماجة، رقم ٦٢٧، ١/٢٠٥.
(٣٩) المرجع نفسه، رقم ٦٢٨.
(٤٠) أسد الغابة، رقم ٧٤٠٠، الإصابة، رقم ١٢١٠.
(٤١) سنن ابن ماجة، رقم ٦٠٠، ١/١٩٧.
(٤٢) أسد الغابة، رقم ٦٨٨٠.

أن أطهـر، ثمّ تراجعني، فـتحـرم عليّ الصلاة. فـقال رسـول اللّه: إذا رأيتِ ذلك فامكثي ثلاثا ثمّ تطّهري وصلّي "(٤٣).

عن رضـوى بنت كعب قـالت: سـألتُ النبيَّ عن الحـائض تختـضب (أي تحيض)، فقال: ما بذلك بأس "(٤٤).

كلُّ هذه الأحـاديث، إنْ دلّـتْ على شيء، فـعلى خـبـرة رسـول اللّه بموضوعات النساء، وأحوالهنّ العـاطفيّة، وحياتهنّ الجنسيّة، ومعرفتـه العميقة لكلّ ما يحدث لهنّ من طوارئ.

رابعاً- المرأة الأجنبيّة

للنبيّ من المرأة الأجنبيّـة موقفٌ حذرٌ جـدّاً. هذه المرأة خطرة على الرجال، وبنوع خاصّ، عندما يكون زوجها غائبـا عن المنزل. عن عقبة بن عمّار عن النبيّ، قال: "إيّاكم والـدخول على النساء. فـقال رجلٌ: يا رسـولَ اللّه! أفَرَأيتَ الحَـمْوَ؟ قال: ألحَمْـوُ الموتُ". ويفسّرُ صاحبُ التاج هذا القول: "ألحـمو هو قريب الزوج. فهو كالموت في عِظم الضرر تحت ستار أنّه قريب الزوج، كأخيه وابن عمّه "(٤٥).

وعن جابر عن النبيّ قـال: "لا تَلِجوا على المُغِيْبَات (أي النسوة في غيـبة أزواجـهنّ)، فإنّ الشـيطان يجـري من أحـدكم مجـرى الدم. قلنا: ومنك!؟ قـال: ومنّي. ولكنّ اللّهَ أعانني عليه فأسْلَمُ" (أسلمُ من فتنته)(٤٦).

وقال رسـول اللّه: "لا يَخْلُدَنَّ رجلٌ بامـرأةٍ إلاّ كان ثالثهم الـشيطان "(٤٧). وقال أيضا: "ما خلا رجلٌ بامـرأةٍ إلاّ همّتْ به وهمَّ بها. قالوا: أوَلَو كانا صالحَين

---

(٤٣) أسد الغابة، رقم ٦٧٠٨، الإصابة، رقم ٥٦.

(٤٤) أسد الغابة، رقم ٦٩١٥، الإصابة، رقم ٤٢٠.

(٤٥) رواه الشيخان والترمذي.

(٤٦) أنظر التاج، ٢/ ٣٢٩-٣٣١.

(٤٧) رواه الترمذي.

يا رسولَ اللّه! قال: ولو كانا مريمَ بنت عمران ويحيى بن زكريّا "[٤٨].

وحذّر الرسولُ أيضا: "إيّاكم والخلوة بالنساء. والذي نفسي بيده، ما خلا رجلٌ بامرأةٍ إلاّ دخلَ الشيطانُ بينهما. ولأَنْ يزحمُ رجلاً خنزيرٌ ما لطخ بطينٍ أو حمأةٍ خيرٌ له من أن يزحمَ منكبُه منكبَ امرأةٍ لا تحلُّ له "[٤٩].

وعن جابر أنّ رسول اللّه رأى امـرأةً، فأتى امرأتَه زينب، فقضى حاجتَه، ثم خرج إلى أصحابه، فقال: "إنّ المرأةَ تُقبل في صورة شيطان، وتُدبر في صورة شيطان. فإذا رأى أحدُكم امرأةً فأعجبتْه فليأتِ أهلَه. فإنّ ذلك يَرُدُّ ما في نفسه (من شرّ) ". وفي رواية ثانية: "إذا أحدُكم أعجبتْه امرأةٌ فوقعتْ في قلبه، فليعمدْ إلى امرأته فليواقعْها. فإنّ ذلك يَرُدُّ ما في نفسه "[٥٠].

وعن النبيّ قوله لعليّ بن أبي طالب: "يا عليّ! لا تتبع النظرة النظرة، فإنّ لك الأولى، وليست لك الآخرة "[٥١]. وعن أبي هريرة أنّ النبيّ قال: "ألعين تزني وزناها النظر "[٥٢].وعنه أيضا قال: "ألا لا يبيتَنَّ رجلٌ عند امرأة ثيّب إلاّ أن يكون ناكحا أو ذا مَحرَمٍ "[٥٣].

هذا السلوك النبويّ مع المرأة الأجنبيّة يوجّهه تعليمٌ إلهيّ ورد في القرآن، حيث قال: " قل للمؤمنين يغضّوا من أبصارهم، ويحفظوا فروجَهم. ذلك أزكى لهم. إنّ اللّهَ خبيرٌ بما يصنعون. وقل للمؤمنات يغضضنَ من أبصارهنّ، ويحفظنَ فروجَهنّ "[٥٤].

---

(٤٨) عن كتاب "المرأة في الإسلام"، ص ٤٠.
(٤٩) صحيح البخاري، ومسلم، وسنن الترمذي، عن المرأة في الإسلام، ص ٣٩.
(٥٠) ألتاج، ٢/ ٣٣١، ألترمذي، رقم ١٦٦٨.
(٥١) رواه أبو داود والترمذي. أنظر التاج ٢/ ٣٣١.
(٥٢) عن كتاب "من تربية القرآن"، ص ٢٦٢.
(٥٣) رواه مسلم.
(٥٤) سورة النور ٢٤/ ٣٠-٣١.

خامساً – العدل بين النساء

مسألة صعبة التطبيق. حذّر الوحي منها حيث قال: " ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم. فلا تميلوا كلّ الميل، فَتَذَرُوها كالمعلّقة. وإن تُصلحوا وتتّقوا اللّه، فإنّ اللّهَ كان غفورا رحيما "(٥٥).

وتناول رسولُ اللّه هذه المسألة الصعبة في أحاديث كثيرة، وبطرق صحيحة. فعن أبي هُريرة عن النبيّ قال: "مَن كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما، جاء يوم القيامة وشِقُّهُ مائل "(٥٦). وسوف نرى، في فصل لاحق، كيف كان رسولُ اللّه عادلاً بين نسائه.

سادساً – حقّ الزوج على الزوجة

حقّ الزوج على المرأة مطلق. هذا واضح في القرآن وفي كلام رسول اللّه. جاء في القرآن: "ألرجال قوّامون على النساء بما فضّل اللّه بعضهم على بعض، وبما أنفقوا من أموالهم "(٥٧). ويفسّر صاحب التاج ذلك بقوله: "أي الرجال مهيمنون على النساء لفضلهم عليهنّ بالعقل، والدين، والرأي، والإنفاق عليهنّ "(٥٨).

وعند الغزالي، "ألنكاح نوع رِقّ. فهي (أي الزوجة) رقيقة له (أي للرجل). فعليها طاعة الزوج مطلقا "(٥٩). وينقل الغزالي أحاديث عديدة في هذا الموضوع. عن عبّاس عن رسول الله قال: "إنّ من حقّ الزوج على الزوجة، إذا أرادها فراودها عن نفسها وهي على ظهر بعير، فلا تمنعه". مثله: "إذا الرجل

---

(٥٥) سورة النساء ٤/ ١٢٩.
(٥٦) رواه معظم أصحاب السنن
(٥٧) سورة النساء ٤/ ٣٤.
(٥٨) حاشية على التاج، ٢/ ٣١٣.
(٥٩) ألغزالي، إحياء علوم الدين، ٢/ ٥٦.

دعا زوجتَه لحاجته فلتأته وإن كانت على التنّور". وجاء أيضا: "قال رسول الله: لو أمرتُ أحداً أن يسجدَ لأمرتُ المرأةَ أن تسجدَ لزوجها من عظم حقّه عليها"(٦٠).

وفي هذا الموضوع أيضا، ورد على لسان النبيّ قوله: "لا يحلّ لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلاّ بإذنه. ولا تأذن في بيته إلاّ بإذنه". معنى ذلك: "لا يصحّ أن تصوم وزوجها حاضر. ولا تستطيع أن تأذن لأحد في دخول بيته مطلقا إلاّ بإذنه".

وعن أبي هُريرة عن النبيّ قال: "إذا دعا الرجل امرأتَه إلى فراشه فأبتْ أن تجيء لعنتها الملائكة حتى تُصبح". وعن أمّ سَلَمَة عن النبيّ: "أيّما امرأة ماتت وزوجها عنها راضٍ دخلت الجنّة"(٦١).

سابعاً - في رضاع الكبير

روى صاحبا الإصابة والاستيعاب، فقالا: إنّ امرأة أبي حُذيفة، سهلة بنت سهيل، ذكرت، لرسول الله، دخولَ سالم، مولى زوجها، عليها، فأمرها رسول الله أن ترضعَه. فأرضعتْهُ. وهو رجل كبير قد شهد معركة بدر... ومن ثمّ كان يدخل عليها وهي حاسر، وذلك رخصة من رسول الله لها(٦٢).

على هذا الحدث يعلّق الدكتور فرج فوده قائلا: موجز هذا الحدث "أنّ الرسول قد سمح لزوجة أبي حذيفة أن تُرضعَ سالماً مولى أبي حذيفة، وهو رجلٌ كبيرٌ، عدّةَ رضعاتٍ مشبِعات، حتى يُصبحَ ابنَها من الرضاع، فيدخلُ عليها، ولا يغضبُ أبو حذيفة، أو يشعر بالغَيرة على زوجته..

(٦٠) رواه الترمذي وابو داود وابن ماجه؛ أنظر إحياء علوم الدين ٢/٥٧.

(٦١) رواه الترمذي والحاكم.

(٦٢) أنظر الإصابة، رقم ٥٩٥، وأسد الغابة، رقم ٧٠١٨.

" والسيّـدة عائشة كانت تأخـذُ بهذه الرخصـة. وإنهـا كانت، إذا أرادتْ أن يدخلَ عليها رجلٌ، أمرتْ بنات إخوتهـا، أو بنات أخواتها، أن يُرضـعْنَه، ثمّ يُدخلنَه عليـهـا بعـد ذلك. ويذكـرُ الحـديثُ أنّهـا لم تأبه باعـتـراض زوجـات الرسـول واعتقادهنّ أن تلك كانت رخصةً لسالم وحده، ولا تنصرف إلى غيره "(٦٣).

ثامناً – نكاح السبايا

لقد حلّل رسـولُ اللّه نكاح السبـايا، حتى ولو كنّ كـافرات، وكان مـعهنّ أزواجُـهُنَّ . وذلك من كلام اللّـه في الآية: " والمُحْصناتُ من الـنساء إلاّ مـا ملكتْ أيمانُكم "(٦٤). وفسّر صـاحب التاج موضحـا: " إنّ سبيَ الكافرةِ يَفسخُ نـكاحَها، ولو سُبيَ معها زوجُها الكافر "(٦٥).

ويوضح كـتّاب الحديث بأنّ هـؤلاء السبايا هنّ لـلمسلمين حـلال، شرط انقضـاء عدّتهنّ، وذلك لئلاّ تختلـط الأنساب. عن أبي سـعيـد عن النبيّ، قال: " لا يحلّ لامرئ يؤمن باللّه واليوم الآخر أن يقعَ على امرأةٍ من السبي حتى يستبرِئها بحيضة "(٦٦).

تاسعاً – الإعادة بعد الطلاق

في تعاليم الوحي والرسول أنّ المرأة، إذا ما طُلّقَتْ، لا يحلُّ لها الرجوع إلى زوجها الأوّل، قبل أن تتـزوّج برجل آخر، و" تذوق عُسَيْلَتَهُ " . والعُسـيلة تصغير عَسْلَة، أي قطعة من العسل، تشبيهاً للذّة الجماع بلذّة العسل. معنى ذلك: لا تعود المرأةُ إلى زوجها، بعد طلاقها، حتى يجامعَها رجلٌ آخر جماعا صحيحا(٦٧).

---

(٦٣) د. فرج فوده، المتعة، ص ٤٢-٤٣.

(٦٤) سورة النساء ٤/ ٢٤.

(٦٥) التاج ٢/٣١٢.

(٦٦) رواه ابو داود والترمذي بسند حسن وصالح.

(٦٧) إنظر حاشية التاج، ٢/٣٤٣.

جاء في كتاب الإصابة: "جاءت الرميضاء إلى رسول اللّه تشكو زوجها، وتزعم أنّه لا يصلُ إليها. فما كان إلاّ يسيراً حتى جاء زوجها، فزعم أنّها كاذبة، ولكنّها تريد أن ترجِع إلى زوجها الأوّل. فقال لها رسولُ اللّه: ليس لكِ ذلك حتى تذوقي عُسَيْلَةَ رجلٍ آخر غيره"[٦٨].

عاشراً – تطيّب النساء

للنبيّ رأي في "الطيب". وهو ليس في صالح المرأة أبدا، رغم أنّه كان يحبّ الطيب حبّه للنساء. وقد جاء ذلك في حديث شهير، قال: "حُبّب إليّ من دنياكم النساء والطيب". ورغب إلى المرأة، وهي مع زوجها، "أن تتطيّب بأطيب طيبها. وتلبس أحسنَ ثيابها. وتتزيّن بأحسن زينتها. وتعرض نفسَها عليه غدوةً وعشيّة"[٦٩].

غير أنّ هذا الطيب هو، في معظم الأحيان، فتنة وشرّ. لقد قال النبيّ: "المرأة، إذا استعطرت، ومرّت بالمجلس، فهي كذلك، يعني زانية"[٧٠]. وقال أيضا: "أيما امرأة استعطرت، ثمّ خرجت، فمرّت على قومٍ ليجدوا ريحَها، فهي زانية. وكلّ عين زانية"[٧١].

وعن الإمام جعفر الصادق قوله في العطر: "أيّما امرأة تتطيّبُ لغير زوجها لم يقبل اللّهُ منها صلاة حتى تغتسل من طيبها كما تغتسل من الجنابة"[٧٢].

---

(٦٨) ألإصابة، رقم ٤٤٢، و٨١٠، أسد الغابة، رقم ٦٩٣٢. ألحديث رواه الخمسة.

(٦٩) عن وسائل الشيعة، ٧٩ من مقدّمات النكاح، الأحاديث ١و٢و٣ عن بحر العلوم، ص ١٨٧.

(٧٠) رواه الترمذي في باب "ما جاء في كراهيّة خروج المتعطّرة".

(٧١) انظر سنن النسائي، ومسند ابن حنبل، عن كتاب "من تربية القرآن"، ص ٢٥٨.

(٧٢) عن كتاب وسائل الشيعة، حديث ١ باب ٨٠ من مقدّمات النكاح.

وشــرح ذلك صاحب كـتاب الحـجاب، ألداعي أبو الأعلى المودودي، قــال: "الطيب رسولٌ من نفس شريرة إلى نفس شريرة أخرى...والحياء الإسلامي لا يسمَح للمرأة المسلمة أن تمرّ بالطريق، أو تغشى المجـالسَ مستعطرةً، لأنّها، وإن استتر جمالُها وزينتها، ينتشرُ عطرُها في الجوّ، ويحرّك العواطف "[٧٣].

أحد عشر – ألزوج العجوز

للنبيّ حلّ لتلك المرأة التي تمنّعت عن زوجهـا الشيخ الذي يريدها. ثم نزل الوحي يدعم حلَّ رسولِ اللّه:

لقد جـاء في كتاب الإصــابة عن خولة بنت ثعلبــة، قالت: "كنتُ عنده (أي عند زوجها)، وكان شيخا كبيـرا، قد ساء خلقُه. دخل عليّ يوما، فراجعتُه بشـيء. فغضب.

وقال: أنتِ عليّ كظهر أمّي[٧٤]. ثمّ خرج فجلس في نادي قـومه ساعةً. ثم دخل عليّ. فإذا هو يُريدُني.

فـقلت: كلاّ. والذي نفـسي بيـده، لا تخلص إليّ وقـد قلتَ ما قلت، حـتى يحكم اللّهُ ورسولُه فينا.

قالت: فواثبني. فـامتنعتُ منه. فغلبتُه بما تغلبُ به المرأةُ الشـيخَ الضعيف. فألقيتُه عنّي. ثمّ خرجتُ حتى جِـئت رسولَ اللّه. فجلستُ بين يديه. فذكرتُ له ما لقيتُ منه.

فجعل رسولُ اللّه يقول: يا خُويلةَ! إبنُ عمِّكِ شيخٌ كبيرٌ فاتّقي اللّهَ فيه.

قالت: فواللّهِ! مــا برحتُ حتى نزل فيّ القرآنُ، فتغشّى رســولَ اللّه ما كان يتغشّاه. ثمّ سُرّي عنه.

---

(٧٣) أبو الأعلى المودودي، ألحجاب، ص ٣١٩، وكتاب تحفة العروس، ص ٣٦٤.
(٧٤) مبدأ "الظهار"، وهو اعتبار الرجل امرأتَه كظهر أمّه. أي هي عليه حرام كأمّه.

فقــال: يا خويلةً! قد أنزل اللّهُ فيـك وفي صاحبك. ثم قرأ عليّ: " قــد سمِعَ اللّهُ قولَ التي تُجـادلُكَ في زوجِها وتشــتكي إلى اللّه. واللّهُ يَسمعُ تحاورَكـما. إنّ اللّهَ سميعٌ بصــير. ألّذين يُظاهِرون منكم من نسائهم ما هنّ أمّــهاتِهم...إلى قوله: وللكافرين عذاب أليم "[٧٥].

ثاني عشر – ما يستوجب الوضوء والغسل

لرسول اللّه، فــي ما يحدث للرجــال من مشــاكل جنسيّة، خــبرة واســعة ودقيقة. وقد لا يعرف الرجلُ، إذا ما لم يسترشد، كيف يعالج مشاكله هذه. وخير مرشــد له، رسول اللّه. وقد يخــالج الرجلَ حيــاءٌ وخجلٌ في طرح مشــاكله أمام غيره؛ إلاّ أنّ ذلك لا يجب أن يحدث مع رسول اللّه. فهو قد أُرسِلَ من أجل هذا.

فهذا عليٌّ بن أبي طالب ساوره الخجلُ يوما من سؤال النبيّ في موضوع ما يحدث له من مذي[٧٦]، فكلّفَ سواه به. قال علي: كنتُ رجــلا مذّاءً، وكانت ابنةُ النبيّ تحتي، فاســتحييتُ أن أسـألَه. فقلتُ لرجلٍ جــالسٍ إلى جنبي: سَلْهُ. فسألَهُ. فقــال رسولُ اللّه: فــيهِ الوضــوء. وفي رواية أخرى: قــال علي للمقــداد: إذا بنى الرجلُ بأهله فأمذى ولم يجامع. فسَلِ الــنبيَّ عن ذلك. فإنّي أستحي أن أسـألَهُ عن ذلك وابنتُه تحتي. فسألَه. فقال: يَغسِلُ مذاكيرَه ويتوضّأ "[٧٧].

وخبرة رسول اللّه في معالجــة مشكلة المذي والمني واسعة وواضحة عند أهل الحــديث. وعن علي نفــسه قــال: " سُــئل رسول الله عن المذي. فـقــال: فيــه الوضوء، وفي المنيّ الغسل "[٧٨].

---

(٧٥) سورة المجادلة، ٥٨/ ١–٥. أنظر كتاب الإصابة، رقم ٣٦١.

(٧٦) ألْمَذِيّ هو الماء الرقيق الذي يَخرُجُ من مجرى البول عند الملاعبة والتقبيل.

(٧٧) رواه النسائي في سننه ١/٩٦–٩٧، والبخاري في صحيحه، كتاب الوضوء ١/٥٥–٥٦.

(٧٨) سنن ابن ماجه ١/١٦٨، رقم ٥٠٤، وسنن الترمذي، رقم ١١٤.

وممّا يستوجب الوضوء فقط دون الغسل، مَسُّ الذَكَر. وفي ذلك أحاديث نبويّة كثيرة:

عن بُسْرة بنتِ صَفوان ذكرتْ عن رسول اللّه قولَه: "إذا مسّ أحدُكم ذكَرَه فليتوضّأ".

وفي رواية: "من مسّ ذكره فلا يصلّي حتى يتوضّأ"(٧٩).

وعن أمّ حبيبة، زوج النبيّ، وأمّ المؤمنين، قالت: "سمعت رسولَ اللّه يقول: من مسّ فرجَه فليتوضّأ"(٨٠).

وذكر عمر ابن الخطّاب لرسول اللّه أنّه تصيبه الجنابة من الليل. فقال له رسولُ اللّه: توضّأ. واغسِلْ ذَكَرَكَ. ثمّ نَمْ"(٨١).

وفي حديث: "إذا جامع الرجلُ امرأتَه فلم يُمْنِ، يتوضّأ ويغسِل ذَكَرَه"(٨٢).

وعن أبي سَعيد الخدري، أنّ رسول اللّه أرسل إلى رجل من الأنصار، فجاء ورأسُه يقطُرُ. فقال النبيُّ: لعلّنا أعجلناكَ! فقال: نعم. فقال رسول اللّه: إذا أعجلتَ، أو قُحِطْتَ، فعليكَ الوضوء"(٨٣).

وعن ابن عبّاس عن ميمونة زوج النبيّ، قالت: "وضعتُ لرسول اللّه ماءً

---

(٧٩) أنظر: الإستيعاب، ٢٤٩، أسد الغابة، رقم ٦٧٧٢، الإصابة، رقم ١٨٠، سنن ابن ماجة، باب الوضوء من مسّ الذكر، رقم ٦٧٤٩،سنن ابي داود، رقم ١٨١، سنن النسائي١/ ١٠٠و!/٢١٦، سنن الترمذي، رقم ٨٢، الموطأ ٥٨، ٦٠-٦٢، مسند ابن حنبل ٢/ ٢٢٣,٢٣٣، ٤/ ٢٢,٢٣، ٦/٤٠٦، ٤٠٧.

(٨٠) سنن ابن ماجة، رقم ٤٨١، سنن النسائي، كتاب الطهارة، ١/ ٢٥. أنظر أيضا قول أروى بنت أُنَيس في أسد الغابة، رقم ٦٦٩٦، والإصابة، رقم ٢٩.

(٨١) صحيح البخاري، كتاب الغسل ١/ ٨٠.

(٨٢) المرجع نفسه، ١/ ٨١.

(٨٣) صحيح البخاري، باب الوضوء ١/ ٥٦.

ليغتسِلَ به. فأفرغَ على يدَيه. فغسَلَهما مرّتين مرّتين، أو ثلاثاً. ثم أفرغَ بيمينه على شماله، فغسلَ مَذَاكِيرَهُ. ثمّ دَلَكَ يدَه بالأرض. ثم مضمض. واستنشق. ثم غسل وجهَه ويدَيه. ثم غسل رأسَه. ثم أفرغ على جسده. ثمّ تنحّى من مقامه. فغسل قدَمَيه "[٨٤].

أمّا عن آداب البول، وكيفيّة سلوك المسلم ففيه من تعاليم النّبيّ الكثير:

عن قتادة عن النبيّ، قال: "إذا بالَ أحدُكم فلا يأخذنَّ ذَكَرَه بيمينه "[٨٥].

ويُعيد الوضوءَ كلُّ مسلم "يخرجُ من دُبُرِه الدّود، أو من ذَكَرِه نحو القملة "[٨٦].

" ومن الكبائر أنْ لا يستترَ (المسلمُ) من بَوله" : عن ابن عبّاس قال: "مرّ النبيُّ بحائطٍ من حيطان المدينة، أو مكّة، فسمعَ صوتَ إنسانَين يُعذّبان في قبورهما. فقال النبيُّ: يُعذّبان.. إذ كان أحدُهما لا يستترُ من بَوله. وكان الآخر يمشي بالنميمة "[٨٧].

وعن أبي هُريرة قال: قام أعرابيٌّ فبَالَ في المسجد. فتناولَه الناسُ. فقال لهم النبيُّ: دَعُوهُ. وهَرِيقوا على بَوله سَجْلاً (سطلا) من ماء. فإنّما بُعثتم مُيسِّرين ولم تُبعَثوا معسِّرين "[٨٨].

ثمّ هناك أحوال جنسيّة تستوجب، لا الوضوء فحسب، بل الغسل أيضا. والقاعدة: إنّ كلّ ما يعود الى المني يستوجب الغسل؛ فيما كلّ ما يعود الى المذي يستوجب الوضوء. في ذلك قال النبيّ، وقد ذكرنا قولَه قبلَ قليل: "في المذي الوضوء وفي المنيّ الغسل".

---

(٨٤) المرجع نفسه، كتاب الغسل ١/ ٧٥.
(٨٥) صحيح البخاري، كتاب الوضوء ١/ ٥٠.
(٨٦) المرجع نفسه، ١/ ٥٥.
(٨٧) المرجع نفسه ١/ ٦٤.
(٨٨) المرجع نفسه ١/ ٦٥.

عن هَمّام بـن الحارث قال: نزل بعـائشة ضـيفٌ. فأمـرتْ له بملحفـة لها صفراء. فاحتلمَ فيـها. فاستحيى أن يُرسِلَ بها وفيها أثرُ الاحتـلام. فغمسها في الماء، ثمّ أرسلَ بها. فقالت عائشة: "لِمَ أفسد علينا ثوبَنا؟ إنّما كان يكفيه أن يفركه بأصبعه. ربما فركتُه من ثوب رسول الله بأصبعي"(٨٩).

وقالت عائشة: كان النبيّ يُصيب (المنيّ) ثوبَه، فيغسِلُه من ثوبه. ثم يَخرجُ في ثوبه إلى الصلاة، وأنا أرى أثرَ الغـسل فيه(٩٠). وفي رواية: ربّما فـركتُه من ثوب رسول اللّه بيدي(٩١).

عن معاوية بن أبي سفيان أنّه سأل أخـتَه، أمَّ حبيبة زوجَ النبيّ، قال: "هل كان رســولُ اللّه يصلّي في الثوب الذي يجـامع فيـه؟ قالت: نعم. إذا لم يكن فـيه أذى"(٩٢).

وعن جابر قال: "ســأل رجلٌ النبيَّ: يُصَلّي في الثوب الذي يأتي به أهلَه؟ قال: نعم. إلاّ أن يرى فيه شيئاً فيغسله"(٩٣). وعن أبي هُريرة عن رسول اللّه قال: "إذا جلس الرجلُ بين شُعَبِها الأربع، ثم جَهَدَها، فقد وجب الغسل"(٩٤).

وعن أبي هُريرة أيضـا أنّه لقيه النبيّ في طريق من طرق المدينة وهو جُنب. فانسلّ. ففـقدَه النبيُّ. فلمّا جاء قال: "أين كنتَ يـا أبا هُريرة؟ قال: يا رسولَ اللّه! لقِيتَني وأنا جُنب. فـكرهتُ أن أجالسكَ حتى أغتسل. فـقال رسول اللّه: ألمؤمن لا ينجس"(٩٥).وعنه أيضـا، قـال: "قـال رســولُ اللّه: إنّ تحت كلّ شـعـرةٍ جنابةً. فاغسلوا الشعرَ، وأنقوا البشَرَة"(٩٦)

(٨٩) سنن ابن ماجة، رقم ٥٣٨، ١/ ١٧٩؛ سنن الترمذي، رقم ١١٦.
(٩٠) سنن ابن ماجة، رقم ٥٣٦، ١/١٧٨.
(٩١) ألمرجع نفسه، رقم ٥٣٧.
(٩٢) سنن ابن ماجة، رقم ٥٤٠، ١/١٧٩.
(٩٣) ألمرجع نفسه، رقم ٥٤٢، ١/ ١٨٠.
(٩٤) ابن ماجة، رقم ٦١٠. ألشعب الأربع : إمّا يداها ورجلاها، وإمّا نواحي الفرج الأربع.
(٩٥) ألمرجع نفسه، رقم ٥٣٤، ١/١٧٨.
(٩٦) ألمرجع نفسه، رقم ٥٩٧، ١/١٩٦.

عن أَنَس قال: إنّ النبيّ كان يطوف على نسائه في الساعة الواحدة من اللّيل والنهار؛ وهنّ إحدى عشرة. قال: قلت لأنَس: أَوَكانَ يُطيقُهُ؟ قال: كنّا نتحدّثُ أنّه أُعطيَ قوّةَ ثلاثين "[٩٧]. وكان يصنع ذلك في غسل واحد[٩٨]. أمّا أبو رافع فقد خالف ذلك وروى عن النبيّ أنّه طاف على نسائه في ليلة، وكان يغتسل عند كلّ واحدة منهنّ. فقيل له: "يا رسولَ اللّه! ألا تجعلُه غسلاً واحدا؟ فقال: هو أزكى وأطيب وأطهر "[٩٩].

ثالث عشر – عائشة تكشف

هناك أحاديث لعائشة، أمّ المؤمنين، تكشف فيها عمّا كان يحدث لها مع النبيّ، عن سرّ الفراش ، والحياة الحميمة، ليكون بذلك، ربّما، عبرة للمؤمنين:

عن عائشة قالت: "كان رسول اللّه يغتسل من الجنابة، ثم يَستدْفِئُ بي قبل أن أغتسل "[١٠٠]. وعنها أيضا، قالت: "كان رسولُ اللّه يُجنِبُ ثم ينام ولا يمسُّ ماءً حتى يقوم بعد ذلك فيغتسل "[١٠١]. وأيضا قالت: "إنّ رسول اللّه إنْ كانتْ له إلى أهله حاجة قضاها. ثم ينام كهيئته، لا يمسّ ماء "[١٠٢]. وعنها أيضا، قالت: "إذا التقى الخِتانان فقد وجب الغسلُ. فعلتُه أنا ورسولُ اللّه، فاغتسلنا "[١٠٣]. وفي رواية، قال رسول اللّه: "إذا التقى الختانان وتوارت الحَشَفَةُ فقد وجب الغسل "[١٠٤].

***

---

(٩٧) صحيح البخاري، كتاب الغسل، ١/ ٧٦.

(٩٨) سنن إبن ماجه، رقم ٥٨٨، ١/ ١٩٤.

(٩٩) المرجع نفسه، رقم ٥٩٠.

(١٠٠) ابن ماجة، رقم ٥٨٠، ١/ ١٩٢.

(١٠١) المرجع نفسه، ٥٨١.

(١٠٢) المرجع نفسه، رقم ٥٨٢.

(١٠٣) المرجع نفسه، رقم ٦٠٨، ١/ ١٩٩.

(١٠٤) المرجع نفسه، رقم ٦١١، أنظر النسائي ١/ ١١١.

يُخَيَّل إلينا، بعد الذي رأينا، أنّ رسولَ اللّه عالِمٌ بيولوجيٌّ وخبيرٌ بأمور الجنس والنساء. وكم سُئلَ! وكم أجاب! وكم استوحى كلامَ اللّه في القرآن ليقدّم لنا الحلولَ والفتاوى! وقد تنبّه الشيخ الدكتور صبحي الصالح لهذه العلوم البيولوجيّة، فراح يفسّر معنى الآية: "هنّ لباسٌ لكم. وأنتم لباسٌ لهنّ"(١٠٥)، فقال متّهِما الناسَ بالجهل: إنّ الناس "لا يعرفون أنّ اللباس كالملابسة، وإنّ كلاً منهما (أي اللباس والملابسة) يفيد المخالطة والتمازج. فكلّ بروز في أحد الجنسَين يقابله تجويف في الجنس الآخر. وهكذا تلتقي النتوءات في كلا الجنسَين بأوضاع مرسومة على قدّها لتتلبس بها وتثبت فيها"(١٠٦).

ويندهش الشيخ الدكتور بقول الكاتبة الفرنسيّة سيمون دي بوفوار التي تقول بـ"أنّ المرأة لا تولد أنثى، ولكن، طبيعة الحياة الإنسانيّة تدمغُها بطابع الإنثى". كما يُعجبُه جداً قولُها بـ"النتوءات" في الرجل و"المنحنيات" في المرأة. وبين "النتوءات" و"المنحنيات"، اكتشف الشيخ الدكتور سرّ القرآن الذي قال: "... من ذكر وأنثى بعضكم من بعض"(١٠٧)، وسرّ النبيّ الذي علّم: "إنّما النساء شقائق الرجال".

واستنتج الشيخ قائلا: "إنّ التقابل في النتوءات والمنحنيات هو في الأساس سرّ التمازج والمخالطة والملابسة التي أدّت إلى تكافؤ الجنسَين مصداقا لقوله تعالى: "هنّ لباس لكم وأنتم لباس لهنّ"(١٠٨).

للحقيقة، هذا علم بيولوجي غريب. قاله الشيخُ ليفسّر ويدعم كلام القرآن. علما بأنّ القرآن ما كان يقصد أبدا الحالات البيولوجيّة، إنما كان يقصد حالةَ الالتزام بين المرأة والرجل. هذا عدا عن أنّ حالة النتوءات والمنحنيات بين الذكر

---

(١٠٥) سورة البقرة ٢/ ١٨٧.

(١٠٦) الشيخ صبحي الصالح، المرأة في الإسلام، ص ١٣-١٤.

(١٠٧) سورة آل عمران ٣/ ١٩٥.

(١٠٨) صبحي الصالح، المرجع المذكور، ص ١٣.

والأنثى لا توجد إلاّ في موضع واحد في الجسم فقط. فلا أنف الرجل يخرج من وجهه، ولا أنف المرأة يدخل في وجهها. وكذلك القول عن الأذن، والفم، واليدين، والرجلين، وما إلى ذلك.

إنّ خبرة النبيّ في الأمور الجنسيّة قد تكون مقبولة، عمليّا، أكثر من علم الشيخ الدكتور. والإسلام، كدين، ليس هو، لا مع خبرة النبيّ، ولا مع علم الشيخ. والعلوم الطبيعيّة والبيولوجيّة رهن بتقدّم العلم، ولا شأن لها بكلام الوحي. ولا كلام الوحي كان من أجل هذه الموضوعات. همّ الوحي والدين ورسالات السماء وأعمال الأنبياء مساعدة الإنسان لكي يعيش حياة مع اللّه أكثر قربا وأشدّ ارتباطا. وغير ذلك هو علمٌ واكتساب.

الفصل الرّابع

حياء رسول الله

أوّلاً – سيرة النبيّ

كان رسول اللّه كثير الحشمة والحياء، بالغَ الحذر والحيطة في كلامه وتصرّفاته مع النساء. يتحاشى مصافحتهنّ يداً بيد: وإن صافحَ "كان يصافح وعلى يده ثوب"[١]. يبتعد عن الخلوة بهنّ. يمتنع حتى عن الصلاة معهنّ. يتورّع عن لمسهنّ، حتى ولو كان لمس أيديهنّ: "وما مسّت يدُه يدَ امرأة قط إلاّ امرأة يملكها"[٢].

وتستفيض كتب الأحاديث عن شدّة حياء رسول اللّه. وتركّز على ذلك، بطريقة مميّزة. فجاء في صحيح البخاري، مثلا، عن أبي سعيد، قال: "كان النبيّ أشدَّ حياءً من العذراء في خدرها"[٣].

وشهدت عائشة، زوج النبيّ وأقربهنّ إلى قلبه، على تعفّف النبيّ، فقالت: "كان رسول اللّه، إذا بايع النساء، يبايعهنّ كلاماً، ولا يأخذ أيديهنّ في يده.

---

(١) طبقات ابن سعد،٨/٦.

(٢) مسند ابن حنبل، ٦/١٥٣.

(٣) صحيح البخاري، ٨/٣٥.

فقالت: لا واللّهِ! ما مسّتْ يدُه يدَ امرأةٍ قط في المبياعة "[٤].

وعن تعفّـفه وحـيائه مـا حدث لـ أسمـاء بنت أبي بكر، أخت عـائشة، مع النبيّ: "دخلت عليه ذات مرّة في لبـاس رقيق يشفُّ عن جسمِهـا، فأعرض النبيّ عنها، وقال: يا أسمـاء! إنّ المرأةَ، إذا بلغتِ المحيضَ، لم يصلحْ أنْ يُرى منها إلاّ هذا وهذا. وأشار إلى وجهه وكفّه "[٥].

وكانت عائشة تعرف ما يُثير شهوة النبي وميلَه، فكانت تتنبّه إلى ما يؤثّرُ فيه. يخـبرنا ابن سعد، فـيقول: " دخلتْ حفصـة بنت عبد الرحمـان على عائشة زوج النبيّ، وعلى حفصـة خمار رقيق، يشفُّ عن جيبـها، فشقّتْه عائشـة عليها، وكستْها خماراً غليظا "[٦]. وذلك، طبعا، لئلاّ تثيرَ غريزة النبيّ .

سيرة رسول اللّه هذه مثـال لسيرة المسلمين من بعده. وعلى كلّ مسلم أن يتشبّه بالرسول في حشمته هذه، وفي تمـنّعه عن لمس النساء ومصافحتهنّ. قال الشيخ مـحمّد بن صالح الـعثيمين: "يجب على المـرء أن يُبطل العادة (مصافـحة النسـاء)، لأنّها مخالفة للشـرع. فإنّ المسّ أعظم من النظر. وتتحرّك الشـهوةُ بالمسّ أعظم من تحرّكـها بالنظر غالبا. فـإذا كان الإنسـانُ لا ينظر إلى كفّ امـرأة ليستْ من محارمه، فكيف يقبض على هذا الكفّ؟! "[٧]

ثانياً– تعاليم النبيّ في الحياء

لقد علّم رسـولُ اللّه، وأكثر من التعليم في الحـشمة والحيـاء. كان يقول: "إنّي لا أصافحُ النسـاء "[٨]. ويقول: "مَن مسَّ كفَّ امرأةٍ ليس منها سبيل، وضـعَ

---

(٤) صحيح البخاري، كتاب الطلاق، ٧/ ٦٤؛ صحيح مسلم، باب بيعة النساء.

(٥) سنن إبي داود.

(٦) طبقات إبن سعد، ٨/ ٧١، أنظر الموطّأ.

(٧) الشيخ محمّد بن صالح العثيمين، فتاوى ورسائل للنساء، ص ١٠.

(٨) طبقات ابن سعد، ٨/ ٥.

على كفّه جمرةً يومَ القيامة "[٩]. ويقول: "مكتوبٌ في الحكمة: إنّ من الحياء وقاراً. وإنّ من الحياء سكينة".

ويقول عن رجل كثير الحياء: "دعْهُ. فإنّ الحياء من الإيمان"[١٠]أو: "ألحياء شُعبة من الإيمان"[١١]. وكان يقول: "لكلّ دينٍ خُلقٌ، وخلقُ الإسلام الحياء"[١٢].

وورد في باب "حفظ العورة" من كتب الحديث التعليم الآتي: جاء في سنن الترمذي، قال النبيّ: "وأفضل درجة من الحياء أن لا يرضى الإسلام للمرء أن يتجرّد حتى في خلوته؛ لأنّ اللّه أحقُّ أن يُستحيا منه"[١٣]. وفيه أيضا: "إيّاكم والتعرّي! فإنّ معكم مَن لا يُفارقكم إلاّ عند الغائط. وحين يُفضي الرجلُ إلى أهله، فاستَحيوهم وأكرموهم"[١٤].

إنّ الإسلامَ لا يحبّ، حتى للزوجَين، أن يتجرّد أحدُهما أمام الآخر: "وإذا أتى أحدُكم أهلَه فليستترْ. ولا يتجرّدان تجرّدَ العِيرَين"[١٥].

وفي ذلك شهدت السيّدة عائشة، وقالت: " ما نظرتُ إلى فرج رسول اللّه قط"[١٦]. وفي هذا قال النبيّ: "لعن اللّهُ الكاسيات العاريات"[١٧]، أي اللواتي يلبسن ثيابا شفّافة جدّا، كأنّهنّ لا يزلنَ عاريات.

---

(٩) تكملة فتح القدير، ٨/ ٩. صحيح مسلم، باب تحريم الخلوة بأجنبيّة.

(١٠) عن كتاب الحجاب لأبي الأعلى المودودي، ص ٢٥٦.

(١١) سنن ابن ماجة، باب في الإيمان، رقم ٥٨، ١/ ٢٢.

(١٢) عن كتاب الحجاب لأبي الأعلى المودودي، ص ٢٥٦.

(١٣) انظر باب في حفظ العورة من كتب الأحاديث.

(١٤) انظر باب التستّر عند الجماع من كتب الأحاديث النبويّة.

(١٥) سنن ابن ماجة، باب التستّر عند الجماع، رقم ١٩٢١.

(١٦) طبقات ابن سعد، ٨/١٩٣-١٩٤، كتاب التاج، في آداب الوقاع، ٢/ ٢٠٨، سنن ابن ماجة، باب النكاح، رقم ١٩٢٢، ١/ ٦١٩، ورقم ٦٢٢، ١/ ٢١٧؛ وسنن الترمذي، باب ما جاء في حياء رسول اللّه.

(١٧) رواه أصحاب السنن.

إنّ فتنة العري هي أشدّ ما تكون ضد الحياء الإسلامي. والنبيّ "يأمر الرجل والمرأة أن يسترا من جسمهما كلّ الأجزاء التي فيها جاذبيّة للصنف الآخر. والعري، عند الإسلام، من الوقاحة وسوء الأدب الذي لا يكاد حياؤه يصبر عليه بحال من الأحوال.. إنّ الإسلام لا يُحبّ حتى للزوجين أن يتجرّد أحدُهما أمام الآخر.. "يا بني آدم! قد أنزلنا عليكم لباسا يُواري سوءاتكم وريشا "(١٨).

وفي الحديث: "ملعون كلّ من نظر إلى سوأة أخيه". وفيه أيضا: "لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا تنظر المرأة إلى عورة المرأة"(١٩). وفيه "لأنْ أخُرُّ من السماء فأنقطعُ نصفَين، أحبُّ إليّ من أن أنظرَ إلى عورة أحد، أو يُنظَر إلى عورتي"(٢٠). وفيه "إيّاكم والتعرّي! فإنّ معكم من لا يفارقكم إلاّ عند الغائط، وحين يُفضي الرجلُ إلى أهله"(٢١). وفيه أخيرا "لا يَعملُ لنا مَن لا حياءَ له"(٢٢).

وكم حضّ النبيُّ النساءَ بأن لا يختلطنَ مع الرجال، لا في الجلوس ولا في المحادثات، ولا في الصلاة. وكان قد "أخذ على النساء، فيما أخذ، أن لا يَنُحْنَ ولا يقعدنَ مع الرجال في خلاء"(٢٣)؛ وذلك بسبب ما يجرّ هذا الاختلاط عليهنّ وعلى الرجال من ظنون وشرور. وذهب إلى أنِ "اشترطَ عليهنّ أنْ لا يتحدّثنَ مع الرجال"(٢٤)؛ وبذلك يكنَّ مسلمات صالحات.

ألمرأةُ، وليس إلاّ المرأة، ما يكون بوسعها أن تُفقِدَ الرجلَ الحشمة والحياء. لهذا شدّد رسول اللّه عليها، ومنعها من أن تكون سببا لذلك. وفرض عليها كلّ

---

(١٨) سورة الأعراف، ٧/ ٢٦.
(١٩) أنظر كتب الأحاديث النبويّة في باب تحريم النظر إلى العورات...
(٢٠) ألمبسوط، كتاب الاستحسان.
(٢١) سنن الترمذي، باب ما جاء في الاستتار.
(٢٢) ألمبسوط، كتاب الاستحسان، ١٠/ ١٥٥،
(٢٣) طبقات ابن سعد ٨/ ١٠.
(٢٤) ألمرجع نفسه.

أنواع الفرائض، ورسم لها الحدود في كلّ شـيء. وحتى أنّه لا يحقّ لها أن تخرج إلاّ لحاجة ماسّة، فقال: "قد أذِنَ اللّهُ لكنَّ أن تخرجنَ لحوائجِكنَّ"(٢٥).

والمرأة مقيّـدة، حتى في الصلاة في المساجد. قـال النبيّ: "أفضل صلاة الرجل هو ما يصلّيه مع الجماعة في المســجد. وأفضل صلاة المرأة ما تصلّيه في أخلى خلوة في بيتـها"(٢٦). أو "خير صــلاة الرجل في الجماعة، وخـير صلاة المرأة في خلوتـها". والمقصود في ذلك عـدم اختلاط الجنسَين. وإذا كان لا بدّ من الاختلاط في المساجد، فذلك يكون بشروط عسيرة، وهي:

أولاً– أن لا يحضرنَ الصلاةَ في النهار،

ثانياً– أن لا يحضــرنَ المساجدَ مـتزيّنات ولا مـتطيّبات، قـال: "يا أيّها الناس! أنهوا نساءكم عن لبس الزينة والتبختـر في المساجد"، وقال أيضا: "أيّما امرأة أصابتْ بخورا (أي طِيبا) فلا تشهد معنا العشاء (أي صلاة العشاء).

ثالثا– أن لا يختلطنَ بالرجال في الجماعـة، ولا يسبقنهم إلى الصفوف الأمامـيّة. بل يـجب عليهنّ أن يَقُـمنَ خلف صفـوف الرجال. قـال النبيّ: "خـير صفـوف الرجال أوّلها، وشـرّها آخرها. وخير صــفوف النساء آخـرها، وشرّها أوّلها"،

رابعاً– أن لا ترفع النساء أصواتهنّ في الصلاة.

بهذه الشروط يصبح كلامُ رسول اللّه : "لا تمنعوا إماء اللّه مساجد اللّه" مفهوما.

ثمّ قيّد الرســول المرأة في أيّام الحج، كما في زيارة القـبور، وفي الخروج إلى العيدَين. قال: "أمرتُ النساءَ أن يتجنّبنَ مخالطةَ الرجال في المطاف، وخروجَ النساء للجمعة، والعيدين، وزيارة القبور، واتّباعَ الجنائز".

(٢٥) صحيح البخاري، وصحيح مسلم، باب إباحة الخروج للنساء لقضاء حاجة الإنسان.
(٢٦) أنظر كتب السنن.

وعلى المرء أيضـا، في تعـاليم النبـيّ، ألاّ يتطلّعَ إلى بيـوت الناس، ولا أن يتكلّم مع النسـاء، ولا أن يجـيبهنَّ إلاّ من وراء حجـاب. وفي ذلك قال: "من اطّلع في بيت قوم بغير إذنهم، فقد حلّ لهم أن يفقـأوا عينَيه"، مستنداً في قوله إلى ما جاء في القرآن: "وإذا سـألتموهنّ متـاعاً فاسـألوهنّ من وراء حجاب. ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهنّ"[٢٧].

ثمّ قيّد رسول اللّه على المرأة السـفر، إلاّ مع أحد محارمها. كمـا قيّد عليها الجهاد، لئلاّ تختلط أيضا وأيضا بالرجال. ومنعها من الخروج من بيتها، استنادا إلى آيات عديدة تقول: "وقِرْنَ في بيوتكنّ"[٢٨]، أو: "واذكرنَ ما يُتلى في بيوتكنّ من آيات اللّه"[٢٩]...

ومن الحيـاء أيضا ما علّم القـرآن عن النظر؛ إنّه فتنة يُؤخـذ بها المؤمنون والمؤمنات. قال: "قل للمـؤمنين يغضّـوا من أبصارِهم ويحفظوا فـروجَهم. ذلك أزكى لهم.. وقل للمؤمنات يَغضُضنَ من أبصارِهنّ ويَحفظنَ فروجَهنّ"[٣٠]. وفي الحديث: "يا ابنَ آدم! لكَ أوّل نظرة؛ وإيّاكَ والثانية!".

وفتنة الصوت، أكـان باللسان أم بأي عضو آخر، هي أيضا خـائنة، منعها الإسـلام حفظا للـحشمة والأدب. وفي ذلك نصح القرآن النـساء بأن "لا يضربْنَ بأرجلهنَّ ليُعلَمَ ما يُخفين من زينتهنّ"[٣١].

ومرّ معنا منع النبيّ النساءَ من التطيّب والتبـرّج.. فهما من عوامل الإغراء. قال: "ألمرأة، إذا اسـتعطرت، فمـرّتْ بالمجلس، فهي كـذا، يعني زانية"[٣٢]. وقال

---

(٢٧) سورة الأحزاب، ٣٣/٥٣.
(٢٨) سورة الأحزاب ٣٣/٣٣.
(٢٩) سورة الأحزاب٣٣/ ٣٤.
(٣٠) سورة النور، ٢٤/ ٣١.
(٣١) ألمرجع نفسه.
(٣٢) الترمذي، باب ما جاء في كراهية خروج المتعطرة، عن ك. الحجاب للمودودي، ص ٢٦١.

أيضا: "إذا شهدتْ إحداكُنّ المسجد، فلا تمسّنَّ طيبا"[٣٣].

وعموم القول: على الرجال أن يحذروا النساء، فإنّهنّ فتنة في كلّ شيء. وهنّ خطر محدق باستمرار، قد يُفقِدْنَ العقل والإيمان وجَنَّةَ الخلد... ومن أجل هذا، فرض القرآن عليهنّ قيودا كثيرة. قال: "يا أيّها النبيّ! قل لإزواجِكَ وبناتِكَ ونساء المؤمنين يُدنين عليهنّ من جلابيبهنّ، ذلك أدنى أن يُعرَفْنَ فلا يُؤْذَيْنَ.."[٣٤].

ثمّ يبيّن القرآن ما يحلّ للنساء كشفه وما يحلّ ستره. قال: "قل للمؤمنات يَغضُضنَ من أبصارهنّ ويحفظنَ فروجهنّ، ولا يُبدين زينتَهنّ إلاّ ما ظهر منها. وليضْربْنَ بخُمُرِهنّ على جيوبِهنّ. ولا يُبدين زينتَهنّ إلاّ لبُعولَتِهنّ.."[٣٥].

هذه القاعدة عامّة على النساء جميعا، حتى ولو كانت المرأة عجوزا، لا رغبة للرجال فيها، ولا رغبة لها فيهم. قال: "والقواعدُ من النساء، التي لا يرجَونَ نكاحا.. عليهنّ..أن يستعففن خيرٌ لهنّ"[٣٦]. ويهتمّ الإسلام بهذه القضيّة، فيحدّد السنّ التي تبدأ بها المرأةُ بالاحتشام. هذه الحدود وضعها رسول اللّه نفسه عندما جاءته أسماء، أخت عائشة، وقال لها: "يا أسماء! إنّ المرأةَ، إذا بلغتِ المحيضَ، لم يصلح لها أن يُرى منها إلاّ هذا وهذا. وأشار إلى وجهه وكفَّيه". وحجة رسول اللّه أنّ المرأة، في كلّ حالاتها، ليس أخطر منها على الرجال. إنّها شيطان الرجل، في حلّها وترحالها. قال: "إنّ المرأةَ، إذا أقبلتْ أقبلتْ ومعها شيطان، وإذا أدبرتْ أدبرتْ ومعها شيطان".

***

(٣٣) أنظر الموطّا، وصحيح مسلم.

(٣٤) سورة الأحزاب، ٣٣/ ٥٩.

(٣٥) سورة النور ٢٤/ ٣١.

(٣٦) سورة النور ٢٤/ ٦٠.

هذا الخطر المداهم عالجه القرآن والنبيّ والمسلمون بزوجات متعددات. زوجات أربع هنّ للرجل حلال شرعي؛ وزوجات ممّا ملكت الأيدي من سبايا؛ وزوجات للمتعة، بدراهم معلومة ولوقت محدّد.

هذا الزواج المتعدّد مارسه النبيّ، ومارسه الصحابة والأئمّة والخلفاء والعلماء والمتصوّفون ومعظم المسلمين. وكان لهم من النساء العدد العديد، يفوق الأربعة، والعشرة والعشرين والمائة والمائتين.. ولم يكن ذلك إلاّ في سبيل الحذر والحيطة من الظنون والشكوك، وما ينتج من شرور. وفي سبيل ضبط ميول النفس الشريرة؛ وفي سبيل الحفاظ على الحشمة والحياء. وربّما أيضا من أجل إعالة اليتامي، والاهتمام بالأرامل، ومصاهرة القبائل.

بيد أنّ هذه الحشمة المحمّديّة والإسلاميّة بواسطة الزوجات العديدات، لا تعني زهداً ولا تعففاً، بقدر ما تعني حذَراً من شرّ النساء وغوايتهنّ وإغرائهنّ الرجال.. ولا سبيل إلى دفع شرّهنّ هذا إلاّ بالنكاح المتعدّد والمتنوّع الذي به وحده تبرد شهوات الجسد، وتُضبط ميول القلب. لقد جاء في الحديث النبويّ الشريف: "شراركم عزّابكم" (أي شرّ الناس هم العزّاب)[٣٧]. وقال رسولُ الله لعكاف بن وداعة الهلالي: "أَلَكَ امرأةٌ؟ قال: لا. قال: ولا جارية؟ قال: لا. قال: وأنتَ صحيحٌ موسر؟ قال: نعم والحمدُ لله. قال: فأنتَ إذاً من إخوان الشياطين. إنْ كنتَ من رهبان النصارى فالحقْ بهم؛ وإنْ كنتَ منّا فمن سُنَّتِنا النِكاح"[٣٨].

فالنِكاحُ في الإسلام هو الدواء الشافي لهذه الميول والشهوات. وهو أيضا علاج الحشمة والحياء. وبقدر ما تكون الشهوات عنيفة على صاحبها، يتوجّبُ عليه اتّخاذ العديد من النساء. فكثرة الزوجات، في الإسلام، إذاً، دليل، لا على فساد الرجال، بل على الرخصة الإلهيّة في مجابهة الميول والشهوات، وفي الحفاظ على الحشمة والحياء.

---

(٣٧) عن الدكتور محمود بن الشريف، ألحبّ في القرآن، ص ٤٢.

(٣٨) ألمرجع نفسه.

الفصل الخامس

حكمةُ رسولِ اللّه في تعدّد الزوجات

هناك مبدأ عام في الكلام على النبيّ محمّد، وفي فهم تصرّفاته الشخصيّة التي تخالف، في ظاهرها، القواعد المألوفة عند البشر، والمنطق السائد المتعارف عليه. هذا المبدأ هو أنّ النبيّ محمدا رسول من قِبَلِ اللّه. وما أتى به هو من عند اللّه، وليس من عند ذاته. وعليه يكون تعدّد الزوجات عنده من أمر اللّه وحكمته. وقد ورد ذلك صراحةً في القرآن الكريم.

لهذا، وانطلاقا من هذا المبدأ، نقول: لسنا نحن مَن يضعُ المقاييسَ للنبيّ، بل اللّهُ نفسه هو الذي يضعُ له المقاييس. فهو نبيٌّ من اللّه، لا من البشر. وقد عبّر الشعراوي عن هذا بقوله: "ما دُمنا آمنّا به رسولاً، فنحنُ لا نؤمنُ به رسولاً، ثم نضعُ لهُ مقاييسَ الكمالِ من نفوسِنا، لنزنَ الأمورَ التي فعلَها على مقاييسنا، ولكنّ الكمالَ ما فعله.. ومن هذه الأشياء مسألةُ تعدّد زوجات الرسول"[١].

وسوف نستعرض أهمّ الآراء والأفكار المسلمة التي تجد، لتعدّد النساء عند النبيّ، حكمة إلهيّة.

---

(١) عن أسماء أبو بكر، في كتاب "زوجة واحدة هل تكفي؟!"، ص٥٢.

أوّلاً – رأي الإمام الشعراوي

إنّ تعدّدَ الزوجات عند رسول اللّه ليس كـالتعدّد عند سائر الرجال: هؤلاء لا يحقّ لهم فوق الأربع؛ أمّا رسول اللّه فيـحقُّ له ما يُقرّرُه اللّه له. للرجال، إذا ما طلّقوا، أن تتـزوّج نساؤهم غيـرَهم؛ أما رسول اللّه فنـساؤه لا يحقّ لهنّ الزواج بعده مطلقا.

قال الإمام الشعراوي: "إنّ الرسول جاء لمن تزوّج أكثر من أربع فأمره أن يمسك أربعاً ويفارق الباقي.. فإن ماتت واحدة (من الأربع) تزوّج غيرها مكانها؛ وإن طلّق واحدة يأتي بـواحدة مكانها؛ وإن طلّقـهنّ جميـعاً فله أن يتـزوّج أربعا غيرهنّ...

أمّا بالنسبـة إلى الرسول "فإنْ ماتتْ واحدةٌ لا يـأتي بواحدةٍ مكانَها؛ وإن مـات الأربع فليـس له أن يتـزوّج ولا واحـدة. إذن قـد أُبيح لـه المعـدود. فـهنّ بخصوصـهنّ قال اللّه تعالى في سورة الأحزاب: "لا يحلّ لك النساء من بعدُ. ولا تَبَـدَّلَ بهنّ من أزواج ولو أعـجبَك حـسنُهنّ"[٢]. ذلك حكمٌ ليس لتـابعٍ من أتباع الرسول"[٣].

والحكمة في استبقـاء الرسول أزواجَه كلَّهنّ، دون تطليق ما يفوق الأربع، هي، في رأي الإمام الشعراوي، وسـواه من المسلمين، أن "يحتفظ بأربع ويسرّح الخمس. وحين يسرّح الخمس فإنهنّ أمّهـات المؤمنين، وأمّهات المؤمنين محرّمات على سـائر المؤمنين. إذن، فلو سـرّح رسـول اللّه خمسَ نسـاء لبـقينَ بلا زواج، لأنّهنّ محرّمات على الجميع"[٤] وهذه، طبعا، حكمة ورحمة.

ولكن، فاتَ الإمام الشـعراوي بأنّ النبيّ خيّر يوماً زوجاته بين المـقام معه

---

(٢) سورة الأحزاب ٣٣/ ٥٢.

(٣) عن أسماء أبو بكر، في كتاب زوجة واحدة هل تكفي؟! ص ٥٣–٥٤.

(٤) المرجع نفسه، ص ٥٤.

وبين تسـريحـهنّ وتطليـقهنّ. فـهل هذا لا يعني إمـكانيّة تطـليقـهنّ؟ وبالتـالي تعذيبهنّ، بسبب أنهنّ لا يستطعن الزواج بعده مطلقاً؟!

وتعدّد النساء عند النبيّ لا يعني، في رأي الإمام الشعراوي والمسلمين، أنّ النبيّ كان مغرماً بالنساء؛ وذلك "بدلـيل أنّه تزوّج امرأة(خديجة) تكبره بخمس عشـرة سنة، وهذا على خلاف القاعـدة؛ وامرأة (عائشة) هي في السـادسة من عمرها، وهذا أمـرٌ لا سياق جنسي فيه؛ وامـرأة (سودة) تتبرّع بليلتهـا لضرّتها، ومعنى هذا أنّهـا لا تصلح أن تكون امرأة يقـضـي الرجل منها إربتـه؛ وامرأة (أمّ سلَمَة) كانت لا تجد خيراً من زوجها الذي مات، فطيّب الرسول خاطرها وضمّها الى حـريمه شفـقةً ومـؤاسـاةً؛ وامرأة (حـفصـة) يرفض الزواجَ منهـا أبو بكر وعثمان فيتزوّجها رسول اللّه حبّاً بأبيها عمر. إلخ..."[٥].

فالنبيّ، إذاً، في رأي الإمام الشـعراوي، لم يكن شـهوانيّـا في تعدّد نسائه. لقـد استـجاب لأوامـر اللّه، ولبّى حكمـة اللّه، واسـتجـاب لمقـتضـيات الدعـوة والرسـالة.

ثانياً – رأي أسماء أبو بكر

ورسـول اللّه أيضـاً، بحسب السـيّدة أسـماء أبو بكر[٦]، لم يكن، في تعدد زوجاته، شـهـوانياً، كما يزعم أعـداء الإسلام. وحجّتهـا على ذلك نختصـره فـيما يلي:

١. كان محمد في شـبابه ووجاهته عفيفًا شريفـاً، فكيف يكون شـهوانياً في كهولته وشيخوخته؟

٢. عمل مـحمد مع خـديجة، وخالطهـا قبل الزواج طويلا، فقـدّرت خلقه

---

(٥) المرجع نفسه، ص ٥٥–٥٦.

(٦) أسماء هذه كاتبة مـصريّة معاصرة، صاحبة كتـاب "زوجة واحدة هل تكفي؟!"، وليست هي، بالتالي، أخت عائشة بنت أبي بكر الصدّيق.

وأدبه وعفته، وتقدّمت هي إليه بطلب الزواج منه، ولم يتقدّم هو!

٣. لو كان محـمّد شهوانيًا وورث مـال خديجة بعد مـوتها لتزوّج الأبكار الجمـيلات. ولكن كـان أوّل تفكيره فـي الزواج من السيّـدة سودة وغيـرها ممّا تقدّمت سنّهنّ وتزوّجن قبل زواجه.

٤. لقـد آلى من زوجاته شــهـرا، أي حلف ألاّ يقربهـنّ، فهل يسـتطيع أي شهوانيّ الصبر هذه المدة؟

٥. خيّـر محمـدٌ زوجاته بين المقام مـعه، على رقّـة حاله، وبين إمتـاعهنّ وتطليقهنّ، وكيف يعمد الشــهواني إلى هذه المخاطرة، إليس من الجائز أن يخترنَ الانفصال، فكيف يفعل ذلك؟!

٦. كـان الرسول مـشغـولا أكثـر أوقاتـه بواجبـات الدعوة الإسـلاميّـة وتبعاتها، وبالقيام ليلا ساعات طويلة، فأين الوقت الذي يفرغ فيه لهنّ؟

٧. كانت حـالة رسولنا الكريم المعيـشيّة حـالة متواضـعة جدًا. وأحـيانا كثيـرة، لا يجد ما يفطر عليه صباحـا فينوي الصيام إيمانا واحتـسابا لوجه ربّه الكريم، فأين القدرة الجسمية لمتعته مع نسائه الكثيرات؟!.

٨. بعض النسوة كنّ يعرضـن أنفـسَهنّ على النبيّ للزواج، فلم يفعل ذلك، فهل يفعل ذلك رجل شهواني؟.

هذه بعض الأدلّة على عـدم شهوانيّـة رسولنا الكريم، الذي علّمنـا النقاء، والسموّ، والتحضّر، بكل معانيه الراقية العظيمة "[٧].

وتضيف أسماء أبو بكر، شأنها شأن سائر المسلمين، بأنّ الحكمة المحمّديّة في تعدّد الزوجات تكمن في العوامل الدينيّة والإنسانيّـة والسياسيّة. فهو تزوّج

---

(٧) أسماء أبو بكر، زوجة واحدة هل تكفي؟!، ص ١٠١-١٠٢.

من العديدات لألف ألف سبب. والدليل، عندها، من الوقائع التالية:

تزوّج من السيّدة سودة، واختارها كبيرة السنّ، لرعاية أولادها الذين لا عائل لهم..

ومن السيّدة عائشة لتقوية رابطة الصداقة بينه وبين أبيها..

ومن السيّدة حفصة، إكراما لأبيها عمر، على أن ليس فيها ما يُغري..

ومن السيّدة أمّ سَلَمَة إكراما لتضحيتها عند إسلامها وتهجرتها..

ومن السيّدة زينب بنت جحش بعد طلاقها من زيد لإبطال حكم التبنّي.

ومن السيّدة جويرية بعد أن ساعدها في عتقها وعتق أهلها.

ومن السيّدة أمّ حبيبة بعد تنصّر زوجها، وإكراما لأبيها عدوّ النبيّ.

ومن السيّدة صفيّة، لفضّ خلاف كاد يقع بين أصحابه لكثرة جمالها.

ومن السيّدة ميمونة لربط صلته بأقاربه المصاهرين لأقاربها..

لقد حظي هؤلاء بشرف الانتساب إلى رسول الله، ورضين العيش معه لأخلاقه الراقية المتحضرة[٨].

ثالثاً – رأي احمد زكي تفاحة

ثمّة حكمة أخرى لتعدّد زواج النبيّ، قال بها السيّد أحمد زكي تفاحة، وهي أنّه "كان للنبيّ، صلوات اللّه عليه، خصوصيّة في أمر تعدّد الزوجات.. وقد كانت خصوصيّة مفردة، مقصورة عليه، غير قابلة التكرار"[٩]. وحجج السيّد تفاحة، في هذه الخصوصيّة، غير قابلة التكرار، هي التالية :

---

(٨) المرجع نفسه، ص١٠٣-١٠٤.

(٩) المرأة والإسلام، دار الكتاب اللبناني، بيروت، سنة ١٩٧٩، ص ٧١.

١. إنّه "لم يكن للدعوة رسولٌ سواه،

٢. ولم يكن له غنى عنـها في بلاد الأنسـاب والمصـاهرات والولاءات بين الأسر والبيوت.

٣. ثم إنّ هذه الخصوصيّة لم تكن "لتمـكين النبيّ من المتعة والاستغراق في مناعم الحياة الجنسيّة"[١٠]، بقدر ما كانت من أجل تمكين الدعوة.

٤. كمـا أنّها لم تكن من أجل الـشهوة واللّذة، وهو الـذي تزوّج من امرأة تقارب الخمسين، فيما هو كان في ريعان شبابه.. ولمّا ماتت جاءته سيّدةٌ مسلمةٌ، رقّت له في عزلته، فخطبتْ له السيّدة عائشة بإذنه..

٥. كما أنّ معظمَ نسائه كنّ أرامل، وليس من يـتقدّم لخطبتهنّ لو لم يفكّرْ هو فيهنّ[١١].

ثمّ إنّ الدليل على عدم شـهوانيّة النبيّ، في رأي السيّـد تفاحة، هو تخـيير الرسول أزواجه بين أن يبقينَ معه بدون فاحشـة، وبين أن يتمتّعنَ بالحياة الدنيا. يعني: إمّـا الطلاق مع المتعـة، وإمّا الصـبر على الفـقر مع النبيّ. فـاختـرنَ النبيَّ والدارَ الآخرة على الدنيا وزينتها[١٢].

رابعاً – رأي عبد الغني عبد الرحمن محمد

أمّا السيّد عبد الغني فحذّر، وقال: "كلمة أخيرة : إلى المهاجمين على النبيّ بشأن تعـدّد الزوجات.. فالنبيّ لم يتزوّج، وإنّمـا زُوِّجَ من اللّه تعالى.. وعلى ذلك ينبغي تصـعيد الخـلاف إلى اللّه، وليس إلى النبيّ"[١٣]... فاللّه هو المسؤول. إنّه

(١٠) المرجع نفسه، ص ٧٢.
(١١) المرجع نفسه، ص ٧٣–٧٤.
(١٢) المرجع نفسه، ص ٧٩–٨٠.
(١٣) زوجات النبيّ محمّد وحكمة تعدّدهنّ، المسيرة بيروت، ١٩٩١، ص ٣٥.

هو الذي أباح للنبيّ تسعاً وما ملكت أيمانه، بحسب كلام اللّه في سورة الأحزاب ٣٣/ ٥٠-٥٢.

وحكمة ذلك، وردًا على الطاعنين بالنبيّ، بسبب تعدّد زوجاته، يقول عبد الغني:

١. "إنّ العديد من الأنبياء والرسل السابقين قد تزوّجوا بأكثر من واحدة. فلماذا لم يُعب أحدٌ عليهم ذلك؟!

٢. ثمّ إنّ الناظر إلى زوجات النبيّ أنفسهنّ يجد أنّ معظَمَهنّ كبيرات في السنّ لا يصلحنَ لإشباع الشهوات. وفي الوقت الذي كان بوسع رسول اللّه إحاطة نفسه بأجمل الجواري، لم يفعل ذلك؛ واكتفى بنسائه الهَرِمَات "(١٤).

خامساً – رأي الدكتور فهمي الشنّاوي

للدكتور الشنّاوي حكمة أخرى في تعدّد نساء النبيّ: فهو يعجب من الذين يُعانون من عقدة الجنس في نفوسهم، ويريدون أن يعكسوها على النبيّ! يقول: " وكلّ ما يَلفظ به حاقدوه هو طرح وانعكاس لعقدة الجنس عندهم هم، ويرون الأمرَ من خلال ضعفهم هم للجنس. ويعمون عن الناحية السياسيّة الواضحة في كلّ زيجة، بينما الجنس الذي يعربد بهم هم يطوح بهم من مئات من الإناث، لا يُحصونهم، ولا يعرفون لهم تاريخا، ويكتمونها. وكلّ هذا مخالف تماما للناحية الجنسيّة في حياة نبيّ البشر وسيّد البشر "(١٥).

سادساً – رأي السيّد أمير مهنّا الخيامي

يركّز السيّد الخيامي حكمة تعدّد النساء عند النبيّ على سياسة تربويّة رشيدة اتّبعها الرسول لتربيّة الأمّة، وتربية النساء أيضا، وكيفيّة العدل

---

(١٤) المرجع نفسه، ص ٥٩.

(١٥) المرجع المذكور، ص ٧٤.

والمساواة بينهنّ، والحاجة إليهنّ في تعليم بعض أحكام تستحي النساء سؤال النبيّ عنها.. كما يذكر معظم الأسباب السياسيّة والعاطفيّة والاجتماعيّة التي يذكرها مسلمون آخرون.

١. يقول: "ممّا لا شكّ فيه أنّ الحكمة العامّة لهذا التعدّد تلمح، في جانب منها، السياسة الرشيدة في تربية الأمّة، وضرب المثل الصالح في معاشرة النساء بالمعروف، والعدل بينهنّ، وتخريج بضع معلّمات لنساء المسلمين يُعلّمنَهُنَّ الأحكام الشرعيّة الخاصّة بهنّ، ممّا كان رسول اللّه يستحي أن يخاطب به نساء أمّته في أمورهنّ الخاصّة...كما كان أكثرهنّ يستحيين أن يسألنه عن أحكام الزوجيّة والجنابة والطهارة وغيرها.. "(١٦)

٢. "وكانت المؤمنات تسألنه عن كلّ ما يعرض لهنّ على اختلاف درجاتهنّ في الحياء، حتى كان بعضُهنّ يشكون إليه هجْر بعولتهنّ لهنّ اشتغالاً بالتعبّد أو لغير ذلك. وكان لا بدّ له من تعليمهنّ وإنصافهنّ من بعولتهنّ. وكان أزواجه خير مبلّغ له عنهنّ ولهنّ عنه في حياته، وخير مرجع في الاستفتاء النسوي بعد وفاته. وَمَنْ ذَا الّذي يقولُ إنّ زوجةً واحدةً كان يمكنُ أن تقومَ بهذا الواجب وحدها؟ "(١٧).

٣. و"كان الرجال (أيضا) يرجعون إلى أمّهات المؤمنين في كثير من أحكام الدين، ولا سيّما الزوجيّة منها. فمن كان له قرابة منهنّ كان يسألها دون غيرها.. من هنا كان أكثر الرواة عن أمّهات المؤمنين من أخواتهنّ وإخوانهنّ وأبناء وبنات إخوانهنّ وأخواتهنّ وغيرهم من الأقارب والصحابة والتابعين.. فهل كان يمكن أن ينقل ذلك كلّه زوجةٌ واحدةٌ يُروى عنها كلّ مَن روي عن أمّهات المؤمنين؟! "(١٨).

---

(١٦) أمير مهنّا الخيامي، زوجات النبيّ وأولاده. سيرة وتاريخ. مؤسسة عزّ الدين، بيروت ١٩٩٠. ص١٠.

(١٧) ألمرجع نفسه، ص ١١.

(١٨) ألمرجع نفسه، ص ١١.

٤. "ويجب ألاّ نغفل الجانب الإنساني لهـذا التعدّد" : مثل النساء اللّواتي فقدن بعولتهنّ فوجدن في النبيّ خـير معيل، والنساء اللّواتي أسلمن فوجدن في النبيّ خـيـر مـدافع لهنّ يردّ عنـهنّ أذى المشـركين، و غـيـر ذلك من أصناف النساء[١٩].

٥. ومن النساء أيضا مَن "زُوِّجْنَ لحكمةٍ اقتضتْـها المشيئة الإلهيّة، وهي إبطال بدعة التبنّي التي كانت متّبَعةً في الجاهليّة (مثل زينب بنت حجش)[٢٠].

٦. "يضاف إلى ذلك الجانب المادّي الذي يتمـثّل في جمع شمل القبائل، ولمّ شعثها، وتوحيد كلمتها، لإعلاء راية الدين الحنيف. من هنا، كان نساء النبيّ، على كثرتهنّ، من قبائل شتّى"[٢١].

"هذه الأمور ومثيلاتها جعلت النبيّ يُكثر من زوجاته بدافع رسالي"[٢٢].

سابعاً – رأي الدكتورة بنت الشاطئ

ترى بنت الشـاطئ مـا يرى الدكـتـور الشنّاوي، وتتّـهم الذين أعـمـاهم التعـصّب والحقد. وتقدّم البـراهين على شرعيّـة التعدّد وصوابيـته من كل ناح. نختصر كلامها ونحدّد كلّ رأي تحت رقم. تقول:

١. إنّ الذين لا يرون في تعدّد الزوجـات سوى مظهرٍ مادّيّة مـسرفة، هم في ضلال يمليه عليهم التعـصّبُ الأحمق، والهوى المضلّ، والانحراف عن المنهج العلمي الصحيح، الذي يأبي أن يـقيس مسألة تعدّد الزوجات بمقـاييس عصرية مستحدثة، أضرّتْ بالمرأة والأسرة والمجتمع.

---

(١٩) المرجع نفسه، ص ١١-١٢.
(٢٠) المرجع نفسه، ص ١٢.
(٢١) المرجع نفسه، ص ١٢.
(٢٢) المرجع نفسه، ص ١٢.

٢. إنّ البيـئة، التي نشأ فـيها نظامُ تعـدّد الزوجات، لم تخـترْ هذا النظام اختيـارا حرّا، إنمّا قضت به طبيعـة الزمان والمكان، في مجتمـعٍ ألبنون فيه زينة الحياة، وفخرُ المرأة الإنجاب، وفخرُ الرجال ألولد وعزّة النفس(٢٣).

٣. إنّ الذين يرفـضـون تعدّد الـزوجات، ويدّعـون بالتـالي اتّبـاعَ نظام الزوجة الواحدة، هم منافقون. تعـدُّد الزوجات، في رأي بنت الشاطئ، أنقذ المرأةَ العـربيّة من نظام أبشـع من التعـدّد، وهو هذا الرقّ العـصري، المتـمثّل بزوجـة شرعيّة واحدة، ولكن مع كثيرات من العشيقات بنات الحرام.

٤. ثمّ إنّ الإسلام لم يتركِ الحرّيّة للرجل بامتـلاك الزوجات بغير حدود، أو قيود. بل هو قيّد التعدّد شـرعاً بأربع. ففارق الصحابةُ مَن زدْنَ على أربع من نسائهم، ولهنّ أن يتزوّجنَ من بعدهم.. بيـد أنّ النبيّ تخطّى هذه القيود، وقد حُقّ له ذلك بسبب وضعه المميّز، وهو ما لا يحقّ لأحدٍ غيره من الرجال العاديين.. غير أنّ من المسلمين من فهمَ "الأربع" ألكثرة من النساء، لا معنى الحصر والتقيّد.

٥. وربما بنى الإسـلامُ نـظامَ التـعـدّد هذا على مـا تكتـفي به المرأةُ من الرجال. أي قد تكون سعادتُها بما تحـصل عليه من رجوليّة الرجل. وإنْ حصلتْ على ذلك واكتفتْ، فـما يضرّها وجودُ أخريـات معها! والنبيّ كان باسـتطاعته أن يكفي كلَّ واحدة مـن نسائه بما تحتـاجُ به منه إليه. في هذا تقـول بنتُ الشاطئ: "في مسـألة التعدّد جانبٌ دقيق، غـفلَ عنه كثيرٌ ممّن هاجموه: ذلك هو أنّ الرجالَ ليســوا سواء. وقد تؤثرُ أنثى راضـية أن يكون لها حظُّ النصف من حـياة رجل، على أن يكون لها غيره كاملا". والحال أنّ النبيّ كان كاملاً مع كلّ امرأة.

٦. هذه الفكرة، توضحُها بنتُ الشاطئ، ولو بخـفرٍ وحياء. تقول: "وليس مـعنى هذا أنّ نساء الـنبيّ كنّ سعـيـدات بحيـاة الضـرائر، ولا هو يقتـضـي أن

(٢٣) بهذا المعنى أيضا قال الشنّاوي: "إنّ رسول الله جاء قوما يعدّدون. فهو حين عدّد لم يكن بدعا بينهم في التعدّد.. فالرسول لم يشرّع التعدّد، وإنما جاء والتعدّد نظام قائم له ولكلّ الناس" (عن أسماء أبو بكر، ص ٥٣).

تستريح إحداهنّ إلى هذه المشاركة في الزوج؛ ولكن معناه على التحديد أنّ محمداً، صلّى اللّه عليه وسلّم، كان من ذلك النَمَطِ الفريدِ بينَ الرجالِ، الذي تُؤثرُ الزوجةُ أن يكونَ لهَا أيُّ مكانٍ في بَيتِه، على أن تكونَ لهـا مع غيره مملكةٌ مستقلّةٌ تنفردُ بها دونَ مشاركة "[٢٤].

٧. لم تُنكرْ بنتُ الشاطئ ما حدث في البيت النبوي من صراع واحتدام بين النساء. بل هي تعترف بما "شهد البيت المحمّدي من غَيرة نسائه المحتدمة"، إلى درجة أنّ هذه الغيرة "جعلتْ من هذا البيت مَيداناً لمعاركَ نسويّة لا تهدأ ولا تفتر". ومع هذا، أدركتْ الدكتورة بأنّه "ليس من بين أزواجه، صلّى اللّه عليه وسلّم، مَن دخلتْ بيتَه وفي حسابها أن تنفردَ به. فقد كانت مسألةُ التعدّد طبيعيّة إلى حدّ يسهل علينا تصوّره". هذا التصوّر تعني به بنتُ الشاطئ ما يلي: "لو خُيِّرتْ نساءُ النبيّ بين حياتهنّ تلك المشاركة في بيت واحد مع زوج واحد، وحياة أخرى منفردة في غير ذلك البيت، لما رضين عن حياتهنّ (مع النبيّ) بديلا".

٨. وأخيراً ترى الدكتورةُ بنتُ الشاطئ أنّ الغيرة بين نساء النبيّ هي "شاهدة على سلامة الفطرة، وصحّة النفس، وعمق الفهم لطبيعة حوّاء". هذه الغيرة، مهما جمحتْ بهنّ، فهي، فيهنّ، "ضعفٌ في الطبيعة البشريّة، وليس إثما في حياة النبيّ"؛ فـ "مثْل رسول اللّه مَن يَعذر ويقدّر ويرحم"؛ لأنّ النبيّ يدرك تمام الإدراك بأنّ ما يجده في فطرة حواء لا يدعو إلى الغض والازدراء.. فهو يرحمهنّ أيضا، ويعذرهنّ، ويقدّر طبيعتهنّ.. فلا إثم عليه ولا عليهنّ. وفي الواقع، كان رسولُ اللّه يبحثُ عن نساء قليلات الغيرة؛ إذ لا يريد أن يسيء إلى إحداهنّ: "قيل لرسول اللّه: ألا تتزوّج يا رسول الله من نساء الأنصار، فإنّ فيهنّ جمالاً؟ فقال رسولُ اللّه: هنّ نساء فيهنّ غيرة شديدة، ولا يصبرْنَ على

(٢٤) مقصود الدكتورة واضح، وهي تستند إلى أحاديث نبويّة أكثر وضوحا، مثل أنّ رسولَ اللّه كان يتمتّعُ بـ "قوّة أربعين رجلا في الجماع" (طبقات ابن سعد، ٨/١٩٢-١٩٣). فإذا كانت كلُّ امرأة تحصلُ على رجل كامل من الأربعين، مجموع قدرة رسول الله، فماذا يُضيرُها إنْ شاركتْها أخريات في القوّة الباقية من رسول اللّه!

الضرائر، وأنا صاحب ضرائر، وأكرهُ أن أسوء قومَها فيها "[٢٥].

هذه هي حججُ الدكتورة بنت الشاطئ في حكمة تعدّد الزوجات في بيت رسول اللّه. يشاركها بها كثيرٌ من المسلمين. ومعتمدها، في حججها هذه، حالة الإنسان الطبيعيّة. وقد فسّرتْ كلّ ذلك تفسيرا طبيعيًا. إنها أمور تحدث للرجال. والدليل من هذا المجتمع الغربيّ الذي يعطي حجّة كافية على صوابيّة هذا التعدّد... وإذا كان، ثمّة، من غَيرَةٍ، فهو أيضا أمرٌ طبيعيّ. ولا يجب أن يقفَ بوجه التعدّد. والأسطر التالية توضحُ ما نقول.

ثامناً – رأي الحافظ

في ما سبق كانت آراء مسلمين معاصرين، استندوا إلى مسلمين من العهود الإسلاميّة الأولى. وكان "الحافظ" في كتابَيه "الفتح" و"التلخيص" أهمّهم. جاء في "التلخيص" (٣/١٥٨) في حكمة تعدّد النساء عند النبيّ ما يلي:

"**ألأوّل:** زيادة في التكليف حتى لا يلهو بما حُبّب إليه منهنّ عن التبليغ.

ألثاني: ليكون مع مَن يشاهدها فيزول عنه ما يرميه به المشركون من كونه ساحرا.

ألثالث: ألحثّ لأمّته على تكثير النسل.

ألرابع: لتُشَرَّف به قبائل العرب بمصاهرته فيهم.

ألخامس: لكثرة العشيرة من جهة نسائه عونا على أعدائه.

ألسادس: نقل الشريعة التي لا يطّلع عليها الرجال.

ألسابع: نقل محاسنه الباطنة "[٢٦].

---

(٢٥) طبقات ابن سعد، ٨/ ٢٠٥.

(٢٦) عن أسماء أبو بكر، زوجة واحدة هل تكفي؟!، ص ١١٠-١١١.

فاعـتمـاداً على حكمة تعـدّدِ النساء في البـيت النبوي، التـي يُجمع عليـها المسلمون كـافّة، راح النبيّ يُعدّد. وراحتِ النساء تـسـعى وراء النبيّ، ليكونَ لهنّ فيه حظُّ الانتساب إلى حريمه، وليكون له فيـهنّ متعة وسكون. أخبرَنا أَنَس قال: "جاءتِ امرأةٌ إلى رســولِ اللّه تَعرض عليه نفسَهـا. قالت: يا رسولَ اللّه! أَلَكَ بي حاجَةٌ؟! فقالتْ بنتُ أَنَس: ما أقلَّ حـياءَهـا! واسَوْأتاهْ! واسَوْأتَاهْ! قال (النّبي): هي خيرٌ منكِ. رغبتْ في النبيّ فعرضتْ عليه نفسَها "[٢٧].

تاسعاً – التعدّد وغيرة النساء

قد تكـون الغيرة بين النـساء سبـبا أسـاسيّا عـند الذين يرفضـون تعدّد الزوجات. وهي الباب الأكثر حسـاسيّةً للطعن في تعّدد الزوجات عند النبيّ وعند المسلمين أيضـا. هذه الغـيرة يعترف الرسول بهـا، ويقرّ بأنّها من طبيعـة البشر، ويعـرف خطورَتها على النـساء وعلى الرجـال معـا، وحتـى على النبيّ نفســه. والأخبارُ في غـيرته كثيرة، نودُّ نقلَ بعضِـها. فهي أيضـا تسـاهم في مـعرفة سرّ حكمة التعدّد.

عن أبي هُريرة قال: "بينما نحن عند رسول اللّه جلوسٌ، فقال رسولُ اللّه: بينما أنــا نائم رأيتُني في الجنّة. فإذا امــرأةٌ تتوضّأ إلى جـانب قصــرٍ. فقلتُ: لمن هذا؟ قالوا: هذا لعُمــر. فذكرتُ غَيرَته. فولّيتُ مُدبراً. فـبكى عُمر وهو في المجلس. ثم قال: أوَعليكَ يا رسولَ اللّه أغار؟! "[٢٨].

وعن سَعـد بن عُبادة قال: "لو رأيتُ رجـلا مع امرأتي لضـربتُـه بالسيفِ غيـرَ مُصفِحٍ. فـقال النبيُّ: أتَعجـبونَ من غـيرة سَعـدٍ؟ لأنا أَغيَرُ منه. واللّهُ أغـيَرُ منّي "[٢٩]. ويدافع النبيّ عن غيرة ابنته فاطمة التي لا ترغب هي، ولا هو أيضـا، أن

(٢٧) صحـيح البخاري، كـتاب النكاح، باب عرض المرأة نـفسَها عـلى الرجل الصالح ٧/١٧. التاج ٢/٢٨٨.

(٢٨) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الغيرة، ٧/٤٧.

(٢٩) المرجع نفسه، ٧/٤٥.

يكون لهـا ضرّةٌ تحت عليّ بن أبي طالب: عن المِسْوَرِ بن مَخْرَمَة قال: سمعتُ رسولَ اللّه يقول، وهو على المنبر: إنّ بني هِشام بن المُغيرة استأذنوا في أن يُنكِحوا ابنتَهم عليَّ بن أبي طالب، فلا آذَنُ، ثمّ لا آذن، ثم لا آذن. إلاّ أنْ يُريدَ ابنُ أبي طالب أن يُطلّقَ ابنتي، ويَنكِحَ ابنتَهم. فإنّما هي بضعةٌ منّي. يُريبُني ما أرابَها. ويُؤذيني ما آذاها. هكذا قال "[٣٠].

ولقد نبّه رسولُ اللّه إلى خطورة امتلاك الرجل أكثر من امرأة، لأنّه، لا بدّ من أن يميلَ إلى واحدةٍ منهنّ على حساب الأخريات. ويخشى، والحالة هذه، أن ينالَ عقابَه شديدا يومَ القيامة: عن أبي هُريرة قال: " من كانت له امرأتان يميل مع إحداهما على الأخرى جاء يومَ القيامة وأحدُ شِقّيه ساقط "[٣١]

بيد أنّ الفقهاء، رفعاً لخطورة الغيرة، ودفاعاً عن تعدّد الزوجات، معاً، ميّزوا بين ميل القلب في عدم المساواة في الشؤون العاطفية بين النساء، وميل المفاضلة في عدم المساواة في الشؤون الماليّة والمادّية بينهنّ.

الميلُ الأوّل لا علاج له، ولا براء منه، لأنّه أمر طبيعيّ، لا شأن للرجل فيه. والميلُ الثاني لا يمكن أن يُسامح فيه، لأنّه من العدل بين البشر.

عاشراً – تعدّد النبيّ وتعدّد المسلمين

إنّ تعدّد الزوجات عند المسلمين، يختلف عمّا هو عند النبيّ نفسه. وتفسير التعدّد عند المسلمين يختلف اختلافا كبيرا في ما بين المفسّرين.. والكلّ، في كلّ حال، يستند إلى آية النساء ٤/٣ التي تقول:

" وإنْ خِفتُم ألاّ تُقسِطوا في اليتامَى،
فانكِحوا ما طابَ لكم من النساءِ،

---

(٣٠) المرجع نفسه، باب ذبّ الرجل عن ابنته في الغيرة والإنصاف، ٧/٤٧.

(٣١) سنن إبن ماجة، رقم ١٩٦٩، وابن داود، رقم ٢١٣٣.

مثنَى وثُلاثَ ورُباعَ؛
فَإنْ خِفتُمْ ألاّ تَعدِلوا فواحِدَةً،
أو مَا مَلَكَتْ أيْمَانُكم.
ذلكَ أدنَى ألاّ تَعُولوا ".

معنى ذلك عند المسلمين: التشريع للزواج من أربع نساء معا. والحذر من الظلم بينهنّ. والإحسان الى الزوجات والعدل بينهنّ واجبان، كالإحسان إلى اليتامى والعدل معهم. و "أرادَ اللّهُ، على حدّ قول عمر فرّوخ، أن يقولَ للعرب (المسلمين): إنّ نساءَكم رعيّةٌ لكم، كما أنّ الأيتامَ الذين في كفالتكم رعيّةٌ لكم. فاحرصوا أن تَعدلوا بين النساء كحرصِكم على العدل بين الأيتام. فإذا أيقنتم أنّكم تستطيعون العدلَ بين زوجاتكم المتعدّدات جاز لكم أن تُعدّدوا الزوجات "[٣٢].

ثم عاد القرآن وقال إنّ الإنسان، مهما عدلَ، فلا يستطيعُ أن يُنصف بين زوجاته، فنصح قائلا: " ولَن تَسْتطيعُوا أنْ تَعدِلوا بينَ النِساءِ ولو حَرِصْتُم.فلا تَميلوا كلَّ الميلِ (عن إحداهُنَّ) فَتَذْرَوهَا كالمُعَلَّقَة " (٤/ ١٢٩).

وتفسير ذلك: "إذا كنتم لا تَستَيقنون من أنفسكم أنّكم تستطيعون العدلَ، في النفقة والمعاملة والمساكنة، إذا تزوّجتم أكثرَ من امرأة، فاقتصروا على امرأةٍ واحدة "[٣٣]. أي إنّ قلبَ الإنسان لا يستطيع أن ينقسم بحبّه إلى أكثر من واحدة. فلهذا كان على الإنسان، بطريقة عادية، أن يمتنعَ عن التعدّد، لأنّ التعدّدَ هو حالة غير عاديّة.

ثمّ إنّ الظلمَ واقعٌ على المرأة، لا محالة، إذ تكون، مع الرجل المتعدّد الزوجات، "لا مُطلّقة ولا معلّقة"، أي أنّ زوجَها لا يطلّقها فتستطيع حينئذ أن تتزوّج غيرَه، ولا هو يعاملها معاملة الزوجة بمحبته[٣٤].

---

(٣٢) عمر فرّوخ، الأسرة، ص ٨٨، حاشية ١.
(٣٣) المرجع نفسه.
(٣٤) المرجع نفسه.

إنّما هناك، في رأي المسلـمين، ضروريات تدعو الى نظام تعـدّد الزوجات. منها:

١. كثرة النساء إثر الحروب.

٢. عاهة ما نزلت بالزوجة، لا يجد الزوجُ منه وفاءً في طلاقها.

٣. المرأة العاقر وحرص الزوج على ذريّة له.

وعند أسماء أبو بكر حجج كثيرة، نذكر منها ما يلي:

٤. منها المرأة الواحدة تَحيض وتمرض وتنفس، إلى غير ذلك من العوائق المانعة من قـيامها بأخـصّ لوازم الزوجيّة. والرجل مسـتعدٌّ للتـسبب في زيادة النسل. فلو حُـبس عند زوجته في أحـوال أعذارها كلّها لعُطّـلتْ منافعُه في غـير ذنب.

٥. ومنها أنّ اللّه أجرى العادة بأنّ الرجـالَ أقلُّ عدداً من النسـاء في أقطار الدنيا، وأكـثرُ تعرّضا لأسـباب الموت منهنّ في جميع مـيادين الحياة. فلـو قصر الرجل على واحدة لبقي عددٌ ضخمٌ من النساء محرومات من الزواج.

٦. ومنهـا أنّ المستـعدّين للزواج مـن الرجال أقلّ من المسـتعـدّات له من النسـاء بكثـيـر؛ لأنّ المرأةَ لا عـائـقَ لهـا أو أمـامَـهـا. والرجلُ يعـوقُـه العـامل الاقتصادي... فلو قـصر الواحد على الواحدة لضاعَ كثيـرٌ من المستعدّات للزواج بعدم وجود أزواج، فيكون ذلك سبباً لضياع القيم.

٧. ثم إنّ اللّه أباح تعدّدَ الزوجـات لمصلحة الأمّة، ليكثـرَ عددُها، فيُـمكِنُها مقاومة عدوِّها وعدوِّ دينِها الذي يتربّصُ بها ليلَ نهار..(٣٥)

هذا يعني، في الحقيقة، وبكلّ بسـاطة، أنّ تعدّد الزوجات شُرّع للضـرورة فـقط، لا للمتـعة. والضـرورات، في كثـيـر من الأحوال، تبـيح المحظورات، فكم بالحري أنّها تبيح الاستمتاع!

---

(٣٥) أسماء أبو بكر، المرجع المذكور آنفا، ص ١٠٧-١١١.

يُضاف إلى ذلك، وفي رأي أسماء أبو بكر نفسها، بأنّ تعدّدَ الزوجات في مجتمعنا المعاصر والمتحضر هو تخلّف، ولا يتناسب مع الرقيّ الحاصل. تقول: "إنّ تعدّدَ الزوجات في مجتمعنا لا يُمثّلُ مشكلةً بحالٍ من الأحوال.. كما يحلو للبعض من المغالطين أن يزعموا. فإنّ نسبةَ مَن تتعدّدُ زوجاتُهم لا تتجاوزُ الآن ٢٪ أو ١٪. ومع الصحوة الإسلاميّة المباركة، ومع انتشار التعليم والثقافة والوعي، وأخْذِ العابثين بالزواج بشيء من الحزم والشدّة، تتناقَصُ هذه النسبةُ، حتى تقفَ عند الحالات التي تقتضي التعدّد، والتي تتوافر فيها مشروعيّته بجلاء ووضوح "(٣٦).

(٣٦) المرجع نفسه، ص ٨٧.

الفصل السادس

نساء رسول الله

من نساء رسول الله مَن هنّ أمّهات المؤمنين؛ لهنّ في الإسلام وضعٌ خاصٌ جدًا.

ومنهنّ مَن هنّ زوجات عاديات؛ ميّزهنّ النبيّ بحبّه لهنّ دون أن يكون لهنّ امتيازٌ خاصٌ سوى تمتّعهنّ بحبّه.

ومنهنّ مَن هنّ سبايا حروب وغزوات، وإماء هنّ ملك يمينه؛ لا فضل لهنّ سوى أنهنّ حظين بإعجاب رسول الله.

ومنهنّ مَن أحبّهنّ النبيّ دون مجامعتهنّ لحائل ما عندهنّ.

ومنهنّ مَن خُطبنَ للنبيّ، ومنعهنّ مانعٌ ما من الوصول إليه.

سوف نتوقّف عند كلّ واحدةٍ منهنّ، لنتعرّف عليها، وعلى مكانتها، ودورها، وعلاقتها بالرسول، مع ما توفّر لنا من معلومات دقيقة من مختلف المراجع الإسلاميّة الأكيدة. وسنبيّن شخصيّة كلّ امرأة، كان لها مع النبيّ علاقة زوجيّة، أو عاطفيّة. ولم يكن الوحيُ الإلهيّ غائبا عن ما حدث للنبيّ مع نسائه. سوف نكون واضحين دقيقين في الكلام على موضوع دقيق وجريء.

١

خديجة

بنت خويلد بن أسد بن عبد العزّى بن قُصَيّ

"خير نساء الجنّة مريم بنت عمران، وخير نساء الأرض خديجة بنت خويلد"[(١)].

إنّها أوّل امرأة تزوّجها النبيّ. وأوّل من أسلم من الرجال والنساء.

كانت تُدعى في الجاهليّة ألطاهرة.

وكانت، قبل رسول اللّه تحت أبي هالة التميمي، فولدت له هنداً وهالة.

ثمّ كانت تحت عتيق بن عابد المخزومي، فولدت له هندا[(٢)].

ثمّ خلف عليها رسولُ اللّه، وهي في سنّ الأربعين. تزوّجها قبل الوحي، وعمره خمس وعشرون سنة. وأقامت معه أربعاً وعشرين سنة (٥٩٥–٦١٩).

ولدت له أولادَه كلّهم، قبل أن ينزل عليه الوحي. وهم: زينب، أم كلثوم، رقيّة، فاطمة، ألقاسم، ألطاهر، ألطيّب. وقيل: عبداللّه أيضا.

توفّيت في السنة التاسعة من البعثة (٦١٩)، أي قبل الهجرة بثلاث سنين.

لخديجة أن تفتخر على أزواج النبيّ جميعهنّ، لأنّها :

---

(١) صحيح مسلم، ٧/ ١٣٢.

(٢) يقال أنّها تزوّجت عتيقا قبل أبي هالة. أنظر روايات ابن هشام ١/ ١٩٣، تاريخ الطبري ٣/ ١٧٥، ألمحبر ٧٩، ألسمط الثمين ١٣، عيون الأثر ١/ ٥١، الإستيعاب بهامش الإصابة ٤/ ١٨١٧، جمهرة انساب العرب ١٣٣، طبقات ابن سعد ٨/ ١٤–١٥.

١ كانت أوّل من تزوّجها رسول اللّه،

٢ وكانت المرأة الوحيدة تحته؛ ولم يتزوّج عليها، في حياتها، غيرها.

٣ وكانت الوحيدة التي تزوّجها في مكّة، وقبل الهجرة.

٤ والوحيدة التي تزوّجها قبل الدعوة، وقبل إعلان النبوّة.

٥ وحدها، من بين نسائه، تزوّجت إنسانا عاديّا؛ فيما سواها تزوّج نبيّا[٣].

٦ ساهمت معه في إعلان الإسلام، وتوضيح معالم النبوّة.

جاء أبو طالب يوماً محمّداً بنَ أخيه يشكو إليه ضيقَ الزمان، قائلاً: "يا ابنَ أخي! أنا رجلٌ لا مالَ لي، وقد اشتدّ الزمانُ علينا، وألحّتْ علينا سنون منكَرة، وليس لنا مالٌ ولا تجارةٌ. وهذه عِيرُ قومكَ قد حضرَ خروجُها إلى الشام، وخديجة تبعثُ رجالاً يتّجرونَ في مالِها، ويُصيبون منافعَ. فلو جِئتَها لفَضّلَتْكَ على غيرك لِما يبلغُها عنك من أمانتك وطهارتك. وإنْ كنتُ أكرهُ أن تأتيَ الشامَ وأخافُ عليك من يهود.. وقد بلَغَني أنّها استأجرتْ فلاناً ببكرين (أي جمَلَين)، ولسنا نرضى لكَ بمثلِ ما أعطتْهُ. فهل لكَ في أن أكلّمَها؟"[٤]

لم ينتظر أبو طالب جواب ابن أخيه، حتى ذهب وكلّم خديجة في شأنه. فاستجابت خديجة لطلبه، لحاجتها إلى من يعمل لها في تجارتها الواسعة. وكانتْ قد تحرّت عن محمّد، فسمعتْ عن أمانته الكثير.

"ولمّا بلغ خديجةَ عن رسول اللّه ما بلغَها من صدق حديثه، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه، بعثتْ إليه، فعرضتْ عليهِ أن يخرجَ في مالٍ لها إلى الشامِ تاجراً،

(٣) كإنسان عادي، تزوّج محمّد امرأة واحدة فقط؛ ولما أصبح نبيّا عدّد.

(٤) ابن سيّد الناس، عيون الأثر، ١/٥٧، إبن هشام ١/١٩٩، السمط الثمين ١٣، تاريخ الطبري ٢/١٩٦.

مع غلامٍ لها يقال له مَيْسَرَة. فقبلَه رسولُ اللّه منها. وخرجَ في مالها ذلك، وخرج معه غلامُها مَيسرة حتى قدِمَ الشام "(٥).

وكانت قد قالت له: "أنا أعطيكَ ضعفَ ما أُعطي قومَك".

ففعل رسول اللّه، وخرج إلى سوق بصرى، فباع سلعته، واشترى غيرَها، وقَدِمَ بها. فربحتْ ضعفَ ما كانتْ تربح. فأضعَفَتْ لرسول اللّه ضعفَ ما سَمَّتْ "(٦).

وكان ميسرة يخبر خديجةَ بكلّ ما كان يجري لمحمّد من نجاح في التجارة، من أمور غريبة، مثل ظهور ملاكَين يحرسانه، وغمامة تظلّله، وتنبّوء راهب بصرى.. حتى جال في بال خديجة، لكثرة ما سمعتْ ورأتْ واختبرتْ، أمرٌ ما... فبعثتْ، يوما، صديقَتها نَفِيْسَة بنت منيّة، تطلبُ، بواسطتها، يدَ محمّد. وروتْ لنا نَفيسَة وساطَتَها، فقالت:

"أرسلتْني دَسِيساً (سرّا) إلى محمّد، بعدَ أن رجع في عِيرِها من الشام.

فقلتُ: يا محمّد!! ما يمنعُكَ أن تتزوّج؟

فقال: ما بيدي ما أتزوّجُ به.

فقلتُ: فإنْ كُفِيتَ ذلك، ودُعيتَ إلى المال والجَمال والشرف والكفاية، ألا تُجيب؟

قال: فمن هي؟

قلتُ: خديجة.

قال: وكيف لي بذلك؟!

قلتُ: بلى. وأنا أفعل.

(٥) سيرة ابن هشام، ١/ ١٧١-١٧٢.
(٦) طبقات ابن سعد ٨/ ١٦.

فذهبتُ وأخبرتُها. فأرسلتْ إليه أنِ ائتِ الساعةَ كذا وكذا "[٧].

" وكانت خديجة يومئذٍ أوسطَ (أشرف) نساء قريش نسباً، وأعظمهنّ شرَفا، وأكثرهنّ مالاً. كلّ قومِها كان حريصاً على ذلك منها لو يقدر عليه "[٨]. لقد كانت " امرأة حازمة شريفة لبيبة، مع ما أراد اللّهُ بها من كرامته "[٩].

وعندما بلغتِ الساعة التي حدّدتْ خديجة توقيتَها، سارع محمّدٌ ملبّياً حلماً لم يتوقّعْه، حلماً يعوّض عن حرمان عميق، متجذّرٍ في النفس... حضر رسولُ اللّه، ومعه عمّاه: أبو طالب وحمزة. وحضرت خديجة، ومعها ابنُ عمّها القسّ ورقة بن نوفل، وعمُّها عمرو بن أسد[١٠].

وخطب أبو طالب، وليّ رسول اللّه، فقال:

" أمّا بعد، فإنّ محمّداً ممّن لا يوازن به فتى من قريش إلاّ رجح به شرفاً ونبلاً وفضلاً وعقلاً. وإنْ كان في المال قلّ، فإنّما المالُ ظلّ زائل، وعارية مسترجعة. وله في خديجة بنت خويلد رغبةٌ، ولها فيهِ مثلُ ذلك... "

وخطب القسُّ ورقة بن نوفل، وليّ خديجة. فقال:

" ألحمد للّه الذي جعلَنا كما ذكرتَ، وفضّلَنا على ما عدّدتَ. فنحن سادة العرب وقادتها، وأنتم أهلُ ذلك كلّه. لا يُنكِرُ العربُ فضلَكم. فاشْهَدوا عليّ، يا مَعشرَ قريش، إنّي قَد زَوّجْتُ خديجةَ بنتَ خويلد من محمّد بن عبداللّه ".

وانتهى الأمر. وتعانق الزوجان. والتزم بعضهما بعضاً حتى الموت.

---

(٧) طبقات ابن سعد ١١ / ١٣١، ألسيرة الحلبيّة ١ / ١٥٢-١٥٣...

(٨) طبقات ابن سعد، ٨ / ١٥.

(٩) سيرة ابن هشام، ١ / ١٧٢-١٧٣.

(١٠) هناك اختلافٌ في الروايات، عمّا إذا كان عمّها أو أبوها أو أخوها هو الحاضر وقت الزواج.

وفرح أبو طالب فرحاً كبيـرا. وعبّر عنه بقوله: "ألحمدُ للّه الذي أذهبَ عنّا الكروبَ ودفعَ عنّا الغمومَ.. وهو، واللّهِ، بعـدَ هذا (الزواج)، لـــه نبأٌ عظيمٌ وشأنٌ خطيرٌ"[١١].

وتعلّقُ السيّدةُ عائشة بنت الشاطىء على هذا الزواج الميمون، وهي مترعةٌ بالنشوة، سعيدةٌ لسعادة رسول اللّه. فتقول:

"ولمّا انتهى العـقدُ، نُحِرَتِ الذبائح، ودُقّتِ الدفـوف، وفُتحتْ دارُ خـديجة للأهل والأصدقاء[١٢].. واغتـبط محمّـد بامرأة مـحنّكة غنيّة. فإذا بـه يجدُ فيـها عِوَضاً عن الأم والأخت والأب والأخ...

واستمـرّتِ الرحلةُ أربعاً وعشــرين سنة، "ارتوى محمّد خـلالها من نبع الحنان، معوِّضاً بذلك حـرمان ماضٍ يتيم"[١٣]. ورُزق أولاد، وفرح بهم. وكانت خديجة أمينة له، كما كان هو أيضاً، مدى العمر.

إلاّ أنّ السعادة لن تكون كاملة: لقد فَقَـدَ محمّد أولادَه الذكور كلّهم. فذاق حرمــانا جديدا، أشدّ من كلّ حــرمان. وسيكون له فعلـه في نفسه وفي مســيرة حياته.

وفي رحلة العمــر هذه، كان القسّ ورقــة، إبن عم السيّدة خـديجة، ونديم عبـدالمطّلب، ورئيس النصارى في مكّة، لا يزال نشـيطا، فراح يدرّب محـمّدا على الخلوة في غار حِـراء، يجاوران اللّه معــا، يتعبّـدان طوال شـهر رمـضـان من كلّ سنة، ويتـفقّـهان بالكتب المقـدّسة، ويصــومان ويصلّيـان بحسب عــادات القسّ وجمــاعته النصــرانيّة الإبيونيّــة.. واستمــرّ الأمر كذلك حـتى شارف النبيّ على الأربعين.

---

(١١) أنظر سيرة ابن هشام، ١/ ١٩٤؛ والسيرة الحـلبيّة، ١/ ١٥٥؛ والسيرة المكيّة، ١/ ١٢٣.. وسواها من السير.

(١٢) إذ لم يكن لمحمّد بيت يأوي إليه، بعد زواجه، فكان منزلُ خديجة منزلَه الزوجي.

(١٣) بنت الشاطىء، نساء النبيّ، ص ٢٢٢-٢٢٣.

وبقيت خديجة، مع ابن عمّها القسّ ورقة، وبإرشاد منه، ترعى محمّدا، وتوفّر له كلّ ما يحتاج إليه في خلوته، من هدوء، وحياة تأمل وسكينة، وراحة بال وأعصاب... إلى أن "رجع رسول اللّه، ذات مرّة من غار حِراء، يَرجُف فؤادُه. فدخلَ على خديجة،

فقال: زمّلوني. زمّلوني. فزمّلوه حتى ذهب عنه الرَّوْعُ. فقال لخديجة: لقد خشيتُ على نفسي.

فقالت خديجة: كلاّ. والـلّهِ ما يُخزيك اللّهُ أبدا. إنّكَ لَتَصِلُ الرَّحِم. وتحمل الكَلَّ. وتَكسِبُ المعدوم. وتقري الضيفَ. وتُعين على نوائب الحقّ.

فانطلقتْ به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل. وكان امرأ تنصّر في الجاهليّة. فقالت له خديجة: يا ابنَ عمّ! إسمَعْ من ابنِ أخيك"[١٤].

ويُخبرنا رسولُ اللّه، وهو في بيت خديجة وحمايتها، عن لقائه الأوّل مع جبريل، ملاك الوحي، ويقول إنها، يومها، استأخرته، وانشغل فكرها، وخامرتها الظنون، فـ "بعثتْ –والكلام للنبيّ– خديجة رُسُلَها في طلبي. فبلغوا أعلى مكّة، ورجعوا إليها، وأنا واقف في مكاني ذلك. ثمّ انصرف (جبريل) عنّي.

ويكمّل النبيّ سردَ اختباره الروحي الأوّل مع ملاك الوحي، ويقول: "وانصرفتُ راجعاً إلى إهلي، حتى أتيتُ خديجةَ، فجلستُ إلى فَخذها، مضيفاً إليها. فقالتْ: يا أبا القاسم! أين كنتَ؟ فواللّهِ! لقد بعثتُ رسُلي في طلبك، حتى بلغوا مكّة، ورجعوا إليّ. ثم حدّثتُها بالذي رأيتُ. فقالت: أبشرْ يا ابنَ عمّ. واثبتْ. فوالذي نفسُ خديجة بيدِه! إنّي لأرجو أن تكونَ نبيَّ هذه الأمّة.

"ثم قامتْ. فجمعتْ عليها ثيابَها. ثم انطلقتْ إلى ورقة ابنِ عمِّها. فأخبرتْه بما أخبرها به رسولُ اللّه. فقال ورقة: قدّوسٌ قدّوسٌ. والذي نفسُ

---

(١٤) صحيح البخاري، باب بدء الوحي، ١/٢-٣.

ورقـــة بيده، لئنْ كنتِ صدقـتِني يا خديجة، لقد جاءه النامـوسُ الأكبر الذي كان يأتي موسى. وإنّه لَنبيٌّ هذه الأمّة. فقولي له: فليثبتْ"[١٥].

لم يمرّ هذا الذي حدث لمحمّد مرورا عابرا. لقـد ابتغتِ السيّدةُ خديجة المزدَ من المعلومات. وأرادت استكشاف ما حدث لزوجها مع الملاك. ولفرط محبّتها له، واهتمامِهـا به، طلبتْ منه أن يُعلمَها حالا عندما يأتيه الملاك. فـهي تريدُ أن تختبرَ ذلك بنفسـها. وتتأكّـد من حدثٍ غريبٍ، قد لا يحـدث في تاريخ البشر مـثيلٌ له.. وهي تعرف -متـى عجزتْ عن التفسـير- أنّ ابنَ عمّهـا القسّ ورقـة قادرٌ على تفسير الرؤى وتمييز الأرواح.

واستنفـر الجميع -خديجة، والقـسّ ورقة، وأبو طالب، ومحمّـد نفسه،- مترقّبين ظهـور الملاك من جديد. واستعدّتْ خديجة لتـدخلَ في ذلك السرّ العميق بين محمّد والملاك. فهي، أكثر من سـواها، معنيّة بزوجها، وبما يحدث له. وهيّأتْ أيضا، في الوقت نفسه، القسّ ورقـة، ليُعينَها على تفسير هذه الظاهرة الغريبة. والكلّ أضحى منتظرا.

عن هذه الحالات النفـسيّة، يخبـرنا كاتبُ السيرة النبـويّة، ابن هشام، عن لسان خديجة نفسها. فيقول:

قالت خديجة: "إيْ إبنَ عمّ! أتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك؟

قال: نعم.

قالت: فإذا جاءك فأخبرْني به.

فجاء جبريلُ عليه السلام، كما كان يصنع.

---

(١٥)إبن هشام، السيرة النبويّة، ١/ ٢٢١-٢٢٢.

فقال رسولُ اللّه لخديجة: يا خديجة! هذا جبريل قد جاءني.

قالت: قمْ يا ابنَ عمّ! فاجلسْ على فخذي اليسرى.

فقام رسول الله فجلس عليها.

قالت: هل تراه؟

قال: نعم.

قالت: فتحوّلْ فاجلسْ على فخذي اليمنى.

فتحوّل رسولُ اللّه فجلس على فخذها اليمنى.

فقالت: هل تراه؟

قال: نعم.

قالت: فتحوّلْ فاجلسْ في حجري.

فتحوّلَ رسولُ اللّه فجلس في حجرها.

قالت: هل تراه؟

قال: نعم.

فتحسّرتْ وألقتْ خمارَها، ورسولُ اللّهِ جالسٌ في حجرِها.

ثمّ قالت: هل تراه؟

قال: لا.

قالت: يا ابنَ عمّ! أثبتْ. وأبشرْ. فواللّهِ! إنّه لَمَلَاكٌ. وما هذا بشيطان "[١٦].

---

(١٦) المرجع نفسه، ١/ ٢٢٣.

أمّا الحسن بن علي بن أبي طالب فقد سمع أمَّــه فاطمة تحدّثه عن خديجة أمِّها، فتقول: إنّي سمعتُها تقول: أدخلتْ رسولَ اللّه بينَها وبين درعها. فذهبَ عند ذلك جبريل. فقالتْ لرسول اللّه: إنّ هذا لَمَلَاكٌ. وما هو بشيطان "[١٧].

لماذا هو مــلاكٌ وليس بشيطان! يُجـيبُ الإمام الشــعراوي: "لأنّ خــديجة، رضي اللّه عنها، أزاحت الخمارَ عن وجهــها، والشيطان وَقِحٌ.. لا يَختفي لمثل هذا التصرّف. أمّا الملاك جبريل فهو سامع مطيع لا يعصى اللّه "[١٨].

ثمّ يتـساءل الشعــراوي، مندهشــاً من حكمة خـديجة: " أيّ امــرأة كانت تستطيع أن تســتنبط مثل هذا الاســتنباط من مثل هذا الموقف!.. أيّ امــرأة كانت تستطيع أن تمتلك هذا القدر من الفهم والحكمة!!! "[١٩]. ألجواب في السؤال طبعا.

واطمأنّ النبيّ، على ما يبــدو، إلى تفاسير خديجة. فـقالت بنتُ الشاطىء: " وأشــرقتْ أســاريره..وأحـسّ الراحــة والطمــأنينة، وهـي تـقـوده في رفق إلى فراشه، فتضعه فيه، كـما تفعل أمٌّ بولدِها الغالي، ثمّ تهدهِده بصوتها الحلو... ثمّ قامت فتسلّلتْ من المخدع على حذر.. تحثُّ خـطاها نحو ابن عمّها ورقة بن نوفل.. وما كاد ورقة يصــغي إلى ما تتحدّث به حتى اهتزّ منفعــلا، وتدفّقت الحيويّة في بدنه الواهن، فانتفض يقــول في حماسة "[٢٠]الكلامَ نفسَه الذي قاله في السابق، والذي سيردّده دائما فيما بعد.

ثمّ عادت خديجــة إلى رسول اللّه، وأخبرتْه بما قال القسّ ورقــة. فطمأنها النبيّ. فآمنتْ. وصــدقت بما جاء به من اللّه. ووازرتْه على أمــره. وكانت أوّل من آمن باللّه وبرسوله. فخفّف اللّه بذلك عن نبيّــه. لا يسمع شيئاً يكرَهُه إلاّ فرّج اللّهُ

---

(١٧)) ألمرجع نفســــــه.

(١٨) حوار مع الشعراوي وقضايا العصر، ٥/ ٦٦-٦٧.

(١٩) ألمرجع نفسه.

(٢٠) بنت الشاطىء، نساء النبيّ، ص٢٢٧-٢٢٨.

عنه بهــا. إذا رجع إليــها، تثـبّـتُـه وتخفّفُ علـيه، وتصـــدقُّـه، وتهوِّنُ عــليه أمــرَ الناس "[٢١].

وبسبب حبّ خديجة الـكبير لزوجها، واهتمامــها البالـغ به، حظيت من اللّه بسلام خــاصّ. عن هذا يقول ابن هشـام: "أتى جــبريلُ رسولَ اللّه، فقــال: أقرئ خديجةَ السلامَ من ربِّها. فقال رســولُ اللّه: يا خديجة! يُقرئكِ جبريلُ السلامَ من ربِّكِ. فقالتْ خديجة: أللّهُ السلامُ ومنهُ السلامُ. وعلى جبريلَ السلامُ"[٢٢].

وأخذ جبريلُ على عاتقه تعليمَ مــحمد الوضوء والصلاة، وكلّف النبيَّ بأن يعلّمَ بدوره خــديجة. قــال ابن هشام: "توضّـــأ جبـريلُ، ورسولُ اللّه ينظرُ إلــيه ليريه كيف الطهور للصلاة. ثمّ توضّأ رسولُ اللّه كـما رأى جبريل.. فجاء رسـولُ اللّه خديجةَ فـتوضّأ لها ليريها كيـف الطهور للصلاة. فتوضّـأتْ كـما توضّأ لها رسولُ اللّه. ثم صلّى بها رسولُ اللّه كمــا صلّى به جبريل، فصلّتْ بصلاته"[٢٣]. فكانت الصلاة وكان الوضوء.

واســتمـرّت خــديجة تناصــر زوجَــها، وتُعــينه على احــتـمال المصــائب والاضطهاد، طوال مدّة حـياتها معه. وها هي الآن، بعــد أربع وعشرين سنة من حياتهمــا الزوجيّة، "تودّعُ الدنيا، وزوجُها إلى جانبهــا، يرعاها، ويؤنسُ وحشة احتضـارها.. ثمّ أسلمتِ الروحَ بعد ثــلاثة أيّام (من موت عمّه أبي طالب).. وكانت له سَكَناً وأُنســاً ومــلاذاً، إلى أن رجــعت نفــسُــهــا المطمـئنّة إلى ربّهــا راضــيــةً مرضيّة"[٢٤]

ودُفنتِ السيّدة خديجــة، زوجُ رسول اللّه الأولى، وأمّ المؤمنين، بالحُجون،

---

(٢١) إبن هشام، السيرة النبويّة، ١/ ٢٢٤.
(٢٢) المرجع نفسه، ١/ ٢٢٥.
(٢٣) المرجع نفسه، ١/ ٢٢٧–٢٢٨.
(٢٤) بنت الشاطئ، نساء النبيّ، ص٢٣١.

بالقرب من مكّة، ونزل رسول اللّه في حفرتها[٢٥] ليذرّ عليها التراب.

ويخبرنا كتّاب السير النبويّة ما جرى لرسول اللّه بعد موت خديجة. فيقول ابن هشام: "ثمّ إنّ خديجة وأبا طالب هلكا في عام واحد. فتتابعتْ على رسول اللّه المصائب بهَلْكِ خديجة. وكانت له وزيرَ صدقٍ على الإسلام، يشكو إليها"[٢٦].

واستمرّ طيفُ خديجة يحوم على محمّد حياتَه كلّها. فكان يتذكّرها في كلّ مناسبة، ويذكرُ حبَّها له، وعنايتَها به، واحتمالَها من أجله. لقد تذكّرها بُعَيد انتصاره ببَدْر، عندما لمح قلادةً بعثتْ بها ابنتُها زينب في فداء زوجها الأسير الكافر أبي العاص بن الربيع. ولمّا رأى رسولُ اللّه القلادة، أمر بأن يردّوها إلى زينب ويفكّوا أسْرَ زوجِها[٢٧].

وذكرها أيضا عندما سمع صوتَ هالة أختِها، فهتف قلبُه، وكأنّه يسمعُ صوتَ خديجة، فشهق وقال على مسمع من عائشة: "أللّهمّ! هالة!". فما ملكتْ عائشة نفسَها أن قالتْ: ما تذكرُ عن عجوزٍ من عجائز قريش، حمراء الشّدقَين، هلكتْ في الدهر، أبدلَكَ اللّهُ خيراً منها!"[٢٨]. غير أنّ رسولَ اللّه زجر عائشة. فقال: "واللّهِ! ما أبدلني خيراً منها. آمنتْ بي حين كفرَ الناس، وصدَقتْني إذ كذّبني الناس، وواستْني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني منها اللّهُ الولدَ دون غيرها من النساء"[٢٩].

وممّا يجدرُ ذكره أنّ كلّ مرّة كان رسولُ اللّه يذكر خديجة، كانت عائشة،

---

(٢٥) طبقات ابن سعد، ٨/١٨.
(٢٦) ابن هشام، السيرة النبويّة، ٢/٤٥-٤٦.
(٢٧) ابن هشام، ٢/٢٠٧.
(٢٨) صحيح مسلم، باب فضائل خديجة، ٧/١٣٢.
(٢٩) انظر الاستيعاب، ٤/١٨٢٤، السمط الثمين ٢٦، أسد الغابة، الإصابة، موضوع "خديجة". في حرف الـ"خـ".

لفرط غيرتها، تتدخّل لتضع له حدّا، "كأنْ لم يكنْ في الدنيا امرأةٌ إلاّ خديجة" – كما قالت له يوما–. ونقل عنها المخبرون إقرارَها الذي فيه تقول: "ما حسدتُ امرأةً ما حسدتُ خديجة. وما تزوّجني رسولُ اللّه إلاّ بعد ما ماتت"[٣٠]. أو تقول أيضا: "ما غرتُ من امرأةٍ لرسولِ اللّه ما غرتُ من خديجة، لِما كنتُ أسمع من ذكره لها. وما تزوّجني إلاّ بعد موتها بثلاث سنين"[٣١].

***

أمّا بناتُ رسول اللّه من خديجة فكنّ أربعاً. عشنَ. وتزوّجنَ. ولكنهنَّ لم يعمّرنَ إلاّ قليلا. وهنا نبذة سريعة عن كل واحدة منهنّ:

١. **زَيْنَب:** أكبرهنّ. تزوّجها ابنُ خالتها هالة، أبو العاص بن الربيع، قبل النبوّة (أي بعمر لا يتعدّى ١٤ سنة). ولدت له عليّا وأمامة. مات علي صغيرا. وتزوّج أمامة عليٌّ بنُ أبي طالب، بعد موت فاطمة، خالتِها. لم يُسلم أبو العاص. أما زينب فأسلمتْ. وهاجرت. وتوفيت في أوّل السنة الثامنة للهجرة[٣٢].

٢. **أمُّ كلثوم:** تزوّجها عُتيبَة بن أبي لَهَب، إبن عمّ رسول اللّه وعدوّه الألدّ، وذلك قبل النبوّة أيضا. لكنّه طلّقها قبل أن يدخل بها. فتزوّجها عثمان بن عفّان، بعدما توفّيتْ أختُها رُقَيَّة التي كانت تحته. وكانت، لمّا تزوّجها، في السنة الثالثة للهجرة، لا تزال بكرا. لم تلد له. ماتت في شعبان سنة تسع من الهجرة. لمّا تزوّجها عثمان قال رسولُ اللّه: "لو كنَّ عشراً لزوّجتُهنَّ عثمان"[٣٣].

٣. **رُقَيَّة:** تزوّجها عتبة بن أبي لهَب، قبل النبوّة. لكنّه طلّقها قبل أن يدخل

(٣٠) صحيح مسلم، باب فضائل خديجة، ٧/ ١٣٢، الإصابة، ٤/ ٦٢.

(٣١) صحيح مسلم، ٧/ ١٢٣، الاستيعاب، ٤/ ١٨٢٣.

(٣٢) طبقات ابن سعد، ٨/ ٣٠–٣٦.

(٣٣) طبقات ابن سعد، ٨/ ٣٨.

بها. فتزوّجها عثمان بن عفّان. وهاجرت معه إلى الحبشة الهجرتَين معا. ولدت له عبداللّه. وكان يكنّى به في الإسلام. وبلغ سنّه سنتين فنقره ديكٌ في وجهه فمات. ولم تلدْ له بعد ذلك. توفّيت ورسولُ اللّه ببدر في شهر رمضان على رأس ١٧ شهرا من هجرة رسول اللّه، أي سنة ٦٢٣ م(٣٤).

٤. **فَاطِمَة:** وُلدت قبل النبوّة بخمس سنين، أي سنة ٦٠٥. وكان سنّ رسول اللّه ٣٥ سنة. وخديجة ٥٠. تزوّجها عليٌّ بن أبي طالب بعد قدوم محمّد المدينة بخمسة أشهر. بنى بها عليٌّ وهي بنت ثماني عشرة سنة. ولدت له: الحسن، والحسين، وأم كلثوم، وزينب. ماتت بعد وفاة رسول اللّه بستة أشهر، أي سنة ٦٣٢ م. فيكون بلغ عمرها فقط ٢٧ سنة(٣٥).

***

٢

سَوْدَة بنت زَمْعَة

هلكت خديجة، وهلك أبو طالب، والقسّ ورقة بن نوفل، في السنة التاسعة للنبوّة، وفي الأسبوع نفسه. وراقب الصحابة والمسلمون آثار الحزن على رسول اللّه. فأخذوا "يُشفقون عليه من تلك الوَحدة، على قول بنت الشاطئ، ويودّون لو يتزوّج، لعلّ في الزواج ما يؤنسُ وحشتَه.. لكنّ واحداً منهم لم يجرؤ على التحدّثِ إليه في موضوع الزواج، إلاّ خَولة بنت حَكيم السلّميّة. هذه جاءت إليه،

---

(٣٤) طبقات ابن سعد، ٨/٣٦-٣٧.

(٣٥) طبقات ابن سعد، ٨/١٩-٣٠.

متسللةً، متلطفةً، مترفقةً، وآثارُ الحـزن باديةٌ على محيّاه، فقالت له، وهي العارفة بمصائبه، والجريئة على فتح موضوع دقيق معه:

" يا رسولَ اللّـه! كأنّي أراكَ قد دخلتْكَ خلّـةٌ لِفَقْدِ خـديجة! فـأجاب: أجل. كانت أمَّ العيـال وربّةَ البيت "[٣٦]. واقتـرحت عليه أن يتـزوّج. فقال: مَـــن بعد خديجة؟! فردّتْ: عائشة، بنت أحبِّ الناس إليك "[٣٧].

بيد أنّ عـائشة لم تزل طفلة، دون الســادسة. وخَولة تعـرف ذلك. ولكنّها تعرف أيـضا بأنَّ اسمَ عائشــة يرغّب النبيّ في قـبول الزواج، وقد تحـصل على موافـقته للزواج منهـا. وبعد ذلك، تعرفُ كـيف تحوّلُ هذه الموافقـة المبدإيّة على الزواج، إلى شخص آخـر. وبالفعل، كـان في بال خولة شخصٌ آخـر، هي سَودَة بنت زمعة العامرية.

ولما أحسّت خـولة بأنّ في نبيّ اللّه رغبـةً في الزواج، تعجّلتْ، واقـترحتْ عليـه اسمَ سَودة، وقـالت له: "أفلا أخطبُ عليك؟". قـال: "بلى. فإنّـكنّ معـشرَ النساء أرفقُ بذلك". ثمّ ذهبتْ، لتوّها، إلى سَودة تقول لها: "أرسلَني رسولُ اللّه أخطبكِ عليـه". وللحـال أجابتـها: "ودَدْتُ. أدخلـي على أبي فاذكـري له ذلك". فدخلتْ خولة على أبي سَـودة وقالت: "إنّ محمّدا أرسلـني أخطبُ عليه سَودة". فصـاح الشيخُ: "كفء كريم. فمـاذا تقول سَودة؟" أجابتـه خولة: "تُحِبُّ ذلك". وأشار إلى خـولة. ففهـمت خولة. فذهبتْ إلى مـحمدٌ مـسرعة. فـجاءت به. وتمّ الزواج.

***

كانت ســودة العامريّـة، قبل النبيّ، تحت السكران بن عـمرو، إبن عمِّـها. وكـانت قد أسلمتْ بمكّة. وأسلـم زوجُهـا أيضا. وخـرجا مـهاجـرَين إلى أرض

---

(٣٦) تاريخ الطبري، ٣/ ١٧٥، السبط الثمين، ١٠٣، الإصابة، ٤/ ١١٧...

(٣٧) تاريخ الطبري، ٣/ ١٧٥.

الحبشة في الهجرة الثانيــة. ولمّا رجعا إلى مكّة، توفّي السكرانُ عنها. ويقال بأنّه مات مــسيحـيّا(٣٨). فلمّا حُلّتْ تزوّجـها رسولُ الـلّه في رمضـان سنة عـشر من النبوّة، أي بعـد وفاة خديجـة بوقت قليل جدّاً. ويقال بأنّــه "لم يُجمعْ بمكّة بين زوجَين بالفعل"(٣٩).

وأمستْ سَـودة، وهي لا تصدّق، بأنّهـا أصبحت زوج رســول اللّه. يأنس بها بعد خـديجة. تخدم بناته وتحبّ ذلك. ترضى بمكانتـها في بيته، ويكفـيها أن انضــمّت إلى لائحة أمّـهات المؤمنين. ويسـعدها أن ترى زوجـها مـعجـبا بخـفّة روحها، كما بثقل جسمها. وكان يضحك من مشيتها بسبب ثقلها.

واستـمرّتْ سودة في بيت رســول اللّه وحدها، وقـتا قليلا، حـتى جاءت عائشــة، ثمّ أزواج أخريات عـديدات، استـأثرنَ بقلب رسول اللّـه على حســابها. وخفّ ميلُه نحوها. وكانت تشعر بذلك الحيف، وتتألّم. وتجده يرتاح إلى سواها، ولا يرتاح إليها كـثيرا، حتى بدا له، آخر الأمـر، أن يسرّحها، ويعفـيها من وضع يؤذيها ويجرح قلبـها؛ دون أن يكون له حيلة في قسـمة عواطفه قســمة عدل بين زوجاته. فانتظر، يوما، إلى أن جاءتْ ليلتُها، فأنبأها بعزمه على طلاقها. فسمعت النبأ. وتضــرّعتْ إليه قـائلة له: "أمسكني! واللّهِ مـا بي على الأزواج من حرص. ولكنّي أحبّ أن يبعثني اللّهُ يومَ القيامة زوجا لك"(٤٠).

وعرفتْ في ســرّها أنّه عليها، لكي تبـقى تحت رسول اللّه، أن تهبَ ليلتَـها لعائشــة؛ فأجابت رسولَ اللّه قـائلة: "أبقِني يا رسولَ اللّه. وأهبُ ليلتي لعـائشة. وإنّي لا أريدُ ما تريد النسـاء"(٤١).

---

(٣٨) Cf. article "Sawda bint Zamaa", dans "Encyclopédie de l'Islam"; Caetani, Annali dell Islam, Milan, 1905-1907, 2 Vol. I, 378-379.

(٣٩) ألسيّد محمّد رشيد رضـا، حقوق النساء في الإسلام، ص ٦٦.

(٤٠) الإصابة، ٤/١١٧، الاستيعاب، ٤/١٨٦٧، عيون الاثر، ٢/٣٠٠، المحبر، ٨٠.

(٤١) الإصابة، ٤/١١٧، الاسـتيعاب، ٤/١٨٦٧، صـحيح مسلم، كـتاب النكاح، ١٤٦٣، بنت

وعن ذلك روتْ لنا عائشــة فقالتْ: "كانت سَودة قـد أسنّتْ؛ وكان رسولُ اللّه لا يستكثرُ منها؛ وقد علمتْ مكاني من رسول اللّه، وأنّه يستكثرُ منّي. فخافتْ أن يفارقَـها، وضنّتْ بمكانها عنده. فـقالت: يا رسولَ اللّه! يومي الذي يُصـيبُني لعـائشة. وأنتَ منه في حِلٍّ. فَـقَبِلَـهُ النبيّ. وفي ذلك نزلت: وَإِنِ امْرَأَةٌ خَـافَتْ من بَعلِها نُشُـوزاً أو إعْراضاً، فـلا جُناحَ عَلَيهِمـا أنْ يُصلِحا بَيْنَهمـا صلْحاً. والصُّلحُ خيرْ.. "[٤٢].

وفي الحديث أيضا: "إنّ النبيّ بعث إلى سَودة بطلاقها. فلمّا أتاها جلستْ على طريق بـيت عـائشــة. فلمّـا رأتْه قـالت: أُناشـدك بالذي أنـزلَ عليكَ كـتـابَه واصطفاكَ على خَلقِهِ، لِمَ طلَّقْتَني؟! ألِمُوجِـدَةٍ وجدتَها فيّ؟ قال: لا. قالت: .. لكنّي أُحبُّ أن أُبعثَ في نسائكَ يومَ القيامة. فراجعها النبيّ. قالت: فإنّي قد جعلتُ يومي وليلتي لعـائشة "[٤٣].وعن ذلك قـالت عائشــة: " ما من الناس امـرأةٌ أحبُّ إليّ أن أكون في مسلاخها من سَودة بنت زمعة. إلاّ أنّها امرأةٌ فيها حسد "[٤٤].

توفّيتْ سودة في شوال سنة ٥٤ للهجـرة، بالمدينة، في خلافة معاوية[٤٥]؛ وذلك بعد أن عـاشت مع النبيّ ٩ سنوات، وانفردتْ به وحـدَها ٣ سنوات. وكان عمرها يوم تزوّجها ٥٠ سنة؛ وهو أيضا كان له مثل عمرها يوم أصبحت تحته.

***

الشاطئ، ص ٢٤٦-٢٥٠.

(٤٢) سورة النساء ٤/١٢٨.

(٤٣) طبقات ابن سعد، ٨/ ٥٤.

(٤٤) المرجع نفسه.

(٤٥) المرجع نفسه، ٨/ ٥٥، ٥٧.

٣

عائشة بنت أبي بكر الصدّيق

١. "يا أمّ رومان..."

منذ أن عرف رسولُ اللّه عـائشـة، وهي طفلة صغيـرة في حضن والدَيها، أبي بكر الصدّيق وأمّ رومان، أخذتْ لبَّه، وامتلكتْ مشاعرَه، ورغبَ فيها، وأوصى أمَّها بها قائلا لها: "يا أمَّ رومانَ! استوصي بعائشة خيراً. واحفظيني فيها"[٤٦].

وأمُّ رومان، امرأةُ صـديقِه أبي بكر الصدّيق، كانتْ، قبْـل ابنتِها، تنزلُ في نفس رسول اللّه منزلةً أخّـاذة. وقد ظهر ذلك في كلامـه، يوم قال: "مَن سرَّهُ أن ينظرَ إلى امـرأةٍ من الحُـورِ العِين، فلينظرْ إلى أمّ رومـان"[٤٧]. وقـد كـان النبيّ يعرفُ تمامـا صديقَه أبا بكر، والد عائشـة، وأمّ رومان، والدتَها؛ وكان يسـتريح عادة عندهما، ويتردّد عليهما، ويزورهما بتواتر.

عن ذلك قـال عـروة: "كـان رسول اللّه يـختلـف إلى بيت أبي بكر.. ولا يُخطئُ يوماً واحداً أن يأتي إلى بيت أبي بكر"[٤٨].

٢. جبريلُ يتوسّط

ويبدو أنّ جبريل نفسَه تدخّل في تقديم عـائشة إلى رسول اللّه ليتزوّجها، ولتُذهب عنه حزنَه المـستمرَّ على فقْـد خديجة. عن عروة قال: "لمّا مـاتت خديجة

---

(٤٦) طبقات ابن سعد، ٨/٧٨.

(٤٧) المرجع نفسه، ٨/٧٧، إبن حجر، تهذيب التهذيب، ١٢/٤٦٧.

(٤٨) طبقات ابن سعد، ٨/٧٨.

حزن عليها النبيُّ حزناً شديداً، فبعثَ اللّهُ جـبريلَ، فأتاه بعائشة في مهد. فقال: يا رسـولَ الـلّه! هذه تُذهِبُ بعضَ حـزنِكَ. وإنّ في هذه خَلَفـاً من خـديجـة. ثمّ ردَّهَا "[٤٩].

وراح النبيّ يتوقّع أن تتمّ الـرؤيا، وعائشة تتوقّـع ذلك أيضا. ولكن، ليس بدون بكاءٍ وقلقِ الانتظار. حـتى أنّ رسـولَ اللّه سألهـا، يومـاً،– وعمـرها دون السادسـة– عن سبب هذا البكاء؛ " فشكتْ أمَّهـا. فذكرتْ أنّها تُولعُ بـه. فـدمعتْ عينا رسولِ اللّه "[٥٠]

٣. وساطة خَولة

كانت خـولة بنت حكيم السلّميّـة الوسيطَ بين رسول اللّه وعـائشة. وهي نفسـُها التي توسّطت بينه وبين سَـودة. لقد أمستْ تعـرفُ، على ما يبدو، مـيولَ النبيّ ورغبات قلبه.. وتتحدّثُ خولة عن وساطتها فتقول:

" دخلتُ بيتَ أبي بكـر فوجـدتُ أمَّ رومـان، أمَّ عائـشة، فـقلتُ لهـا: إيْ أمَّ رومان! ماذا أدخَلَ اللّهُ عليكم من الخير والبـركة! قالتْ: وما ذاك؟ أجبتُ: أرسلَني رسولُ اللّه أخطبُ له عائشة. فقالتْ: وَدَدْتُ. انْتَظري أبا بكر. فإنّه آتٍ.

" فـجـاء أبو بكر. فـقلتُ له: يا أبا بـكر! مـاذا أدخَلَ اللّهُ عليكَ من الـخـيـر والبركة! أرسَـلَني رسولُ اللّه أخطبُ عائشة. قـال، وقد ذكَرَ موضـعَه من رسول اللّه: وهل تصلحُ له؟! إنّما هي ابنة أخيه!

" فرجعتُ إلى رسول اللّه، فقلتُ لهُ ذلك: فقال: إرجعي إليهِ. فقولي لهُ: أنتَ أخي في الإسلام، وأنا أخوك. وابنتكَ تصلحُ لي.

" فأتيتُ أبا بكر. فذكرتُ لهُ. فقال: إنْتظري حتى أرجع.

---

(٤٩) المرجع نفسه.

(٥٠) المرجع نفسه.

" فخرج أبو بكـر. وطلب من المطعم بن عَدي أن يحلَّهُ من خطبة ابنه جُـبير من ابنته عائشـة. وكان له ذلك.

" فعاد أبو بكر إلى بيته. وقال لخولة: ادْعي لي رسولَ اللّه.

" فمضتْ خولة إلى رسول اللّه. فدَعَتْهُ.

" فجاء. فأنكحهُ عائشـة. وهي يومئذٍ بنتُ ستٍّ سنين، أو سبع "[٥١].

٤. ألزوجة الطفلة

عائشــة نفسُهــا تُخبرُنا الآن عن ســاعاتها الأولى مع رســول اللّه. تقول: " تزوّجَني رسولُ اللّه في شَوّال سنة عشر من النبـوّة، قبل الهجرة بثلاث سنين، وأنا ابنةُ ستّ سنين. وهاجر رسولُ الله. فقَدِمَ المدينةَ. وأعرسَ بي في شَوّال على رأس ثمانية أشهرٍ من المهاجر. وكنتُ يومَ دخلَ بي ابنةَ تسع سنين "[٥٢].

وتخبرنا عائشة عن براءتها وقلّة وعيها لما جرى لها مع رسول اللّه. تقول: " تزوّجَني رســولُ الـلّه، وإنّي ألعبُ مع الجـواري. فـمـــا دريتُ أنّ رســولَ اللّه تزوّجني حتى أخذتْني أمّي، فـحبستْني في البيت عن الخـروج. فوقعَ في نفسي أنّي تزوّجتُ. فما سألتُها حتى كانتْ أمّي هي التي أخبرَتْني "[٥٣].

يبدو أنّ عائشـــة لم تكن تعي شيئا. ولا تعرف ما جـرى بينها وبين رسول اللّه. لقـد كانت منقـادةً إليهِ انقـياداً. وهي تؤكـدُ لنا براءتَها. وتقـول: " تزوّجَني رســولُ اللّه، وأنا بنتُ ســتّ سنين. وأُدخِلتُ عليـه، وأنا بنتُ تــسع سنين. وكنتُ ألعبُ على المرجوحة "[٥٤].

---

(٥١) تاريخ الطبري، ٣/١٧٦، السمط الثمين، ٣١، طبقات ابن سعد، ٨/٥٨.
(٥٢) طبقات ابن سعد، ٨/٥٨.
(٥٣) ألمرجع نفسه.
(٥٤) ألمرجع نفسه، ٨/٥٩.

هذا الزواج بين النبيّ والطفلة عائشة، تبرّره بنتُ الشاطئ، وتتّهم المستشرقين الذين ما برحوا يكيلون العداء للإسلام من كل باب. تقول: إنّ "نفراً من المستشرقين يأتون، بعد نحوِ ألفٍ وثلاثمائة عامٍ من ذلك الزواج، فيهدرون فروقَ العصر والبيئة، ويطيلون القولَ في ما وصفوه بأنّه «الجمع الغريب بين الزوج الكهل والطفلة العزيزة العذراء»، ويقيسون بعين الهوى زواجاً عُقِدَ في مكّة قبل الهجرة بما يحدثُ اليومَ في الغرب المتحضّر، حيث لا تتزوّجُ الفتاةُ قبل سنِّ الخامسة والعشرين، وهي سنٌّ تُعتَبرُ، حتى وقتنا هذا، جدّ متأخّرة في الجزيرة العربيّة. وهو ما أدركَه مستشرقٌ منصِفٌ، وقال: «كانت عائشة، على صِغرِ سنِّها، ناميةً ذلك النموّ السريع، الذي تنموه نساءُ العرب، والذي يُسبّبُ لهنّ الهرمَ في أواخر السنين التي تعقبُ العشرين»"(٥٥).

٥. الزوج والزوجة

عن تصرّفِ رسول اللّه مع زوجته الطفلة، نسمعُ سيّدتين مسلمتَين عالمتَين معاصرتَين: بنت الشاطئ، ألعالمة بالقرآن والعقيدة الإسلاميّة، والدكتورة زاهية قدّورة، عميدة كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة في الجامعة اللّبنانيّة.

تقول بنتُ الشاطئ: "لم يرضَ أن ينتزعَ الصبيّةَ اللّطيفةَ المرِحةَ من ملاهي حداثتها، أو يُثقّلَ كاهلَها الغضّ بأعباء الزوجيّة ومسؤوليّاتها؛ بل تركَها حيثُ هي، في بيتِ أبيها، تمرحُ لاهيةً مع لداتها وصواحبها وأترابها، خَلِيَّةَ البال..

"وكان كلُّ حظّه منها أن تُسرعَ إليهِ كلّما مرّ ببيتِ أبي بكر، فتكاد تُنسِيهِ، بلطفِها وإيناسِها، المشاغلَ الجسامَ التي تنتظرُه لدى الباب؛ وتُزيل عنه تلك الوحشةَ المضنيةَ، يجدُها كلّما أوى إلى منزله وحيداً غريبا..

"وطاب لهُ أن يسعى إلى بيت صاحبه أبي بكر كلّما اشتدّتْ عليه وطأةُ

---

(٥٥) بنت الشاطئ، ص ٢٥٦–٢٥٨. ألم يكن هذه حال خديجة التي استمرّت تُنجبُ حتى بعد سنّ الخمسين؟!!

الشعورِ بالوحـدةِ والغربةِ، ليلاطفَ خطيبتَـه (بل عقيلَته) الصغـيرة، ويغرقَ في فيضٍ من دعابتها الذكيّة ومرحِها الفيّاض.

" وطاب لعائشة أن ترى رسولَ اللّه، في عظمتـه وجَلاله ومهابتهِ ووقارهِ، يرتاحُ إليها، ويأنسُ إلى صحبتها، ويجدُ، فـي عالَمِها المرِحِ، ما يَجذبُهُ إليها، حيثُ يُشاركُها لهوَها في بساطةٍ حلوةٍ وإلفةٍ حبيبة "[٥٦].

أمّا الدكـتورة زاهية قدّورة فـتقول في كـتابها الأطروحة، عن عـائشة أمِّ المؤمنين: " تزوّج الرسولُ عائشة وهي صغيرة السنّ؛ فلقيتْ منه ما يلقاهُ الأطفالُ من رعايةٍ وعنايةٍ؛ وما يلقونه أيضا من الحدب والعطف؛ وقد سبق أن رأينا كيف أُخذتْ عائشة من الأرجوحة وسُلِّمتْ للـزوج. ولم يغيِّرِ الزواجُ في أوّله كثيراً من طبيعة الطفولة عندها. فقد كانت لا تزال حديثةَ السنِّ، حريصةً على اللّهو.

عن هذا اللّهـو تقـول عائشـة نفْـسهـا: " دخل عليّ رسـولُ اللّه وأنا ألعبُ بالبنات.. وكان أحـياناً يشاركُهـا اللّعبَ بالبنات.. " ودخل عليها يومـا، على قول العميدة، وهي تلعبُ بالبنات، واستتر بثوبه منها، ملاعبا لها.. كما أنّه، عندما كان يدخلُ عليـها، والجواري عندها، كنّ يسـتحين، فـيخرجن.. ولـم يردِ الرسولُ أن يحولَ بينها وبين ما تتطلّبُه الطفولة من لهـو ولعْب؛ بل كان حريصا على راحتها، مراعيا رغباتها، وهي تقول: " وكان النبيّ يأتي بصواحبي يلعبن معي " .

" وكان واسع الصدر فـي مراعاة شعورها أكـثرَ من أبيها نفـسه.. وكان يلاعبُها بنفسهِ إذا لم تجد أطفالاً تلعبُ مـعهنّ.. وكان يحرصُ على أن يُشبعَ فيها رغباتِ الطفـولة، فلا يحرمُها منظراً تصـبو إليه، فتقـول: " لقد رأيتُ رسولَ اللّه يقومُ عـلى باب حجـرتي، والحبَشَـةُ يلعبـون بالحراب، ورسـولُ اللّه يستـرُني بردائه، لأنظرَ إلى لعَبِـهم، من بين أذُنِه وعاتقِه؛ ثمّ يقوم من أجلي، حـتى أكون أنا التي أنصـرف "، كما كـان حريصـا على راحتـها عندمـا كان يدخل عليـها وهـي نائمة " .

---

(٥٦) بنت الشاطئ، ص ٢٥٩.

وكانت مرّةً " معه ومع نسائه في إحدى أسفاره، وبَرَكَ جَمَلُها في الطريق، فبكتْ، وتقول: " فجاء النبيُّ، فجعلَ يمسحُ دموعي بردائه وبيدِه، وجعلتُ لا أزدادُ إلاّ بكاءً، وهو يَنهاني. فلمّا كثرت عليه زَبَرَني (أي نهرني) "(٥٧).

٦. الزواج المكتمل

... وهاجر رســولُ اللّه إلى المدينة، سنة ٦٢٢ م، واســتقـرّ فيــها. وأرسلَ زيداً بن حارثة إلى مكّة ليأتيَ ببنات الرسول، وبعـائشة، التي كان قد مضى على زواجه منها ثلاث سنين، وبأخـتها أسماء، وأمّهـما أمّ رومان، وأخيهمـا عبداللّه، وغيرهم... وخرج الجميعُ يريدون مدينة الرسول. " وما تكاد الدنيا تسعُ عائشة، على قول بنت الشاطئ، من فرحتها وابتـهاجها، وقد أمضتِ الأيامَ الأولى للسفر مرِحَةً تتوثّبُ.. منتشيَةً بقرب لقاء الأعزّة.

" وفي المدينة، كان رسولُ اللّه يهيّء داراً لعائشة..

" واستقرّ المسلمون في دار الهجرة.. وتحدّثَ أبو بكر، بعد الهجرة بأشهرٍ معدوداتٍ، إلى محمّـد في إتمام الزواج الذي عَقَدَهُ في مكّة منذ ثلاث سنين. فلبّى رسولُ اللّه راضياً وأسرع "(٥٨).

وتصفُ عائشة يومَ عرسِها الأوّل، فتقول: " جاء رسولُ اللّه بيتّنا، فاجتمعَ إليـه رجالٌ من الأنصـار ونسـاء. فجـاءتْني أمّي وأنا في أرجـوحة بين عـذقَين، فأنزلَتْني. ثمّ سوّتْ شـعري. ومسحتْ وجهي بشيء من مـاء. ثم أقبلتْ تقودُني (تعلّق الدكتورة قدّورة: وهي لا تدري ما تقـصدُهُ أمُّها). حتى إذا كنتُ عند الباب، وقفتْ بي حـتى ذهبَ بعضُ نفَسي. ثمّ أدخَلَتْني. ورسولُ اللّهِ جـالسٌ على سريرٍ في بيتِنا. فأجلسَتْني في حجرِه. وقالت: هؤلاء أهلكِ. فباركَ اللّهُ لكِ فيهنّ. وباركَ

---

(٥٧) الدكتـورة زاهية قدّورة، عـائشة أمّ المؤمنين، ص٨٤-٨٦. وهي تسـتند في بحثـها إلى كلام عائشة نفســها في مسند ابن حنبل، ٦/ ١٦٦، ٢٣٣، والسمط الثمين ٤٩، ٥٩-٦٠، و١٢٢، والذهبي، ٣١، وصحيح البخاري، ٣/ ٤٤٢.

(٥٨) بنت الشاطئ، ص ٢٦٨.

لهنّ فيك. ووثبَ القـومُ والنساءُ. فخـرجوا. وبنى بي رسولُ الـلّهِ في بيتي، وأنا يومئذٍ ابنةُ تسع سنين "[٥٩].

وفي رواية البخاري ما يلي: "عن عائشة قالتْ: تزوّجَني النبيّ (ص) وأنا بنتُ ستّ سنين. فـقَدِمْنـا المدينةَ فنزلنا في بني الحـارث بن الخزرج، فَـوُعِكْتُ.. فأتتْني أمّي أمُّ رومـان، وإنّي لفي أرجوحـة، ومعي صواحبُ لي، فـصرختْ بي. فأتيـتُها. لا أدري مـا تريدُ بي. فأخذتْ بيـدي حتى أوقفـتْني على باب الدار.. ثمّ أخذتْ شيئا من ماء، فـمسحتْ به وجهي ورأسي. ثمّ أدخلتْني الدار.. فلم يَرُعْني إلاّ رسولُ اللّه (ص) ضُحىً. فأسلَمَتْني إليهِ، وأنا يومئذٍ بنتُ تسع سنين "[٦٠].

وكانت عـائشة، على مـا تصفـها بنتُ الشـاطئ في تلك الليلة، "عـروساً حلوةً، خفيفةَ الجـسمِ، ذات عينَين واسعتَين، وشعر جعد، ووجـه مشرق، مشرب بحـمرة. وقـد انتـعلتْ إلى بيـتـها الجـديد "[٦١] حـيث اكتـملَ نموُّها، ونضـجتْ شخصيّتُها، وتدرّجتْ بين عينَي رسول اللّه، من صَبِـيّةٍ يأتيها زوجُها بصواحبها ليلعـبْنَ مـعهـا، أو يحمـلَها على عـاتقـه، لتطلَّ على نَفَـرٍ من الحبـشَـةِ يلعبـون بالحراب[٦٢]، إلى شابّةٍ ناضجةٍ مجرّبَةٍ، تسألُها امرأةٌ في مسألةٍ دقيقةٍ من مسائل الزينة والتـجمـيل فـتجـيبُـهـا: إنْ كان لكِ زوجٌ فـاستطعتِ أن تـنزعي مُقلَتَـيكِ فتضعيهما أحسن ممّا هما، فافعلي "[٦٣].

٧. فضلُ عائشة

مكانة عائشة في قلب رسول اللّه لم تصلْ إليها امرأة. ولا غرابةَ في ذلك،

---

(٥٩) أنظر تاريخ الطبـري، ٣/١٧٦، صـحيح مـسلم، كتاب النكاح، ١٤٤٢، مـسند ابن حنبل، ٨/٢١١، السمط الثمين، ٣٢. وانظر أيضـا زاهية قدّورة، عائشة أمّ المؤمنين، ص ٧٨.

(٦٠) صـحيح البخاري، ٥/٧٠-٧١.

(٦١) صـحيح مسلم، الحديثان: ٢٠٨٢ و٢٤٣٨.

(٦٢) مسند ابن حنبل، ٢، صـحيح البخاري، ٣/١٨٢.

(٦٣) بنت الشاطئ، ص ٢٧١.

فعائشة نفسُها تُعدّدُ لنا ما تتميّزُ به. تقول: "فُضّلتُ على نساء النبيّ بعشر. قيل: ما هنّ يا أمّ المؤمنين؟ قالت:

١. لم يَنكِحْ بِكْراً غَيْري.

٢. لم ينكح امرأةً أبواها مهاجران غيري.

٣. وأنزل اللّهُ براءتي من السماء،

٤. وجاءه جبريلُ بصورتي من السماء، وقال له: تزوّجها فإنّها امرأتك،

٥. وكنتُ أغتسلُ، أنا وهو، من إناء واحد. ولم يكن يفعل ذلك بأحد من نسائه غيري،

٦. وكان يصلّي، وأنا معترضة بين يديَه. ولم يكن يفعل ذلك بأحد من نسائه غيري،

٧. وكان ينزل عليه الوحيُ وهو معي. ولم يكن ينزل عليه وهو مع أحد من نسائه غيري،

٨. وقبضَ اللّهُ نفسَه، وهو بين سحري ونحري،

٩. ومات في الليلة التي كان يدور عليّ فيها،

١٠. ودُفِنَ في بيتي"[٦٤].

وفي مكان آخر تعدّدُ عائشة مميّزاتٍ إضافيّةً لها، فتقول: "أُعطيتُ خلالا ما أُعطِيَتْها امرأة:

١ – ملَكَني رسولُ اللّه وأنا بنتُ سبع سنين،

٢ – وأتاه الملَكُ بصورتي في كفّه فنظر إليها،

٣ – وبنى بي لتسعِ سنين،

---

(٦٤) طبقات ابن سعد، ٨/٦٣–٦٤.

٤ – ورأيتُ جبريلَ، ولم ترهُ امرأةٌ غيري،

٥ – وكنتُ أحبَّ النساء إليه،

٦ – وكان أبي أحبَّ أصحابه إليه،

٧ – ومرضَ رسولُ اللّه في بيتي فمرّضتُه،

٨ – فقُبضَ ولم يشهدْ غيري والملائكة "[٦٥].

وفضلُ عائشة أيضا على غيرها من نساء النبيّ: أنّ بيتَها في المدينة جاور المسجد؛ وأنّ النبيّ كان يقسمُ وقتَه بينها وبين الصلاة؛ وأنّه كان، بخطوة واحدة، يمرّ من بيت عائشة إلى بيت اللّه، ومن بيت اللّه إلى بيت عائشة؛ وأنّ عتبتَها لا تفصل بين النجاسة والطهر. فهي، ولو حائضة، تنعمُ بغسل وجه رسول اللّه ورأسِه. وكان جبريل يُقرؤها السلام. وهي زوجتُه في الدنيا والآخرة[٦٦].

جاء في طبقات ابن سعد قوله: "كان رسولُ اللّه يبني المسجدَ (في المدينة)، وأبياتاً حولَه؛ فأنزلهم (أي عيالَه وأهلَه) في هذه البيوت. وبنى لعائشة بيتَها الذي دُفن فيه. وجعل بابه في المسجد قبالَ باب عائشة، يخرجُ منه إلى الصلاة. وكان، إذا اعتكف، يُخرج رأسَه من المسجد إلى عتبةِ عائشة، فتغسل رأسَه، وهي حائض "[٦٧].

هذه المميّزات في شخصيّة عائشة جعلتْها تتنافسُ مع سائر نساء رسول اللّه على اجتذاب قلبه؛ حتى كان يفضّلها على أزواجه كلّهنّ. تقول الدكتورة قدّورة في ذلك: " وكان يؤثرُ عائشة على سائر زوجاته في كلّ ما له صلةٌ بالقلب.. فقد كان مولعاً بها أشدّ من ولعه بغيرها من نسائه. يُحبّها حبّا

(٦٥) المرجع نفسه، ٨/ ٦٥.

(٦٦) أنظر صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبيّ، باب فضل عائشة، ٥/ ٣٦-٣٧.

(٦٧) طبقات ابن سعد، ٨/ ١٦٦.

شديدا لصفاتٍ خاصّةٍ بها: ففيها النضارة، والشباب، والذكاء، وسرعة الخاطر "[٦٨].

واستندت الدكتورة قدّورة، في كلامها هذا، إلى ما جاء في كتب السِير والأحاديث النبوية. جاء فيها: كانت عائشة "بيضاء اللّون حمراء الشعر "[٦٩]. وجاء أيضا: "ولئلاً يكونَ القلبُ هو الحَكَم في معاملته لزوجاته، كان، إذا أراد السفرَ، أقرعَ بين نسائه. فأيّتهنّ خرج سَهمُها خرج بها معه. غير أنّه، إذا خرج سهمٌ غيرُ سهمِ عائشة، تغيّرَ وجهُهُ، وعُرفَ فيه الكراهية. وكان، بعدَ رجوعه من سفره، يبتدئ دورتَهُ عليهنّ بها "[٧٠]. و "كانت أحبَّ نسائه إليه "[٧١].

وكان يقول لها: "أنتِ أحبُّ إليّ من زبد بتمر "[٧٢]. ويقول أيضا: "إنّ فضلَ عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام "[٧٣]. وكان يعلنُ حبَّه لها على حساب سائر الأزواج، ويقول: "حبّكِ يا عائشة في قلبي كالعروة الوثقى "[٧٤]. وتعلّقُ بنتُ الشاطئ تقول: وكانت عائشة "لا تفتأُ تردّدُ على مسامعهنّ هذا القول".

٨. إستئثار عائشة

لم تكن عائشة مع نساء النبيّ بخير. لقد كانت في صراع دائم معهنّ، بسبب استئثارها بقلب رسول اللّه، على حسابهنّ. أحداث كثيرة نجدها في كتب

---

(٦٨) الدكتورة قدّورة، عائشة أمّ المؤمنين، ص ٨٤.
(٦٩) طبقات ابن سعد، ٨/ ٥٠، ٥٥؛ البلاذري، الأنساب، ١/ ٦٥٧.
(٧٠) طبقات ابن سعد، ٨/ ١٧٠، الأنساب للبلاذري، ١/ ٦٦١.
(٧١) البلاذري، الأنساب، ١/ ٦٥٤-٦٥٥.
(٧٢) طبقات ابن سعد، ٨/ ٥٥.
(٧٣) طبقات ابن سعد، ٨/ ٥٥؛ مسند ابن حنبل، ٦/ ١٥٩؛ الإستيعاب، ٢/ ٧٦٦، الروض الأنف، ٢/ ٣٦٦؛ الإصابة في معرفة الصحابة، ٤/ ١٤٠؛ السمط الثمين، ٦٠؛ الذهبي، ٢٤؛ صحيح البخاري، ٥/ ٣٦...
(٧٤) صحيح البخاري، كتاب المناقب، ٢/ ٢٠١، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، حديث ٢٣٨٤.

السِير والأحاديث النبويّة. وخلافات حادّة بين عائشة وسائر النساء. وكان النبيّ ينتصر لعائشة في كلّ حين.

أخبرنا ابن سعد، قال: "تنازعتْ مرّةً عائشة وصفيّة بنت حيى -إحدى ضرائرها- فسبّتْ صفيّةٌ عائشةَ. فانتصر الرسولُ لعائشة"(٧٥). و"اختصمتْ مرّة عائشةٌ مع زينب بنت جحش -إحدى زوجات النبيّ- أمام النبيّ، فلم يتداخل بينهما. واستطاعت عائشة أن تغلب زينب. فتبسّم رسولُ اللّه وقال: إنّها بنت أبي بكر"(٧٦).

وكان المسلمون يعلمون مكانة عائشة عند النبيّ، فكانوا يبتغون مرضاتَه بالهدايا إليه يوم عائشة. ومع أنّه كان يرسلُ لكلّ زوجة نصيبَها من الهدايا التي كانت تأتيه وهو في بيت عائشة، إلاّ أنّ الغيرة استفزّتهنّ. فتشاورن، يوما، في وضع حدّ لما يلقينَ من بنت أبي بكر.

وانتهى بهنّ الرأي إلى أن يلتمسنَ من فاطمة مخاطبةَ أبيها في الأمر. واستجابت فاطمة. فدخلتْ على أبيها وعائشة عنده. فقالت: "يا أبي! إنّ نساءكَ أرسَلْنَني إليك. وهنّ ينشدْنَكَ العدلَ في ابنة أبي قحافة!. فقال لها: أيْ بُنيّة! ألستِ تُحبّينَ ما أُحبُّ؟ قالت: بلى. قال: فأَحِبِّي هذه". فعادتْ إليهنّ فأخبرتْهنّ الذي سمعتْ من أبيها. وقالت: واللّهِ! لا أكلّمُهُ فيها أبداً.

فأرسلنَ زينب بنت جحش. فاستأذنتْ على النبيّ، وعائشة بين ذراعَيه. فأذِنَ لها. فدخلتْ. فقالتْ: يا رسولَ اللّه! أرسَلَني أزواجُكَ يسألْنَكَ العدلَ في بنت أبي قحافة. قالت عائشة: ثمّ وقعتْ بي زينب تسبُّني. وطفقتُ أنظرُ إلى رسول اللّه متى يأذَنُ لي فيها. فلم أزلْ أنظرُ إليهِ حتى عرفتُ أنّه لا يكره أن أنتصر منها. فوقعتُ بزينب. فلم أنشبْها أن أفحمتُها. فتبسّمَ رسولُ اللّه ثم قال: إنّها بنتُ أبي بكر"(٧٧).

---

(٧٥) طبقات ابن سعد، ٨/٥٦.
(٧٦) المرجع نفسه، ٨/١٢٣.
(٧٧) المرجع نفسه، ٨/١٢٣.

وفي رواية، "إنّ زينب، لمّا دخلتْ على رسـول اللّه، وهو بين يدَي عـائشة، قالـت: حسبُـكَ، إذا برّقتْ لكَ بنتُ أبي قحـافة ذراعَـيهـا، أنِ اعدلْ بيننا وبينـها. ووقعتْ زينب بعائشة فنالت منها "[٧٨].

وعادت زينب أدراجَها إلى أزواج النبيّ خاسـئةً، ذليلةً، مقهورةً، مكسورةَ الخاطر. فـانتفـضتِ الأزواجُ كلُّهنّ لكرامـتهنّ، وقـرّرنَ إرسالَ أمّ سلَمَـة، إحدى الضرائر، عدوّةَ عـائشة المعلنة. فدخلتْ أمُّ سلَمة على رسـول اللّه. وكرّرتِ الطلب ثلاثا، إلى أن قال لها: " لا تؤذيني في عائشة. فإنّ الوحيَ لم يَنزِلْ عليَّ في لِحَافِ واحدَةٍ منكُنَّ غير عائشة "[٧٩].

و " ظلّ الرسولُ يخصّ عـائشة بأوفر قـسمٍ من قلبه إلى آخر أيّام حـياته. فلمّا مـرض مرضَه الأخيـر، كان يومُ عائشـة قد مرّ؛ وكان قـد وصل في طوافه بزوجاته إلى ميـمونة؛ فأظهر رغبتَـه بصورة غير مبـاشرة في أن يمرَّض ببيت عائشة. فقال: " أين أنا غداً؟ أين أنا بعدَ غد؟ " . فاستنتج أزواجهُ في أن يُمرَّض في بيت عائشــة. فحقّـقنَ ما يرجـو. وقلنَ له: يا رسـولَ اللّه! قد وهبْنا أيـامَنا لإختِنا عائشـــة.. ثمّ خرجتْ ابنتُه فاطمــة تعتذرُ لنسائه فـي أنّه لا يُمكنُه أن يدور عليهنّ. فقلنَ لهـا: هو في حِلٍّ. فكان يكون في بيت عـائشة. وبقي في بيتـها.. حـتى قال كلمتَه الأخيرة: أللّهمّ! الرفيق الأعلى. وقالت عائشة: قُبِضَ رسـولُ اللّه ورأسُهُ بين سحري ونحري. قالت: فلمّا خرجتْ نفسُهُ لم أجدْ ريحاً قط أطيبَ منها "[٨٠]. وفي رواية، قالت: " فلمّا كان يومي سكَن "[٨١].

---

(٧٨) المرجع نفسه، ٨/ ١٧٢.

(٧٩) طبقات ابن سعد، ٨/ ١٦٣، أسد الغابة، ٥/ ٥٠٣، ابن حجر، ٨/ ١٤٠، صحيح البخاري، في فضل عائشة، ٥/ ٣٧.

(٨٠) طبـقات ابن سـعد، ٨/ ١٢١؛ أنسـاب البلاذري، ١/ ٦٥٧؛ سـيرة ابن هشـام، ٤/ ٢٩٢؛ الذهبي، ٢٦؛ مسند ابن حنبل، ٦/ ١٢٥.

(٨١) صحيح البخاري، في فضل عائشة، ٥/ ٣٧.

٠٩ غيرةُ عائشة من خديجة

من الطبيعي أن تتميّز حياة السيـدة عائشة بالغيرة المتوقّدة من ضرائرها، وهي الزوجـة الشابّة، بل الطفلة، الـتي لم تعركْـها الـحياة بعـد. هذه الغيـرة، لم تكتمْها عـائشة. ولم تستطع. وقد رجعتْ في غيـرتها حتى إلى تلك المرأة الراحلة التي ماتتْ منذ سنين: خديجة، التي استمرّ النبيُّ يحتفظ لها في قلبه حبّا. من هذا الحبّ كانت عائشة تضطرب. وتقول:

"مـا غِرتُ على امـرأةٍ ما غـرتُ على خديجـة من كثـرة ذكر رسـول الله إيّاها". وتقول أيضـا: "وربّما قلتُ له: كأنّـه لم يكن في الدنيا امرأةٌ إلاّ خـديجة! فيقول: إنها كانت وكانت وكان لي منهـا وَلَد". وزاد في غيرتها من خديجة، أنّها لم تلدْ، فيـما خديجة ولدت البنين والـبنات. والرسول يحبُّ المرأة الودود الولود، كما كان يقول..

وتخبرنا عـائشة عن غيرتهـا من هالة، التي ذكّرتِ النبيَّ بأختِهـا خديجة. فقالت: "فغِرتُ. فقلتُ له: ما تذكرُ من عـجوزٍ من عجائز قريش، حمراء الشِدقَين، هلكتْ في الدهر، وقد أبدلكَ اللّهُ خيراً منها"[٨٢].

وتعلّقُ بنتُ الشـاطئ على غيرة عـائشة من خديجـة: "أشدّ ما كـان يغيظ العروسَ الشابّـةَ أنّ خديجة بقيتْ تشـاركُها عواطفَ زوجِهـا، وهي راقدةٌ هنالك بعيدا تحت ثرى مكّة. وحاولتْ عائشة أن تتجاهل هذه الضرّة التي ماتت، فذهبتْ محـاولتُها عـبثاً، ذلك أنّ طيفَ خـديجة بقي مـاثلاً أمام عينَي زوجـها، واسمـها الحبيب على لسانه، وصوتها في مسمعه، وذكراها حيّة ملء دنياه"[٨٣].

---

(٨٢) صحيح البخاري، باب مناقب خديجة، ٥/٤٧-٤٩؛ سنن إبن ماجة، رقم ١٩٩٧.

(٨٣) بنت الشاطئ، نساء النبي، ص ٢٧٤.

١٠٠ غيرتها من سائر نساء الرسول

إذا لم تجدْ عـائشة شفـاءً لغيرتهـا من زوجة راحلة قـد ماتت منذ سنين، فكيف تجدُ لهـا راحةً مع نساء يشـاركْنَها الآن قلبَ زوجهـا؛ ويتقاسـمنَ الليالي معها؛ وهي تريدُه كلَّهُ لنفسها وحدها، دون سائر النساء!!!

وممّا زاد في ألمهـا أنّ زوجَـها لم يتـزوّجْ على خـديجة أيّـة امرأة، فلمـاذا يتزوّجُ عليها هي؟ هل كانت خديجـة تكفيه بما لها من مال وجَمال، وهي الآن، أي عائشة، لا تكفيه بما لها من جاذبيّة وأفضليّة البكر على الثيّب؟ أم أنّ هناك تدبيراً سرّيّاً لا يعلمه إلاّ الله ورسوله؟

وها هي، إذ تنسى تلك الراحلة وما جلبت لها من تعـاسة، تتفاجأ برتْل من النساء تدخل البيت الـنبويّ، وتشاركها في فـراش زوجها، وتقاسمـها قلبَه، ليلة بليلة، وساعة بساعة.

لم يغب عن بال عـائشة أنّه لا بدّ من أن يكون في تعـدّد الأزواج في البيت النبويّ حكمةٌ إلهيّة. ولكنّها تعرف أيـضا أنّها لم تتزوّج هذه الحكمة الإلهيّة، ولن تسعد بها على حساب بشريّتها وحياتهـا الجنسيّة الطبيعيّة، ولم تعقد قراناً على نبيّ حسـبه الصلاة والسجـود.. كما أنّها لن تعـيش مع إنسان تتقاسم عـواطفه عشرات النسـاء؛ بل المئات، منها ما هو دائـم، ومنها ما هو امتلاك، ومـنها ما هو استمتاع..

١١٠ عائشة والمعركة

غيرة عائشة من نساء النبيّ جعلت حيـاتها صعبة. وإذا شاءت أن تنتصر عليهنّ فلن تستطيع ذلك وحدها. عليها أن تتودّد لبعضـهنّ، وتتقرّب منهنّ. فكانت حفـصة بنت عـمر بن الخطّاب، صـديق أبيها، وسـودة بنت زمعـة التي وهبتـها يومهـا، وزينب الهلاليّـة التي لم ترغب من النبيّ إلاّ أن تكون في عـداد حريمه.. هؤلاء كنّ حِلْفَ عائشة.

وابتدأت المعركـة. عائشة، وحفـصة، وسودة، وزينب الهلاليّـة، من جهة؛ وزينب بنت جـحش، وأم سلَمـة، وجُـويريّة، وصفـيّـة اليهـوديّة،وأمّ حـبـيبـة، وميمونة، من جهة ثانية[٨٤].

* أمّا زينب بنـت جحش فكان مجـيئـها الى حَرَم الرسـول طعنةً في قلب عائشـة. لقد كانت بنتَ عمّتـه، جميلة جدًا، بل آيةً في الحسن والجَمال. أعلن النبيُّ زواجَه منها استجابةً لوحيِ السماء. فانتفضتْ عائشة لهذا الوحي. وقالت للنبيّ: " ما أَرَى رَبَّكَ إلاّ يُسَارِعُ فِي هَوَاك "[٨٥]...

ثمّ راحت عائشة تراقب زينب، " وتحصي الدقائق والساعات التي يقضيها الرسـولُ معـها. فلـمّا رأتْه يُطيل المكْثَ لـديها، فكّرتْ في حـيلة تصـرفه عنهـا. وأشركتْ معها حفصة وسـودة. أيّتهنّ دخلَ الرسولُ عليها إثر انصرافه من عند زينب، لتقل له: أكَلْتَ مَغـافير[٨٦]. وجاء رسـولُ اللّه عائشة، فـتشمّمتْ أنفـاسَه. وقالت: إنّني أشمُّ رائحةَ مغافير. أكلتَ مغافير! وكذلك قالت حفصة، وسودة.. إلاّ أنّ سودة أحـسّت ندماً، وقـالت: سبـحانَ اللّه! واللّهِ لقـد حرمناه! فنظرتْ إليـها عائشة أنِ اسْكُتِي! "[٨٧].

* أمّا موقف عـائشة من أمّ سلَمة، عدّوتهـا الأخرى، فتخبـرنا عنه فاطمة الخزاعيّـة. قالت: " سمعتُ عـائشة تقول: دخلَ عليّ يوما رسـولُ اللّه، فقلتُ: أين كنتَ اليوم؟ قـال: يا حُمَـيراء، كنتُ عند أمّ سلَمَة. فـقلتُ: ما تشـبعُ من أمّ سلَمة؟ قالت: فـتبسّمَ. فـقلتُ: يا رسولَ اللّه! ألا تُخـبرُني عنكَ لو انّك نزلتَ بشـجرَتَين، إحداهما لم تُرْعَ، والأخرى قد رُعِيَتْ؟ قال: ألتي لم تُرْعَ. قلتُ: فأنا ليس كأحدٍ من

---

(٨٤) سيأتي الكلام عن كلّ واحدة منهنّ بالتفصيل.

(٨٥) صحـيح البخاري، كـتاب النكاح، باب المرأة تهب نفسـها لأحد، ٧/١٦؛ السـمط الثمين، ٨٢...

(٨٦) صمْغ يَسيل من بعض الشجر، كريه الرائحة.

(٨٧) صحيح البخاري، ٧/٥٦–٥٧.

نسائك. كلّ امـرأةٍ من نسائك قـد كانت عند رجلٍ غـيري. قالت: فـتبـسّم رسولُ الله "(٨٨).

* أمّا الكندية، أسمـاء بنت النعمان، فقد قرّرت عائشـة إبعادها عن رسول الله قبل أن يعقـد عليها زواجَه. واسـتنجدت بحليفاتهـا، وقالت لهنّ: " قد وضع يدَه في الغـرائب. وقد يوشكنَ أن يصـرفنَ وجهـه عنّا " . واتّفقنَ، على قـول بنت الشـاطئ، على خطة مـوحّدة: أقـبلنَ على العـرس مـهنّئات، يجلـونَها للزفـاف، ويوصينَها بما تفـعل وما تقول، استجلاباً لرضى الزوج العظيم ومـحبّته. فكان ممّا نصحنَهـا به أن تستعـيذَ بالله إذا ما دخلَ عليهـا. ففعلتِ المسكينةُ المخـدوعة، ووقعت في الـفخّ. ولم تكد ترى النبيّ مقـبلا عليهـا، وهي تظنُّ استـجمـاعَ قلبِه وعاطفـتِه نحوها، حـتى استعاذتْ بالله.. فـما كان من رسـول الله إلاّ أن صرف وجهَه عنـها، وتبرّم منها. وقال: لـقد عذتِ بمَعَاذ. وغادرَها من لحـظته، وأمر أن تُمَتّع وتلحق بأهلها. وهكذا تخلّصت عائشة من منافسة خطرة(٨٩).

* أمّا ماريّة القبطيّة فأمرُها على عائشـة كان عسيراً، كما على سائر نساء النبيّ عامّـة. إنّها غـريبة، مسـيحيّـة قبطيّة، سَـرِيَّة، ليستْ من أمّـهات المؤمنين، وجمـيلةٌ جدّا، ولدت للنبيّ إبنه إبراهيم، فـيما امـرأةٌ واحدة، بعد خـديجة، لم تلد له... كلّ ذلك أجّج غيـرةَ عائشة، وأهاجَ غـيظَها.. حتى خرجَ الأمـرُ من يد رسولِ الله.

ذات يوم، خلا النبيُّ بماريّة في بيت حفصة. ولمّا عادت حـفصة إلى بيتها، ورأتْ مـا رأتْ، هاجتْ ومـاجتْ، ودخلتْ على رسـول اللّـه، ولم تهـدأ من البكاء

---

(٨٨) طبقـات ابن سعـد، ٨/ ٨٠؛ الأنساب للبـلاذري، ١/ ٦٥٥؛ إبن الجوزي، ١٥٣؛ السـمط الثمين، ٤٧؛ صحيح البخاري، باب نكاح الأبكار، ٧/ ٦٧...

(٨٩)راجع تاريخ الطبري، ٣/ ١٢٣، ٣/ ١٣٩؛ سيرة ابن هشـام، ٤/ ٢٩٧؛ المحبر، ٩٤؛ عيون الأثر، ٢/ ٢١٠؛ والاختلاف كـبير بين المحدّثين حول من التي استـعاذت بمعاذ. أنظر بنت الشاطئ، نساء النبيّ، ص ٢٧٨-٢٧٩.

والصراخ واللّطم، حتّى حرّمَ الرسولُ ماريّةَ على نفسه، وأوصى حفصة بكتمان ما كان، حبّاً باللّه والدعوة.

لكنّ حفصة لم تستطع أن تكتم ما حصل عن عائشة التي، هي الأخرى، اشتعلتْ نارُ الغيرة في صدرها. وحفصة وعائشة أخبرتا سائرَ النساء. وقامت قيامتُهُنّ على رسول اللّه. ولم يستطعِ الرسولُ تهدئةَ نساء بيت النبوّة إلاّ بتدخّل من السماء. فأنزل اللّهُ عليه:

"يا أيُّها النّبيُّ! لِمَ تُحَرِّمُ ما أحَلَّ اللّهُ لك (أي: من أمَتِكَ ماريّة القبطيّة، لمّا واقعَها، بحسب قول الجلالين، في بيت حفصة، وكانت غائبة، فجاءتْ وشقّ عليها كون ذلك في بيتها وعلى فراشها، حيث قلتَ: هي حرامٌ عليّ).

"تَبتغي مرضاةَ أزواجِكَ. واللّهُ غفورٌ رحيم (أي يغفر لك هذا التحريم)...

"وإذْ أسَرَّ النّبيُّ إلى بعضِ أزواجِه (حفصة) حديثاً (وهو تحريم ماريّة. وقال لها: لا تُفشيه). فَلَمَّا نَبَّأَتْ بهِ (عائشة، ظنّاً منها أنْ لا حَرَجَ في ذلك) وأظْهَرَهُ اللّهُ عليه، عرَّفَ بعضَه (لحفصة)، وأعرَضَ عن بعضٍ (تكرّما منه).

"فلمّا نَبَّأها بهِ، قالتْ: مَنْ أنبأكَ هذا؟ قال: نبّأني العليمُ الخبير (أي اللّه).

"إنْ تَتُوبَا (أي حفصة وعائشة) إلى اللّهِ، فقدْ صَغَتْ قلوبُكما (أي سَرَّكُما ذلك مع كراهة النبيّ له. وذلك ذنب).

"وإنْ تَظَاهَرَا (أي تتظاهرا، تتعاونا) عليه (أي على النبيّ)، فإنَّ اللّهَ هو مَولاهُ، وجبريلُ، وصالحُ المؤمنين (أي أبو بكر وعمر) والملائكةُ بعدَ ذلك (أي بعد نصر اللّه والمذكورين) ظَهِيرٌ (أي أعوان له في نصره عليكما).

"عسَى ربُّهُ إنْ طَلَقَكُنَّ (أي طلّق النبيُّ أزواجَه) أنْ يُبْدِلَهُ أزواجًا خيرًا منكنّ: مُسلماتٍ، مؤمناتٍ، قانتاتٍ، تائباتٍ، عابداتٍ، سائحاتٍ، ثيّباتٍ، وأبكاراً"[٩٠].

---

(٩٠) سورة التحريم، ٦٦/ ١١-١٥، ما بين هلالين هو من تفسير الجلالين.

وطلّقَ رسولُ اللّه نساءه جميعَهنّ تسعاً وعشرينَ ليلةً، كانتْ عليهِنّ كأيّام جهنّم.

عن هذه الحادثة المريبة في بيت النبوّة يخبرنا ابن عبّاس، أحد المحدّثين الثقاة. قال: " خرجتْ حفصة من بيتها، وكان يومُ عائشة، فدخلَ رسولُ اللّه بجاريتِه (القبطيّة)، وهي مُخَمَّرٌ وجهُها (أي محجّب). فقالت حفصة لرسول اللّه: أما إنّي قد رأيتُ ما صنعتَ. فقال لها رسولُ اللّه: فاكْتُمِي عَنّي. وهي حرام. فانطلقتْ حفصة إلى عائشة، فأخبرتْها، وبشّرتْها بتحريم القبطيّة. فقالت له عائشة: أمّا يومي فَتُعرِّس فيه بالقبطيّة. وأمّا سائر نسائكَ فتُسلِّمُ لهنّ أيّامَهُنَّ! فأنزلَ اللّه عليه: وإذْ أسَرَّ النبيُّ... (كما وردتْ في سورة التحريم[٩١]).

٠١٢ هَجْرٌ لا طلاق

تجاه هذا العبثِ النسوي، قرّر رسولُ اللّه اعتزال نسائه جميعهنّ. فاعتزلهنّ. وتهامس الناس. وتطاولت الألسنُ النبيَّ ونساءَه بالتهم والكلام السيّء. وعمّ الحزنُ المسلمين. لقد تجاوز الأمرُ كلَّ تقدير. حتى عائشة، قائدة الثورة وزعيمةُ المتظاهرات، لم تُدرك أنّ الأمور ستصلُ إلى هذا الحدّ. ولم تفزع لغضب رسول اللّه، بقدر ما فزعتْ لما مسّه من مشقّة حرمان نفسه ممّن يُحِبُّ. وكان قلبُها يذوبُ عليه، وهي تتصوّرُهُ مستحبِساً، متنسّكاً، حزيناً، محروماً، يتحرّق من دون زوج يسكنُ إليها ويرتاح.

وتدخلُ بنتُ الشاطئ نفسيّةَ رسول اللّه لتُفشي كوامنَها، فتقول: " ومضى شهرٌ بأكمله في اعتزالِهنّ.. والمسلمون يرقبون نبيّهم، وعائشة مضطربة محتارة، وأمّهاتُ المؤمنين مروّعات بالهجْر.. ولكنّ النبيَّ لم يُطلِّقْ نساءه. إنّه إنذارٌ لهنّ إنْ لم يَتُبْنَ فسوف يُبدِلهُ اللّهُ أزواجًا خيرًا منهنّ (كما ورد في سورة التحريم).

---

(٩١) راجع طبقات ابن سعد، ٨/ ١٨٥-١٨٦.

"لم يطلّقْهُنَّ.

" وطارتِ البشــرى إلى أمّهات المؤمنين: إنّ النبيَّ عــائدٌ إلى بيته. فـوقفنَ بأبوابهنّ، في لهْفةٍ يلتمسْنَ نظرَةً إلى وجهه الكريم إذ يعودُ من معتزَلِه، على حين بقيتْ عائشة داخلَ مخدعِها تستـعدُّ للقاء الحبيب العائد، إذ كانت تعرف عن يقين أنّ إليها أوّلُ المطاف " . طلّ الحـبيبُ. ففاجأتْه الحـبيبةُ بعتـابٍ محبّب: " بأبي أنتَ وأمّي، يا نبيَّ اللّه! قلتُ كلمــةً لم ألقَ بها بالاً، فغضــبتَ عليَّ. أقسمتَ أن تهـجرَنا شـهراً، ولمّا يمضِ منه غيرُ تسعٍ وعشرين؟ فأشرقَ وجهُهُ، عليهِ الصلاة والسلام، وقد سُرَّهُ أن يعـرفَ أنّها كانت تُحصي ليـالي الفراق عَدًّا.. وأجابهـا بأنّ شـهرَها ذاك تسـعٌ وعشرين ليلة "[٩٢].

ويخبرُنا ابنُ سعد بأنّ الرسولَ، " لمّا عـاودَ أزواجَه، ابتدأ بعائشـة، وسـألها إن كانت تريدُ اللّهَ ورسولَه والدارَ الآخرة. ثم سـأل سـائرَ نسائه. وكنّ، جميعُهنّ، يُردْنَ اللّهَ ورسولَه والدارَ الآخرة "[٩٣].

هكذا انتصرتْ عائشة في محنة الهجْرِ كما ستنتصر في محنة الإفك.

---

(٩٢) بنت الشاطئ، نساء النبيّ، ص٢٧٨–٢٧٩.

(٩٣) طبقات ابن سعد، ٨/ ١٨٥–١٨٦.

٠١٣ محنة الإفْك

فيما رسولُ اللّه والمسلمون عائدون من غزوة بني المصطلق إلى المدينة منتصرين، سنةَ ستٍّ من الهجرة، تفقّدوا عائشة التي كانت تصطحبُهم في غزوتهم هذه، فلم يجدوها. وكان عمرها يومذاك خمس عشرة سنة... فاضطرب الجميع. وراحوا يتساءلون: أين هي؟ مع من هي؟ لِمَ تخلّفتْ عن الركْب؟ من يحميها؟.. وتكاثرت الأقاويل، وحامت الظنون حولها بسبب تخلّفها هذا..

ولنسمعْها تخبرنا، هي بنفسها، عن هذه الحادثة. قالت:

" كان رسولُ اللّه، إذا أراد سفراً، أقرعَ بين نسائه. فأيّتهنّ خرجَ سَهمُها خرجَ بها معه. فلمّا كانت غزوةُ بني المصطلق، أقرعَ بين نسائه، كما كان يصنعُ، فخرجَ سهمي عليهنّ معه. فخرجَ بي رسولُ اللّه...

" فلمّا فرغَ رسولُ اللّه من سَفَره ذلك، وجَّهَ قافلاً، حتى إذا كان قريبا من المدينة نزل منزلا، فبات به بعض الليل؛ ثمّ أذَّنَ في الناس بالرحيل. فارتحل الناس. وخرجتُ لبعضِ حاجتي، وفي عُنُقي عِقْدٌ لي، فيه جزع ظفار[٩٤]. فلمّا فرغتُ، انسلَّ مِن عُنقي ولا أدري. فلمّا رجعتُ إلى الرحْلِ، ذهبتُ ألتمسُه في عُنقي، فلم أجدْه، وقد أخذَ الناسُ في الرحيل. فرجعتُ إلى مكاني الذي ذهبتُ إليه، فالتمستُه حتى وجدتُهُ. وجاء القومُ.. فأخذوا الهَودَجَ، وهم يظنّون أنّي فيه. ثمّ أخذوا برأسِ البعيرِ، فانطلقوا به. فرجعتُ إلى العسكر، وما فيه من داعٍ ولا مُجيب. قد انطلق الناس.

" فتلفّفتُ بجلبابي، ثمّ اضطجعتُ في مكاني، وعرفتُ أنْ لو قد افتُقدْتُ لرُجع إليّ. قالت: فواللّهِ! إنّي لَمُضطجعةٌ إذ مرّ بي صَفوانُ بنُ المعطّل السلَمي، وقد كان تخلّف عن العسكر لبعض حاجته، فلم يبتْ مع الناس، فرأى سَوادي، فأقبلَ حتى وقف عليَّ، وقد كان يراني قبل أن يُضرَبَ علينا الحجاب.

---

(٩٤) خرز من ظفار، وهي مدينة باليمن.

" فلمّا رآني، قال: إنّا للّهِ وإنّا إليهِ راجعـون! ظَعينَةَ رسولِ اللّه!!! ما خَلَّفَكِ؟ يَرحمُكِ اللّه! قالت: فـما كلّمتُهُ. ثمّ قرّب البـعيرَ، فقال: إركبي. واسـتأخري عنّي. فركبتُ. وأخذَ برأسِ البعيرِ. فانطلقَ سريعاً يطلبُ الناسَ. فواللّهِ ما أدركْنَا الناس، وما افتُقِدتُ، حتى أصبحتُ ونزلَ الناس، وطلع الرجلُ يقودُ بي.

" فقال أهلُ الإفكِ ما قالـوا. فارتعجَ (أي اضطرب) العسكر. واللّهِ، ما أعلمُ بشيءٍ من ذلك "(٩٥).

وتكمّل كتب السير النبويّة بما يلي:

" وشاع خبرُ الإفْـك سريعا. وتناقلتْه الناس. وفيهم من أخـصّاء الرسول وأحبّـائه، أمثـال حسّان بن ثابت شـاعر النبيّ، مـسطح بن أثاثة قريب عـائشة، وحَمنة بنت جحش بنت عمّة النبيّ، وغيرهم..

" وبلغتِ الشائعـةُ مسامعَ أبـي بكر وأمّ رومان، والدَي عائشـة. لكنّ أحداً منهـما، أو من سواهمـا، لم يستطعْ أن يـواجهَ عائشـة بما يسمع، إذ كـانت، منذ قدمتِ المدينة، معـتلّةً، تشتكي شكوى شديدة، لا تدري ما يُقـال عنها، ولا تعرفُ سببَ جفاء زوجها، ولا بُعد والدَيها عنها..

" ولم تزلْ تشعرُ بالجفاء مدّة حـتى كاشفت الرسولَ بذلك. قالت: " فقلتُ: يا رســولَ اللّه! لقد رأيتُ مـا رأيتُ من جفـائك لي: لو أذنتَ لي فانتـقلتُ إلى أمّي فمرّضـتْني؟. قال: لا عليكِ. قالت: فانتـقلتُ إلى أمّي. ولا عِلمَ لي بشيء ممّا كان. حتى نقهتُ من وجعي بعدَ بضـعٍ وعشرين ليلة...

" وراحت عائشـة تسـألُ وتتحرّى عن سبب الجفاء، إلى أن أخـبرتها خالةُ أبيـها. ورجـعتْ إلى بيتـهـا، تخبـرُ: فواللّهِ! مـا زلتُ أبكي حـتى ظننتُ أنّ البكاء

---

(٩٥) أنظر رواية الإفْك في سيرة ابن هشام، ٣/ ١٨٩-١٩٤...وتجدها في كتب السير النبوّية كلّها، وباللفظ نفسه تقريبا.

سيصدع كَبِدي. وقلتُ لأمّي: يَغفرُ اللّهُ لك. تَحَدَّثَ الناسُ بما تحدَّثوا به، ولا تذكري لي من ذلك شيئا؟! قالت: إيْ بُنيّة! خفِّضي عليكِ الشأن. فواللّهِ، لقلّما كانتِ امرأةٌ حسناء عند رجلٍ يُحبُّها، لها ضرائر، إلاّ كثَّرْنَ وكثَّرَ الناسُ عليها.

" غير أنّ الشائعة ظلّتْ تتفاعلُ وتسيرُ بين المسلمين.. حتى دخلَ رسولُ اللّه على عائشة، وهي بهذه الحال من اليأس. قالت: ثمّ دخلَ عليَّ رسولُ اللّه، وعندي أبواي، وعندي امرأةٌ من الأنصار، وأنا أبكي. وهي تبكي معي. فجلسَ، وحمدَ اللّهَ، وقال: يا عائشة! إنّه قد كان ما قد بلغكِ من قول الناس. فاتّقي اللّه. وإنْ كنتِ قد قارفتِ سوءاً ممّا يقول الناس، فتوبي إلى اللّه. فإنّ اللّه يقبلُ التوبة من عباده.

" فواللّهِ، ما هو إلاّ أن قال لي ذلك حتى جفَّ الدمعُ من مقلَتَي، وهربَ الدمُ من عروقي لهولِ ما سمعتُ. وحاولتُ التكلّمَ، فعصاني لساني. فتلفّتُّ إلى والدَي، منتظرةً منهما الجواب عنّي. فلم يتكلّما. ثمّ قلت: واللّهِ، لا أتوبُ إلى اللّه ممّا ذكرتَ أبداً. واللّهِ، إنّي لأعلمُ لئن أقررتُ بما يقولُ الناس، واللّهُ يعلمُ أنّي منه بريئة، لأقولنّ ما لم يكن. ولئن أنا أنكرتُ ما يقولون لا تُصدّقونني...

" قالت: فواللّهِ! ما برح رسولُ اللّه مجلسَه عندها حتى تغشّاهُ من اللّه ما كان يتغشّاهُ عند نزول الوحي.. وبدأ الوحيُ ينزل. ويتحدّرُ العرَقُ على النبيّ مثل الجمان، في يومٍ شاتٍ. فجعلَ يمسحُ العرقَ من جبينه ويقول:

" أبشِري يا عائشة! فقد أنزَلَ اللّهُ براءَتَكِ.

"وتنفّسَ أبو بكر، كمن أُزيح عن صدره كابوس جاثم؛ ووثبتْ أمُّ رومان، وأشارتْ إلى عائشة أن تقومَ إلى زوجها. فقالت عائشة بإباء: " واللّهِ، لا أقومُ إليه. فإنّي لا أحمدُ إلاّ اللّهَ عزّ وجلّ، هو الذي أنزل براءتي. أمّا النبيّ فرنا إليها في عطف، وهو يتذكّرُ ما كابدتْ من إفك ظالم. وخرج إلى المسجد، وتلا على الناس ما أُنزل إليه بسبب ذلك:

"إنّ الذينَ جاءوا بالإفْكِ عُصْبَةٌ منكم (أي جماعة من المؤمنين).

"لا تَحسَبوه شرّا لكم، بل هو خيرٌ لكم... واللّهُ يعلم وأنتم لا تعلمون..

"ثمّ جلد الذين تقوّلوا بالفاحشة ثمانين جلدة، بحسب أمر اللّه: "إنّ الذين يَرمون المُحصنات.. لُعنوا في الدنيا والآخرة. ولهم عذابٌ عظيم.. "[٩٦].

"وكان يُسألُ عن صفوان بن المعطّل السكران الذي اتُّهمتْ به أمّ المؤمنين، فوجدوه رجلا حصورا ما يأتي النساء "[٩٧].

٠١٤ أسرار رسول الله عند عائشة

لن نترك عائشة من دون أن تخبرنا عن حياتها الخاصّة الحميمة مع رسول اللّه. لقد كانت تتوضّأ معه في إناء واحد، وتغسل رأسَه وفرجَه، وتفرك أثر المني عن ثيابه، ويداعبها ويضاجعها وهي حائض، ويباشرها وهو في جوار المسجد، وتنقل عنه ما تستحي النساء نقلَه بعضهنّ عن بعض... عن هذه الأسرار تخبرنا وتقول:

قالت: "كنتُ أغسلُ الجنابةَ من ثوب النبيّ (ص) فيخرُجُ إلى الصلاة، وإنّ بُقَعَ الماء في ثوبه "[٩٨]. وعن سليمان بن يسار قال: سألتُ عائشة عن المني يصيبُ الثوبَ، فقالت: كنتُ أغسلُهُ من ثوب رسول اللّه (ص) فيخرج إلى الصلاة وأثَرُ الغسل في ثوبه بُقَعُ الماء "[٩٩].

---

(٩٦) سورة النور، ٢٤/ ١١١١-٢٣.

(٩٧) صحيح البخاري، كتاب النكاح، ٧/ ٤٤؛ طبقات ابن سعد، ٨/ ١٦٩، تاريخ الطبري، ٣/ ١٩١، مسند ابن حنبل،٦/ ٢٢٨، السمط الثمين، ٥٥، سيرة ابن هشام، ٤/ ٢٩٢، الاستيعاب، ٤/ ١٨٨٥، أنظر زاهية قدّورة، عائشة أمّ المؤمنين، ص ٩٠-٩١، بنت الشاطئ، نساء النبيّ، ص٢٩٤-٢٩٥...

(٩٨) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب غسل المني وفركه وغسل ما يصيب المرأة، ١/ ٦٧.

(٩٩) ألمرجع نفسه.

وعنها قـالت: "كنتُ أغتـسلُ أنا والنبيّ (ص) من إناء واحد. كـلانا جُنُبٌ. وكـان يأمرُني فـأتّزِرُ، فـيُبـاشرني وأنا حـائض. وكـان يُخرج رأسَـه إلي وهو معتكف، فـأغسلُه وأنا حائض"[١٠٠]. وعنها أيضـا، أنّهـا كانت تُرَجِّلُ رأسَ رسـول اللّه (ص) وهي حائض، ورسولُ اللّه حـينئذ مجاورٌ في المسجـد، يُدني لها رأسَه وهي في حُجرتها، فتُرجِّلُه وهي حائض"[١٠١].

ومرّ معنا فتاوى كثيرة قامت بها عائشة مقام رسول اللّه.

١٥٠ الليلة الأخيرة

وكرّت الأيام.. ومالت شمسُ الرسول نحو المغـيب؛ وعائشة لا تزالُ صبيّة فتّـانة دون الثامنة عشـر. "دخل عليها أثناء مـرضه الأخيـر، فوجدها مـتوعّكة، تشكو صداعـاً، وتئنُّ متوجّـعةً: وارأساه! قال، وقـد بدأ يُحسُّ ألمَ المرض: بل أنا، واللّهِ، يا عائشة، وارَأْسَاه!.

"فلمّا كرّرتِ الشكوى، قال ملاطفاً: ومـا ضرُّكِ لو مُتِّ قَبْلي، فقُمتُ عليكِ، وكَفَّنْتُكِ، وصلَّيْتُ عليكِ، ودَفَنْتُكِ؟.ردّتْ، وقد هاجتْ غَيرتُها: ليكنْ ذلك حظُّ غيري. واللّهِ، لكأنّي بكَ لو قـد فعلتَ ذلك، لقـد رجعتَ إلى بيـتي فأعـرسْتَ فيه بـبعض نسـائكَ! قالت: فـتبسّم رسولُ اللّه، وتتامّ به وجعُـه، وهو يدورُ على نسـائه، حتى استعزّ به، وهو في بيت مَـيمونَة؛ فدعا نسـاءه ، فـاستأذنهنّ في أن يُمرَّضَ في بيتي. فأذنَّ له"[١٠٢].

أتبغي عائشة أن تقول للنبيّ: إنّكَ تتمنّى أن أموتَ قَـبْلَكَ لتستفيدَ من بيتي، وتدخلَ إليهِ مع نسـائك، فتكون حرّا منّي، أنـا التي أحصيتُ عليكَ أنفـاسَك؟.. لقد كانت حقّـاً امرأةً غيورة متعـبة. لم ترحم النبيَّ، حتى في ساعة الفـراق الأخير..

---

(١٠٠) صحيح البخاري، كتاب الحيض، باب مباشرة الحائض، ١/ ٨٢.

(١٠١) المرجع نفسه.

(١٠٢) البخاري، كتاب الوضوء، ١/ ٦١؛ سيرة ابن هشام، ٤/ ٢٩٢؛ تاريخ الطبري، ٣/ ١٩١...

ومع هذا، فـقد "أشرقَ وجـهُهُ.. ثم قـام يطوفُ على نسائه.. حـتى إذا وصل إلى بيت ميمونة، لم يعـدْ يحتمل مغالبةَ ألَمِه، فنظرَ إلى زوجاته، وقـد اجتمعنَ حوله، ثم سـأل : "أين أنا غدا؟ قـالوا: عند فلانة. قال: أين أنا بعدَ غـد؟ قالوا: عند فلانة. فعرف أزواجُه أنّه يُريدُ عائشة. فقلنَ: يا رسولَ اللّه! قد وهَبْنا أيّامَنا لعائشة.

فكان في بيت عائشة، حتى مات عندها. قـالت : فمات في اليوم الذي كان يدورُ عليَّ فيه فـي بيتي. فقبَضَـه اللّهُ، وإنّ رأسَه لَبَيْنَ نحري وسـحري، وخالطَ رِيْقُهُ رِيْـقِي.. ثم وضعتُ رأسَـهُ على وسَادة، وقمـتُ ألتدمُ مع النسـاء، وأضربُ وجهي "[١٠٣]. ودُفن صلّى اللّهُ عليه وسلّم حيثُ قُبض، أي في بيت عائشة.

٠١٦ مكانةُ عائشة

كانت عائشة المرجع الأهمّ لمعرفة أي شيء عن رسول اللّه. لقد كانت دائما بقربِه، تسمعه. تراه. تكاشفـه. يساررها. قال عنها الإمام الزهري: "لو جُمِع علمُ عـائشـة إلى علمِ جـمـيع أزواج النبيّ وعلمِ جـمـيعِ النسـاء، لكان علمُ عـائشـة أفـضل "[١٠٤]. والحقّ يقـال، إنّ عـائشـة، عند أهل السـنّة، هي المرجع الأوّل في الحديث والسنّة. وهي أيضا الفقيهة الأولى في الإسلام.

كانت مكانة عائشة في قلب النبيّ لا تقتـصر في هذه الدنيا، بل تعدّتها إلى أن تبقى زوجتَه الفضلى، حتى في الجـنّة. لذا، كان لا يخشى الموت، لاعتقاده أنّه سيلتـقي بها هناك. وقـد أثر عنه قولُه: "لقد أُرِيْتُـهَا في الجنّة ليـهونَ بذلك عليّ موتي. كأنّـي أرى كَفَّيْها، يعنـي عائشة "[١٠٥]. وقال أيضا: "عـائشة زوجي في الجنّة "[١٠٦].

---

(١٠٣) صحيح البخاري، كتاب النكاح، ٧/ ٤٤؛ تاريخ الطبري، ٣/ ١٦٧؛ طبقات ابن سعد، ٨/ ٤٥، ٦٦، ٧٦...

(١٠٤) انظر الاستيعاب، ٤/ ١٨٨٣؛ الإصابة، ٤/ ١٤٠.

(١٠٥) طبقات ابن سعد، ٨/ ٤٥، ٦٦.

(١٠٦) المرجع نفسه، ٨/ ٦٦.

وقُبيْلَ مفارقته الحـياة، أوصى النبيُّ عائشةَ بأن لا تُسْرفَ في الدنيا، وأن لا تُجالسَ الأغنياء، أو تلبـس ثيابا شفّافةً، أو ممزّقـةً (؟؟!!) عن عروة بن الزبير، عن عائشة، قـالت: " قال لي رسولُ الله: يا عائشة! إنْ أردتِ اللـحُوقَ بي فَلْيَكْفِيكِ من الدنيا كـزاد الراكب. وإيّاكِ ومجالســة الأغنياء. ولا تستـخلفي (أي تلبسـي) ثوبا حتى ترقعيه "(١٠٧)

ثمّ توفّيتْ عائشــة، أمّ المؤمنين، في السادسة والستين من عـمرها. وكانت وفاتهـا في ١٧ رمضـان سنة ٥٧ من الهـجرة(١٠٨). وصلّى عليهـا أبو هُرَيْرَة، ثمّ شُيّعتْ إلى البقيع. فأودع جثمانُها مع أمّهات المؤمنين. وقد غمرت حفرةُ الموتِ ما كان بينها وبينهنّ من غيرة وخصام.

٤

حفصَة بنت عمر بن الخطّاب

هي حفصة بنت عمر بن الخطّاب. أمّها زينب أخت عثمان بن مظعون، بنت عمّ خديجة، وابنة عمّ القسّ ورقـة. عن أبيها قال: " وُلدتْ حفـصة، وقريشٌ تَبني البيتَ، قبلَ مبعثِ النبيّ بخمس سنين "(١٠٩).

---

(١٠٧) المرجع نفسه، ٨/ ٧٦.

(١٠٨) تاريخ الطبري، حوادث سنة ٥٨ هجريّة؛ السمط الثمين، ٥٢؛ الاستيعاب، ٤/ ١٩٩٥...

(١٠٩)أي سنة ٦٠٥ م، وكان لمحمّد ٣٥ سنة. أنظر طبقات ابن سعد، ٨/ ٨١.

كانت، قبل النبيّ، تحت خُنَيس بن حُذافة. هاجرت معه إلى المدينة، ومات عنها في غزوة بدْر، وهي بعمر ثماني عشرة سنة، أرملة شابّة.

عن عبدالله، أخيها، قال: "لمّا تأيَّمَتْ حَفصة، لقي عمرُ أبوها عثمانَ بن عفّان، فعرضَها عليه. فقال عثمان: ما لي في النساء حاجة. فلقي أبا بكر، فعرضَها عليه. فسكتَ. فغضبَ عمرُ على أبي بكر. فإذا رسولُ الله قد خطبَها فتزوَّجَها"(١١٠).

ولمّا تزوّجها رسولُ الله قال: "يتزوَّجُ حفصةَ مَن هو خيرٌ من عثمان، ويتزوَّجُ عثمانُ مَن هي خيرٌ من حَفصة"(١١١).

فرجع أبو بكر إلى عمر بن الخطّاب يقول له: "إنّي قد كنتُ علمتُ أنّ رسولَ الله قد ذكرَها، فلم أكنْ لأفشي سرَّ رسولِ الله. ولو تركَها رسولُ الله قَبِلتُها"(١١٢). قد يعني ذلك أنّ رسولَ الله كان، في أحاديثه الحميمة مع أبي بكر، يذكرُ له جمالَ حفصة وموقعَها في قلبه.

هكذا يكون رسولُ الله قد تزوّج حفصةَ في شهر شعبان على رأس ثلاثين شهرا قبل غزوة أُحُد.

دخلتْ حفصةُ بيتَ النبيّ، وفيه امرأتان اثنتان، سَودة وعائشة. ولئن نافستِ الأولى بتقرّبها من قلب النبيّ، فإنّها سوف تبقى دون الثانية. وقد عرف ذلك أبوها عمر، عندما حاولت أن تكون بمستوى عائشة، فقال لها: "أين أنتِ من عائشة؟! وأين أبوكِ من أبيها؟! وزجرها يوما قائلا: "واللهِ! لقد علمتُ أنّ رسولَ الله لا يُحبُّكِ. ولولاي لطلّقَكِ".

---

(١١٠) المرجع نفسه، ٨/ ٨١-٨٢.

(١١١) خيرٌ من عثمان هو النبيّ. وخيرٌ من حفصة إبنة النبيّ. طبقات ابن سعد، ٨/ ٨٣.

(١١٢) طبقات ابن سعد، ٨/ ٨٢، الاستيعاب، ٤/ ١٨١١١، الإصابة، ٤/ ٥١؛ السمط الثمين، ٨٣؛ عيون الأثر، ٢/ ٣٠٢.

ومع هذا، لم تكن بدون غـيـرة من عائشــة. وقـد دبّرت مكيدة لتـخـتبـر موقـعها من قلب النبيّ. عن عـائشة قالت: "إنّ النبيّ (ص) كان، إذا خـرج، أقرع بين نسائه. فطارت القرعة لعائشة وحـفصة. وكان النبيّ، إذا كان الليل، سار مع عائشة يتحـدّث. فقالت حفصة: ألا تركبينَ الليلة بعـيري، وأركبُ بعيرَكِ، تنظرينَ وأنظر؟ فقالت: بلى. فركـبتْ. فجاء النبيّ (ص) إلى جَمَلِ عائشة، وعليـه حفصة. فسلّم عليها. ثم سار حتى نزلوا. وافتقـدتْه عائشة. فلمّا نزلوا، جعلتْ رجلَيها بين الإذخـر (نبات عطري). وتقـول: يا ربُّ! سلِّطْ عليَّ عـقـرباً أو حيّـةً تلدغني. ولا أستطيع أن أقولَ لهُ شيئًا "[١١٣].

ثمّة رواية عن تجسّس حفصة على رسـول الله، تخبرنا إيّاها لُهَيَّة جارية حفصـة، تقول: "إنّ حفصة، زوجَ النبيّ، أرسلت لهـيّة، خادمتَهـا، وأم ولد أبيها، في يومـها الذي يدور إليهـا فيه رسولُ الله. فقالت: إنّه خـرجَ من عندي، فاحتَبَسَ عنّي. فـانظري عند أيِّ نسائه؟ فـانطلقتْ لُهيّـة، فوجـدتْه عند صفـيّة اليـهوديّة. فرجعتْ إلى حـفصة. فأخبرتْها. فطفـقتْ حفصة تقول: خلا بيـهوديّة. ثم أمَرَتْ لُهيّـةَ أن ترجعَ إلى صفـيّة حـتى يخرجَ النبيُّ مـن عندها فتـخبرُها بالـذي قالت حفـصة. فقـالت صفـيّة: واللهِ! إنّي لابنة هارون، وإنّ عـمّي موسى، وإنّ زوجي لرسول الله. ما أعرف لأحدٍ أن يكون أفضل منّي. فـدخلَ وصفيّة تبكي. فقال لها ذلك. فأخبرتْه بالذي بلّغتْـها لهيّة عن حفصة وبالذي قالت لها. فـصدّقها رسولُ الله. فلمّا رأتْ حفصة ذلك، قالت: واللهِ، لا أؤذي صفيّةَ أبدا "[١١٤].

" ولمّا كان الصـبحُ، غدتْ حفصـة مسرعةً إلى عائـشة تخبرها عـمّا حدث معها. فتظاهرت حفصة وعائشة، بسبب ذلك، على النبيّ. وبسببهما نزلتْ سورةُ التحريم... وبسبب إفشاء هذا السرّ، همّ النبيّ بتطليق حـفصة. وطلّقها فعلاً. لكنّه راجعـها رحمـةً بصديقه عـمر، الذي حثـا التراب على رأسه. فنزل جـبريلُ على النبيّ، يقول له: "إنّ اللهَ يأمرُكَ أن تُراجعَ حفصة رحمةً بعمر ".

(١١٣) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب القرعة بين النساء إذا أراد سفراً، ٧/٤٣.
(١١٤) الإصابة، ٤/٤٠٠، رقم ٩٥١.

في الإصابة، "دخل عمر على ابنته وهـي تبكي. فقال: لعلّ رسول اللّه قد طلّقك؟ إنّه كـان طلّقكِ مـرّةً ثم راجعكِ من أجلي. فـإنْ كـان طلّقكِ مرّةً أخـرى لا أكلّمُكِ أبداً "(١١٥).

وفي الصحيـحين، "خرج عمر إلى المسجد، فـألفى المسلمين هناك ينكتون الحـصا مطرقين، ويـقولون: طلّقَ رسـولُ اللّه نســاءه. ولكن عـمر –وابنتُـه هي السـبب– لم يطق على ذلك صبـراً. فجـاء رسولَ اللّه باكـيا. ويقـول: واللّه! لئن أمرَني رسولُ اللّه بضربِ عُنُقِها لأضـربَنَّ عُنُقَها. ثمّ قال: يا رسولَ اللّه! ما يشقُّ عليكَ من أمر النساء. إن كنتَ طلّقتَهنّ فإنّ اللّهَ مـعكَ وملائكتَه وجبريلَ وميكائيلَ وأنا وأبا بكر والمؤمنـين معك.. فـابتـسم رسـولُ اللّه، وارتاحَ عـمـر، ونزل إلى المسجـد، وبشّرَ المسـلمين: لم يطلّقْ رسولُ اللّه نســاءه. وخرج رسـول اللّه يتلو آيات التحريم "(١١٦).

وفي كتب السِـير النبـويّة، "إنّ رسولَ اللّه طلّق حفـصة. فـأتاها خالاها عثـمان وقدامـة، إبنا مظعون، عـمّا المرحـومة خديجـة، فبكتْ. وقـالتْ: واللّه! ما طلّقني رسولُ الـلّه عن شِبَع. فجـاء رسولُ اللّه، فدخل عليـها. فـتجلببتْ. فـقال رسولُ اللّه: إنّ جبريلَ أتاني فقال لي: أرْجِعْ حفـصة. فإنّها صَوّامة قَوّامة. وهي زوجتك في الجنّة "(١١٧).

وتوفّيتْ حَفْصَة. فصلّى عليـها مروان بن الحكم، وهو يومئذ عامل المدينة. وتبعها إلى البـقيع. وجلس حتى فرغ من دفنها. وكان ذلـك في شعبان سنة ٤٥ للهجرة، في خلافة معاوية. وكان لها من العمر ستّون.

---

(١١٥) الإصابة، ٤/ ٥٨.

(١١٦) أنظر صحيح البخاري، وصحيح مسلم، في تطليق حفصة واسترجاعها.

(١١٧) أنظر: الإصابة، ٤/ ٢٧٣، رقم ٢٩٦؛ أسد الغابة، ٦/ ٦٥–٦٦، رقم ٦٨٤٥؛ الاستيعاب، ٤/ ١٨١٢؛ طبقات ابن سعد،٨/ ٨١–٨٦.

٥

زينب بنت خُزيمة العامريّة

هي المكنّاة بأمّ المساكين، لكثرة اهتمامها بالمساكين وإطعامهم. كانت تحت الطفَيل بن الحارث بن عبد المطّلب، أي ابن عمّ النبيّ. طلّقها. فخلَفَه عليها أخوه عُبَيدة الذي استُشهد في بدْر. فخلَفَه عليها النبيّ. وقيل كانت أيضا تحت عبدالله بن جحش، إبن عمّة النبيّ. وهي أخت ميمونة، زوج النبيّ، لأمّها.

تزوّجها رسولُ الله في شهر رمضان، على رأس أحد وثلاثين شهرا من الهجرة، بعد حفصة بشهر واحد. مكثت عنده ثمانية أشهر، أو ثلاثة، ثم توفّيت. وكانت وفاتها في حياة النبيّ، الذي صلّى عليها، ودفنها بالبقيع. وكان عمرها يوم وفاتها ثلاثين سنة.

أجمع الرواة على وصفها بالطّيّبة. إنّها عنوان الكرم والعطف على الفقراء. ولا يكاد يُذكَرُ اسمُها إلاّ مقرونا بلقبها "أمّ المساكين". و"كانت تسمّى أمّ المساكين لرحمتها إيّاهم ورقّتها عليهم"[١١٨].

---

(١١٨) أنظر: الإصابة، ٤/ ٣١٥-٣١٦، رقم ٤٧٩؛ أسد الغابة، ٦/ ١٢٩، رقم ٦٩٥٣؛ المحبر، ٨٣؛ جمهرة أنساب العرب، ٢٦٢؛ السمط الثمين، ١١٢؛ عيون الأثر، ٢/ ٣٠٢؛ طبقات ابن سعد، ٨/ ١١٥-١١٦؛ سيرة ابن هشام، ٤/ ٢٩٧؛ تاريخ الطبري، ٣/ ١٧٩؛ شذرات الذهب، ١/ ١٠؛ الإستيعاب، ٤/ ١٨٥٣.

٦

أمّ سَلَمَة المخزوميّة

هي هند، أو رملة، بنت أبي أمـيّة بن المُغـيرة المخـزوميّة. عُـرف أبوها بزاد الركب، وهو أحد أجواد قريش المشـهورين بالـكرم. كانت، قبل أن يتزوّجها النبيّ، تحت أبي سَلَمـة، عبـدالله بن عـبد الأسـد، إبن عـمّة الرسـول، برّة، وأخيـه من الرضاعة. أرضعتْهما ثُوبيّـة. وكانت أمّ سَلمة وزوجُها عبدالله أوّل من هاجر إلى الحبشة. ولدتْ له هناك: سَلَمَة، وعمر، ودرّة، وزينب.

يقول ابنها عمرَ: "مات أبي لثمانٍ خَلونَ من جمادى الآخرة، سنة أربع من الهجرة، فاعتدّتْ أمّي، وحلّتْ لعشرٍ بقين من شوال، فتزوّجها رسولُ الله "(١١٩).

كانت أمّ سَلمة وزوجُها عبدالله تعـاهدا بأن لا يتزوّج أحدٌ منهما بعد موت الآخر. قالت له يوما: "تعالَ أعـاهدك ألاّ تتزوّج بعدي، ولا أتزوّج بعدك".. إلاّ أنّ رسولَ الله دخلَ، "فنقض على أمّ سَلمــة المعاهدة، وخطبَها إلى ابنهـا عمر، ثمّ لم يلبثْ أنْ ضمَّها إلى نسائه"(١٢٠).

وأخبـرنا "أنّ رسولَ الله دخل على أمّ سَلمــة يعزّيهـا بأبي سلمة، فـقال:

---

(١١٩) طبقات ابن سـعد، ٨/٨٦-٨٧؛ أسد الغابة، ٦/٢٨٦... مراجـع عن أمّ سلمة: الإصابة، رقم ١٠٩٢، و١٣٠٩، أسـد الغابة، رقم ٧٣٣٥، و٧٤٦٤، السـيرة الهـاشمـية، ١/٣٤٥، و٤/٢٩٤؛ الاستـيعاب، ٤/١٩٣٩؛ تـاريخ الطبري، ٢/١٧٧؛ السمط الـثمين، ٨٦؛ نسب قريش، ٢١٦؛ عيون الاثر، ٢/٨٦؛ المحبر، ٨٣...

(١٢٠) طبقات ابن سعد، ٨/٨٨.

"أللهمّ! عزِّ حـزنَها. واجبرْ مـصيبـتَها. وأبدلْها بـه خيرًا منه". قال: فـعزّى اللّهُ حزنَها. وجبر مصيبتَها. وأبدلها خيرًا منها. وتزوّجها رسولُ اللّه "(١٢١).

ولكن، قبل أن يتمّ نِكاحُ رسـولِ اللّه لها، كان قد "خطبَهـا أبو بكر، فردّتْهُ. ثمّ خطبَهـا عمر، فردّتْهُ. فبـعثَ إليها رسولُ اللّه رسـولا من قِبله. فقالت: مـرحباً برسول اللّه وبرسوله. أخبرْ رسولَ اللّه: إنّي امرأة غَيرى. وإنّي مُصْبِيَّةٌ (أي ذات صبيان كثر). وإنّه ليس أحدٌ من أوليائي شاهد. فبعثَ إليها رسولُ اللّه: أمّا قولُكِ: إنّي مُصبيّة، فـانّ اللّهَ سيكفيكِ صبيانَكِ. وأمّا قولك: إنّي غـيرَى، فسأدعو اللّهَ أن يُذهبَ غيرتَكِ. وأمّا الأولياء فليس أحدٌ منهم شـاهد أو غائب إلاّ سيرضاني. قال: قلتُ: يا عمر (إبنها): قم. فزوّجْ رسولَ اللّه "(١٢٢).

وفي رواية أخرى، أرسلتْ إلى الـنبيّ تعتذرُ وتقـول: إنّها غيـرى، مسنّة، وذات عِـيال. فـقال رسـول اللّه: "أمّا أنّكِ مـسنّة، فأنا أكـبر منكِ. وأمّـا الغيـرة، فيُذهبها اللّهُ عنكِ. وأمّا العيال، فإلى اللّهِ ورسولِه "(١٢٣).

وتمّ الزواج. وروى ابن سعـد أنّها قالت: "فتـزوّجني رسولُ اللّه، فنقلني إلى بيت زينب بنت خـزيمة أمّ المساكين. وأحـدث دخولُهـا ضجّـة في دُورالنبيّ. وأشاع قلقًا في الزوجتين الشابّتين، عائشة وحفصة. إنّها ضرّة جديدة.

وكان رسـولُ اللّه يأتيها. فإذا أتاها، أخـذتْ ابنتَها زينب (وهي ابنتـها من زوجٍ سابق)، تضـعُها فـي حجرها لتـرضعَهـا. وكان رسولُ اللّـه حَيِيًّـا كريمًا، يستـحي، فيرجع، إذ كـانتْ تمنعُه حاجـتَه. لقد فـعل ذلك مراراً. ففطن عـمّارُ بنُ ياسر لِمَا تَصنع -وهو أخوها لأمِّها-. فدخلَ عليها فانتشَطَها من حجرها، وقال:

---

(١٢١) ألمرجع نفسه، ٨/ ٨٩.

(١٢٢) ألمرجع نفسه، ٨/ ٨٩-٩٠.

(١٢٣) ألسمط الثمين، ٨٩؛ المحبر، ٨٥؛ الاستيعاب، ٤/ ١٩٣٩؛ الإصـابة، رقم ١٠٩٢؛ عيون الاثر، ٢/ ٣٠٤.

دَعي هذه المقبوحةَ المشقوحةَ التي آذَيْتِ بها رسولَ اللّه.. وجاء رسولُ اللّه، صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم، فـبنى بأهلِهِ، وقال: إنْ شـئْتِ (يا أمَّ سَلَمَة) أنْ أُسَبِّعَ لكِ سَبَّعْتُ للنساء. قالت: يا رسولَ اللّهِ! إفعلْ ما أحْبَبْتَ "(١٢٤).

وفي حـديث يقول: " لمّا تزوّج رسـولُ اللّه أمَّ سَلمة، أقـام عندَها ثلاثا. ثمّ أراد أن يدورَ (على نسائه)، فـأخذتْ بثوبه. فـقال: ما شِـئْتِ. إنْ شئتِ أنْ أزيدَكِ زدْتُكِ. ثمّ قاصصتُكِ به بعد اليوم. ثم قال: ثلاثٌ للثيِّب، وسبعٌ للبكر "(١٢٥).

عن عائشة قـالت: " لمّا تزوّج رسولُ اللّه أمَّ سَلمة، حزنتُ حـزناً شديداً لِمَا ذكروا لنا من جمَالها. فتلطّفتُ لها حتى رأيتُها، فرأيتُها، واللّهِ، أضعافَ ما وُصِفَتْ لي في الحسْن والجَمال. فذكرتُ ذلك لحفصة، وكانتا يدا واحدة... "(١٢٦).

وأدّتِ الغيرةُ بين عائشـة وأمّ سلمة، على قول بنت الشاطئ، إلى الذي دفع بأمّ سلمة إلى التخلّي عن كلّ شيء، حتى عن طفلتها، لـكي تتفرّغ لمنافسة عائشة على قلب النبيّ. لقد " رضيتْ أن تبعثَ بطفلتِها الصغيرة إلى حاضنةٍ، لكي تتفرّغَ لواجباتها الزوجيّة "(١٢٧).

ومن شدائد الأمور أنّ أمّ سَلمة أخـذتْ على عمر بن الخطّاب تدخّلَه في ما بين النبيّ ونسائه. فـقالت له منكرةً: " عجبًـا لكَ يا ابنَ الخطّاب! قد دخلتَ في كلّ شيء حتى تبتغي أن تدخلَ بين رسول اللّه (ص) وأزواجه؟!. قال عمر: فأخذتْني أخْذاً كسرتْني به عن بعض ما كنتُ أجد "(١٢٨).

كان الوحي لا ينزل على رسـول اللّه إلاّ في بيت عائشة، كمـا كانت تقول.

---

(١٢٤) طبقات ابن سعد، ٨/ ٩٠.

(١٢٥) المرجع نفسه، ٨/ ٩٣.

(١٢٦) المرجع نفسه، ٨/ ٩٤.

(١٢٧) بنت الشاطئ عن سـيرة ابن هشام، ٢/ ١٧١؛ وعن السمط الثـمين، ٩٠؛ أنظر الإصابة وغيرها...

(١٢٨) اللؤلؤ والمرجان، ٢/ ٨٣٠، حديث ٩٤٤.

فتباهي بذلك ضرائرها. إلى إن جاءت أمّ سلمة، فأوحي عليه عندها، بقوله في سورة التوبة: "وآخرون اعترفوا بذنوبهم، خلطوا عملاً صالحاً وآخر سّيئاً. عسى اللّه أن يتوب عليهم. إنّ اللّه غفور رحيم "[١٢٩].

وفي العام السادس من الهجرة، صحبتْ أمّ سلمة رسولَ اللّه في رحلته إلى مكّة معتمرا. وهي الرحلة التي صدّتْ فيها قريش محمّداً والمسلمين عن دخول البلد الحرم. وتمّ عهد الحدَيْبة، وكان بنصيحة أمِّ سلمة.

وكذلك كان حظّ أمّ سلمة بأن تصحبَ رسولَ اللّه في غزوة خَيبر، وفي فتح مكّة، وفي حصار الطائف، وغزو هوازن، وثقيف، ثم في حجّة الوداع، سنة عشر من الهجرة.

أخبرنا ابن سعد: "كان رسولُ اللّه في بعض أسفاره، ومعه في ذلك السفر صفيّة بنت حييّ وأم سَلمة. فأقبل رسولُ اللّه إلى هودج صفيّة، وهو يظنّ أنّه هودج أمّ سلمة. وكان ذلك اليوم يوم أم سلمة. فجعل رسولُ اللّه يتحدّث مع صفيّة، فغارتْ أمّ سلمة. وعلم رسولُ اللّه بعدُ أنّها صفيّة. فجاء إلى أمّ سلمة. فقالت: تتحدّثُ مع ابنة اليهودي في يومي! وأنتَ رسولُ اللّه؟! قالت: ثم ندمتُ على تلك المقالة. فكانت تستغفر منها. قالت: يا رسولَ اللّه! استغفرْ لي. فإنّما حملَني على هذا الغيرة "[١٣٠].

وبعد انتقال النبيّ إلى الرفيق الأعلى، وعند اندلاع الفتنة بين المسلمين، راحت أمّ سلمة تؤازر الإمام عليّا، ابنَ عمّ الرسول، ضد عائشة وحلفِها مع معاوية وطلحة والزبير... وقدّمت ابنَها عمر لعلي ليخرج معه في الفتنة وينصره: وقد شهد عمر هذا يومَ الجمل، وكان إماماً على بلاد فارس والبحرين من قِبَلِ علي"[١٣١].

---

(١٢٩) سورة التوبة، ٩/١٠٢.

(١٣٠) طبقات ابن سعد، ٨/ ٩٥-٩٦.

(١٣١) راجع الإصابة والاستيعاب في الموضع المذكور.

وبسبب سيرة عائشة العدائيّة لعليّ، جاءتها أمّ سلمة تقول لها في عنف: "أيّ خروج هذا الذي تخرجين؟ لو سرتُ مسيرَكِ هذا، ثم قيل لي: أدخلي الفردوسَ؛ لاستحييتُ أن ألقى محمدًا هاتكةً حجاباً قد ضربَه عليَّ".

توفّيتْ أمّ سلمة سنةَ ٥٩ للهجرة، بعدما جاءها نعيُ الحسين بن علي؛ وصلّى عليها أبو هُرَيرة؛ وشيّعَها المسلمون إلى البقيع. وكان لها يومَ توفّيتْ أربعٌ وثمانون سنة[١٣٢]. وهي آخر من مات من أمّهات المؤمنين... يُروى عنها أحاديث كثيرة. ولها اعتبارٌ كبيرٌ عند الشيعة.

٧

زَيْنب بنت جحش الأسديّة

أمُّها أمَيْمة بنت عبد المطلب، عمّة النبيّ. كانت زينب قديمةً في الإسلام، ومن المهاجرات. تزوّجها زَيْد بن حارثة بن شرحبيل، الذي ابتاعه حكيم بن حزام، إبنُ أخي السيّدة خديجة. وعندما "جاءت خديجة تزور ابنَ أخيها، فعزم عليها أن تختارَ مَن شاءتْ من الغلمان، فأخذت زيدا. ورآه سيّدُنا محمّد فاستوهبه منها. فوهبتْه له راضية"[١٣٣].

وكان أبو زيد، حارثة، يلتمسُه حتى سمع بمكانه في مكّة، فانطلق مع

---

(١٣٢) طبقات ابن سعد، ٨/ ٩٦.

(١٣٣) سيرة ابن هشام، ١/ ٢٦٤؛ الاستيعاب، ٢/ ٥٤٤، تاريخ الطبري، ٢/ ٢١٥...

أخيه كـعْب، حتى وقفا على محـمّد حيث وجداه. فقالا لـه: "يا ابنَ عبد المطّلب! يا ابنَ سيّد قومه! أنتم جيران اللّه، تفكّون العاني، وتُطعمون الجائع، وقد جئناك في ابننا، فتُحسن إلينا فـي فدائه! أجاب: "أدعوه. وأخيّره. فإن اختـاركما فذاك. وإن اختارني، فواللّه، ما أنا بالذي أختـارُ على مَن اختارني أحدا". ودُعي زيد. فعَرَفَ أباه وعمَّه. وخيّره سيّدُنا محمّد. فاختار سيّدَه. فعندئذ، أخذ محمّد بيد زيد، وقام به إلى الملأ من قـريش، فأشـهدَهـم أنّ زيداً ابنُه، وارثاً وموروثاً. وكـان أوّلَ مَن أسلم بعد علي بن أبي طالب".

ولمّا بلغ زيدٌ سنَّ الزواج، اخـتار له النبيُّ بنتَ عـمّتِه زينب بـنتَ جحش... وكـرهتْ زينب. وكره أخـوها عبـداللّه أن تُزَفَّ الشـريفةُ إلى مـولى من الموالي. وجاءا النبيَّ يسـألانه ألاّ يلحقَ بهـما مثلُ هذا العار.. فأنزل النبيُّ فيهـما وحياً من السماء:

"وما كانَ لِمُؤمنٍ ولا مُؤمنة (أي: عبداللّه بن جحش وأخته زينب)،

"إذا قَـضى اللّهُ ورسـولُه أمـراً أنْ يكونَ لهم الخِـيـرةُ من أمـرهم (أي الاختيار).

"ومَن يعصِ اللّهَ ورسولَه فقد ضَلَّ ضَلالاً مبينا"[١٣٤].

فـزوّجـها الـنبيُّ لزيد. وتزوّجتْ زينبٌ زيدًا، طاعـةً لأمـرِ اللّهِ ورسـولِه. و"كانت امرأة جميلة"[١٣٥].

أمّا كيف وقعتْ زينب في قلب رسول اللّه فيخبرنا عن ذلك الطبري فيقول: "إنّ رسولَ اللّه جاء يطلب زيدًا في بيتِه؛ وعلى باب زينب سترٌ من شعر. فرفعتِ الريحُ السترَ، فانكشفَ عـنها، وهي في حجرتها حاسِرَةً. فـوقعَ إعجابُها في قلبِ رسولِ اللّه. ودَعَتْهُ إلى الدخول"[١٣٦].

---

(١٣٤) سورة الأحزاب، ٣٣/٣٦. التفاسير بين قوسين من الجلالَين.

(١٣٥) طبقات ابن سعد، ٨/١٠١.

(١٣٦) تاريخ الطبري، ٣/٤٢.

ويخبـرنا ابن سعد عن ذلك أيضـا: "جاء رسولُ اللّـه بيتَ زيد بن حارثة يطلبُه. فلم يجدْه. وتقوم إليه زينب زوجتُه فضلاً(١٣٧)، فأعرض رسولُ اللّه عنها. فقالت: ليس هو هاهنا، يا رسولَ اللّـه. فادْخُلْ، بأبي أنتَ وأمّي. فأبى رسولُ اللّه أن يَدخلَ. وإنّما عجّلتْ زينبُ أن تلبسَ، لمّا قيلَ لهـا رسولُ اللّه على الباب. فوثبتْ عجلى. فأعجبتْ رسولَ اللّه. فـولّى. وهو يُهمهمُ بشيء لا يكاد يُفهم منه. إلاّ ربّما أعلن: سبحانَ اللّهِ العظيم! سبحانَ مصرِّفِ القلوب.

" فجـاء زيدٌ إلى منزله. فأخـبرتْه امـرأتُه أنّ رسولَ اللّه أتى منزلَه. فـقال زيد: ألا قلتِ له أنْ يدخل؟ قالت: قد عرضتُ ذلك عليه. فأبى. قال: فسمعْتِ شيئاً؟ قالتْ: سمعتُه حين ولّى تكلّمَ بكلامٍ لا أفهمُه. وسمعتُه يقول: سبحانَ اللّه العظيم. سبحانَ مصرّف القلوب.

" فجـاء زيد حتى أتى رسولَ اللّه. فـقال: يا رسولَ اللّه! بـلَغَني أنّك جئتَ منزلي! فـهـلاّ دخلتَ؟ بأبي أنتَ وأمّي، يـا رسـولَ اللّه! لعلّ زينب أعْـجَـبَـتْكَ. فأفارقهـا! فيقول رسولُ اللّه: أمْـسِكْ عليكَ زوجَكَ. فما استطاع زيدٌ إليهـا سبيلا بعد ذلك اليوم.

" ففارقها زيد. واعتزلها. وحَلّتْ. يعني: انقضتْ عدّتُها.

" قال: فبـينا رسولُ اللّه جالسٌ يتحدّث مع عـائشة، أخذتْه غشيَـةٌ. فسُرّي عنه وهو يبتـسم. ويقول: مَن يذهبُ إلى زينب يبـشّرُها أنّ اللّهَ قد زَوَّجَنِيـهَا مِنَ السَّمَاء. وتلا:

" وَإِذْ تقولُ للّذي أنعمَ اللّهُ عليهِ (بالإسلام، أي زيد)،

" وأنعمتَ عليه (بالإعتاق، زيدا نفسه):

" أَمْسِكْ عَليكَ زوجَكَ، واتّقِ اللّهَ (في أمر طلاقها).

---

(١٣٧) أي تفضّلا منها، لا يناسبُ مقام النبيّ بما عرضتْ عليه..

" وتُخفي في نفسِكَ مـا اللّهُ مُبديه (من حبّ يُخفيـه محمّد لزينب؛ فـيما اللّه هو الذي وضعَ في قلبه هذ الحبّ. فلِمَ يخشى محمدٌ ذلك؟).

" وتَخشى الناسَ (أن يقولوا: تزوّجَ زوجةَ ابنه).

" واللّهُ أحقُّ أن تخشاه.

" فلمّا قَضَى زيدٌ منها وَطَراً (حاجةً)، زَوَّجْنَاكَهَا (فدخل عليها النبيّ بغير إذْن).

" لكي لا يكونَ على المؤمنـينَ حَرَجٌ في أزْواجِ أدعـيائـهم إذا قَضَـوا منهنَّ وَطَرًا.

" وكان أمرُ اللّهِ مَفعولاً.

" مـا كان على النبيِّ من حَـرَجٍ فيـما فَـرَضَ اللّهُ لهُ (أحلّ له)، سُنَّةَ اللّهِ في الذين خَلَوا مِن قَبْلُ (أي من النبيين أن لا حرج عليهم في ذلك، توسعةً لهم في النكاح).

" وكان أمـرُ اللّهِ قَدَرًا مَـقْدورًا (أي فعله مـقضيـاً. "يعني: يتزوّج مـا يشاء من النسـاء. هذه فريضة. وكان مَن كان من الأنبياء هذه سنّتـهم. قد كان لسليمان ألف امرأة.. فهذا أكثر ممّا كان لمحمّد من النسـاء ")[١٣٨]

" ما كـان محـمّدٌ أبا أحَدٍ مـن رِجالكم (فليس أبا زيد، فـلا يُحرَّمُ عليـه التزوّجُ بزوجته زينب)،

" ولكنْ رسولُ اللّهِ وخَاتَمُ النّبيّين (أي لا يكون له ابنٌ يكون بعدَه نبيّاً).

" وكان اللّهُ بكلِّ شيءٍ عليماً "[١٣٩].

ويعلّقُ ابن سعد قائلا: " أبيح له الزواجُ أوّلا من غـير حدّ. ثمّ نهى عنه. أمّا

---

(١٣٨) طبقات ابن سعد،٨/ ٢٠٢.

(١٣٩) سورة الأحزاب، ٣٣/ ٣٧-٣٨، ٤٠.

التسرّي فكان مباحا له كما يشاء". عن هذا أشار القرآن:

"يا أيّها النبيُّ! إنّا أحللْنا لكَ أزواجَك اللاّتي آتيتَ أجُورَهُنَّ،

"وما ملكتْ يمينُكَ ممّا أفاءَ اللّهُ عليكَ (من الكفّار بالسبي، كصفيّة وجويريّة)،

"وبناتِ عمِّكَ، وبناتِ عمّاتِكَ، وبناتِ خالكَ، وبناتِ خالاتِكَ، اللاتي هاجرْنَ معكَ.

"وامرأةً مؤمنَةً، إنْ وهبتْ نفسَها للنبيّ، إنْ أراد النبيُّ أنْ يَسْتَنْكِحَهَا (يطلب نكاحَها)،

"خالصةً لكَ من دون المؤمنين (أي نكاح هبة من غير صداق).

"قد علمنَا ما فرضْنَا عليهم (أي المؤمنين) في أزواجهم (من الأحكام: بأنْ لا يزيدوا على أربعِ نسوَة، ولا يتزوّجوا إلاّ بوليّ، وشهود، ومهر)، وفي ما ملكتْ أَيْمَانُهُم (من السبايا، بشِراء، أو غيره، شرط أن تُستبرأ قبل الوطء)،

"لكيلا يكونَ عليكَ حَرَجٌ (أي ضيقٌ في النكاح).

"وكان اللّهُ غفوراً رحيماً (بالتوسعة في ذلك) (١٤٠)

أمّا عائشة فقد كانت قلقة جدًا من دخول زينب بنت جحش في حريم النبيّ. وبادرت تقول: "فأخذَني ما قرُب وما بَعُد لِمَا يبلغُنا من جَمَالها.. وهي تفخرُ علينا بهذا، وبأنّ اللّهَ زوَّجَها من السماء.

"وكانت زينب تفخر وتقول لرسول اللّه: يا رسولَ اللّه! إنّي، واللّهِ، ما أنا كأحَدٍ من نسائكَ. ليستِ امرأةٌ من نسائكَ إلاّ زوّجَها أبوها أو أخوها أو أهلُها غيري. زَوَّجَنِيْكَ اللّهُ من السماء.

---

(١٤٠) سورة الأحزاب، ٣٣/ ٥٠. ما بين قوسين من تفاسير الجلالين.

" وكانت لرسول الله معجبة. وكان يستكثرُ منها (يتردّد إليها ويلازمها دائما). وكانت امرأةٌ صالحةً صوّامةً قوّامةً صنعاً. تتصدّقُ بذلك كلّهِ على المساكين.

وتعلّق بنت الشاطئ: "لو كانتْ زينب قد جاءتْ معتزّةً بجمالها وشبابها وقرابتها للنبيّ فحسب، لكانت بهذا كلّه كفيلةً بأن تُثيرَ غَيرةَ مَن في بيته من أزواج. فكيف وقد كان زواجُها بأمر الله تعالى، في القرآن الكريم!

" ولا نعرف من بين أمّهات المؤمنين مَن شَغلَ زواجُها مدينةَ الرسول مثل زينب بنت جحش. ذلك لما سبق هذا الزواج وأحاط به من ظروف خاصّة، وما أثاره من شبهةٍ حَسَمَهَا الوحيُ"[(١٤١)].

ثمّ، وبعد أن تدخّل الوحي مباشرة، "ولمّا تزوّجها رسولُ الله، أولمَ لها. فما أولمَ على امرأةٍ من نسائه ما أولمَ عليها"[(١٤٢)].

وعن ثابت بن أنَس بن مالك قال: "لمّا انقضت عدّةُ زينب، قال رسولُ الله لزيد بن حارثة: ما أجدُ أحداً آمَنَ عندي، أو أوثقَ في نفسي منك. ائتِ إلى زينب فاخطبْها عليَّ. فأتاها زيد. ولمّا رآها عَظُمَتْ عليه (أن يكلّمها عن نيّة رسول الله). قال زيد: فلمْ أستطعْ أنْ أنظرَ إليها. فولّيتُها ظَهْري. ونكصتُ على عقِبي. وقلت: يا زينب! أبشِري. إنّ رسولَ اللهِ يَذكُرُك. قالت: ما أنا بصانعةٍ شيئاً حتى يأمرَني ربّي. فقامتْ إلى مسجدها. ونزلَ القرآن: "فلمّا قَضَى زَيْدٌ منها وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا" . قال: فجاء رسولُ اللهِ فدَخَلَ عليها بغير إذْن"[(١٤٣)].

وعن أنَس بن مالك، الذي خدم رسولَ الله عشرَ سنين، وقد أخبرَ عمّا أعجبَه طوالَ هذه السنين، قال: "لمّا تزوّجَ رسولُ الله زينب، جاءٌ أنَس بن مالك

---

(١٤١) بنت الشاطئ، نساء النبيّ، ص ٣٣٦.

(١٤٢) طبقات ابن سعد، ١٠٣/٨.

(١٤٣) طبقات ابن سعد، ١٠٤/٨.

بطعام له ولزوجـته إكراماً لعـرسِه. وأمرَه النبيُّ أن يذهبَ إلى أصـحابه، والذين في المساجد، ومَـن على الطرقات، ليدعوهم إلى الطعـام. فاجتمع الجـميع. وقال للناس: كُلُوا باسمِ اللّه. قال أَنَس: فجعلتُ أنظرُ إلى التـمر يربُو، وإلى السمْن كأنّه عيونٌ تنبع. حتى أكلَ كلُّ مَن في البيت. وبـقيَ منهُ الكثير. وبلغ عددُ الآكلين أحَداً وسبعينَ رجلاً. وأنا أشُكُّ في اثنين وسبعين "(١٤٤).

بيد أنّ المدعوّين استمرّوا في الأكل والشرب والمسامرة، ونبيُّ اللّه منزعج منهم، وهم يمعنون النـظر في وجه زينب. فنزلتْ، عـندئذ، آية الحجـاب. عن ذلك يخبرنا أنَس بن مالك، وهو شاهد عِيان. قال:

" أنا أعلمُ الناس بـآية الحجـاب : لمّا أُهْدِيَـتْ زينب إلى رسـولِ اللّه، صنع طعامـا. ودعا القوم. فجـاءوا. ودخلوا. وزينب مع رسول اللّه في البيت. فـجعلوا يتحدّثون. فجعل رسولُ اللّه يَخْـرُجُ. ثم يَرجِعُ. ثمّ يَخرجُ. ثمّ يعودُ... وهم قعود. ثمّ يَخرُجُ. ويعودُ. ويبـدو عليه انزعاجُه من الناسِ الذين تواقَـحُوا على النّظَرِ في وجْهِ زينب. فنزل الحجابُ:

" يا أيُّها الذينَ آمَنُوا!

" لا تَدْخُلُوا بيوتَ النبيِّ إلاّ أنْ يُؤْذَنَ لكم..

" ولكنْ إذا دُعِيتُم، فادْخُلُوا.

" فإذَا طَعِـمْتُم فانْتَـشِرُوا، ولا (تمكثوا) مُسْـتَأْنِسِـيْنَ لِحديثٍ (من بعضكم لبعض).

" إنّ ذلكُمْ (المكْث) كان يُؤذي النبيَّ، فيَسْتَحْيِي منكم (أن يُخرجَكم).

" واللّهُ لا يستَحْيي من الحقّ (أن يخرجَكم).

---

(١٤٤) المرجع نفسه، ٨/ ١٠٤-١٠٥.

" وإذا سألتموهنّ (أي أزواجَ النبيّ) مَتَاعًا، فاسألوهُنَّ من وراء حِجَاب.

" ذلكُمْ أطْهَرُ لقلوبكُم وقلوبهنَّ.

" وما كان لكمْ أنْ تُؤذُوا رسولَ اللّه.

" ولا أنْ تَنْكِحُوا أزواجَهُ من بَعدِهِ أبَدًا "(١٤٥).

ويكمّل أنس ويقول: " فقام القوم. وضُرِبَ الحجاب "(١٤٦).

ويعطي أنَس مناسبة أخرى غير هذه التي ذكرنا، لآية الحجاب. يقول: ذات يوم، " انتهى النبيُّ إلى بيت زينب. فإذا برجلَين في ناحية البيت. فلمّا أبصرَهما رسولُ اللّه رجعَ عن بيته. فلمّا رأى الرجلان النبيَّ وثبَا مسرعَين. فرجع النبيُّ حتى دخلَ البيت. وأرخى السِّتْرَ بيني وبينه. وأنزل اللّه آيةَ الحجاب "(١٤٧).

وتعليقا على زواج رسول اللّه من زينب، تذهب بنتُ الشاطئ لتردّ على " أصحاب الحروب الصليبيّة والتبشير والاستشراق، الذين حاولوا الغمز على النبيّ والكيد للإسلام "، فتقول:

" إنّ آيةَ العظمة في شخصيّة نبيّنا أنّه بشَرٌ يأكلُ الطعامَ ويمشي في الأسواق..

" أفَيُنكَرُ على بشَرٍ رسولٍ أن يرى مثلَ زينب فيُعجب بها؟

" وماذا يُطلَبُ من مثلِه –في سموِّ خُلقه وعفّةِ ضميرِه– أكثر من أن يشيحَ بوجهه عمّن أعجبتْه، وهو يُسبّحُ باسم اللّهِ العظيم؟..

" وأيُّ ضَبْطٍ للنفسِ يُنتظرُ من بشَرٍ رسولٍ أكثر من أن يجيئه زيد

---

(١٤٥) سورة الأحزاب، ٣٣/٥٣.

(١٤٦) طبقات ابن سعد، ٨/١٠٥-١٠٦، ١٧٣.

(١٤٧) المرجع نفسه، ٨/١٠٦.

فيستأذنه من جديد في طلاقها، فيأبى عليه إلاّ أنْ يُمسكَها ويتّقي اللّه؟

"إنّ القصّةَ لترتفعُ بسيّدنا محمّد إلى أقصى ما تُطيقُه بشريّةٌ من عفّةٍ وضبْطٍ للنفسِ واعتقالٍ للهوى. وإنّها لجديرةٌ بأنْ تُعَدَّ مفخرةً لمحمّد والإسلام"[١٤٨].

"لمّا توفّيتْ زينب، كانت أوّلَ نساء النبيّ لحوقاً به. لقد ماتت في زمن عمر بن الخطّاب. فقالوا لعمر: مَن يُنزلها في قبرها؟ قال: مَن كان يدخلُ عليها في حياتها (؟). وصلّى عليها عمر. وكبّر أربعًا"[١٤٩].

٨

جُوَيْرِيَّة الخزاعيّة

هي جويريّة بنت الحارث زعيم بني المصطلق. سباها رسولُ اللّه يوم المريسيع، وهي غزوة بني المصطلق، سنة خمس للهجرة. وكانت قبلَه تحت مسافع بن صفوان. فوقعت في سهم ثابت بن قيس بن شمّاس.

عرفها رسولُ اللّه بعد انهزام بني المصطلق، عندما سيقتْ نساؤهم سبايا. ورجع المنتصرون مع السبايا إلى المدينة. وبينا رسولُ اللّه جالسٌ يوما في حجر عائشة، سُمعَتِ امرأةٌ تَستأذنُ في لقائه صلّى اللّه عليه وسلّم. وقامت عائشة إلى

(١٤٨) بنت الشاطئ، نساء النبي، ص ٣٤٣-٣٤٤.

(١٤٩) طبقات ابن سعد، ٨/ ١١٠.

الباب لترى مَن تلك. فإذا شابّة، حلوة، مفرطة الملاحة، في نحو العشرين من عمرها، ترتجف قلقًا وذعرًا.

قالت فيها عائشة: "كانت امرأةً حلوةً، مَلاَحَةً. لا يراها أحدٌ إلاّ أخذتْ بنفسه. فبينا النبيُّ عندي، إذ دخلتْ عليه جويريّة تسألُه في كتابتها[١٥٠]. فواللّه! ما هو إلاّ أنْ رأيتُها فكرهتُ دخولَها على النبيّ، وعرفتُ أنّه سيرى منها مثلَ الذي رأيت.

فلمّا دخلتْ على رسول اللّه، قالت: يا رسولَ اللّه! أنا جُويريّة بنت الحارث سيّد قومه، وقد أصابَني من البلاء ما لم يخفَ على أحد. فوقعتُ في سَهم ثابت بن قيس. فكاتَبَني على تسْع أواق. فأعِنّي في فكاكي. فقال: أوَخَيرٌ من ذلك؟ فقالت: ما هو؟ فقال: أؤدّي عنكِ كتابَتَك وأتزوَّجُكِ؟ قالت: نعم يا رسولَ اللّه. فقال رسولُ اللّه: قد فعلتُ.

"وأعتق الرسولُ، بسبب زواجه منها، أربعين من قومها"[١٥١]، أو "مائة. فما أعلمُ امرأةً أعظمُ بركةً منها على قومها"[١٥٢]. ولمّا تزوّجها رسولُ اللّه حَجَبَهَا، وقَسَم لها... ومات ولم يُصب منها ولداً. وكان قد تزوّجها وهي بنت عشرين سنة...

توفّيت سنة ٥٦ هـ في خلافة معاوية. وصلّى عليها مروان بن الحكم يوم كان والياً على المدينة[١٥٣].

---

(١٥٠) أي الكتاب الذي فيه أرادها ثابت بن قيس لنفسه.

(١٥١) طبقات ابن سعد، ٨/١١٦-١١٧.

(١٥٢) سيرة ابن هشام، ٢/٢٩٤-٢٩٥.

(١٥٣) يراجع في شأنها: طبقات ابن سعد، ٨/١١٦-١٢٠؛ الإصابة، رقم ٢٥١؛ أسد الغابة، رقم ٦٨٢٢؛ الاستيعاب، ٤/١٨٠٤؛ سيرة ابن هشام، ٢/٢٩٤...

٩

صَفِيَّة بنت حُيَيّ اليهوديّة

تزوّجها سلاّم بن مِشْكَم اليهودي. ثمّ فارقها. فتزوّجها كَنانة بن الربيع. فقُتِلَ عنها يومَ خيبر.

روى أنَس بن مالك أنّ رسولَ اللّه، لّما افتتحَ خيبر، وجمعَ السبيَ، أتاه دِحْيَةُ بنُ خليفة، فقال: أعطِني جاريةً من السبي. قال: إذهبْ. فخذْ جارية. فذهبَ. فأخذَ صَفيّة. قيل: يا رسولَ اللّه! إنّها سيّدة قُرَيْظَة والنَّضير. ما تصلحُ إلاّ لكَ. فقال رسولُ اللّه: أدعُوهُ بها. فجاء بها. فلمّا نظرَ إليها النبيُّ قال: خذْ جاريةً من السبيِ غيرَها. وأخذَها رسولُ اللّه. واصطفاها. وحَجبَها. وأعتَقَها. وتزوَّجَها. وقَسَمَ لها. وكانتْ عاقلةً من عقلاء النساء[١٥٤].

وقيل أيضا: "لّما افتتح رسولُ اللّه خَيبر، وغنَّمَهُ اللّهُ أموالهم، سبى صَفَيّة ومعها ابنة عمٍّ لها. وجاء بهما بِلال. فمرّ بهما على قتلى يهود. فلمّا رأتْهم المرأةُ التي مع صفيّة صكّتْ وجهها. وصاحتْ. وحَثَتِ الترابَ على رأسِها. فقال رسولُ اللّه: أغرُبُوا هذه الشيطانة عنّي.

"وأمرَ رسولُ اللّه بِلالاً يذهبُ بهما إلى رَحله. فقال رسولُ اللّه لبلال، حين رأى من اليهوديّة ما رأى: يا بلال! أنُزِعَتْ منكَ الرحمةُ حتى تمرَّ بامرأتَين على قتلاهما؟!

"وعندما أصبحتْ صفيّة في حوزة رسول اللّه، على قول ابن سعد، خرج بها من خيبر. ولم يعرّسْ بها.. فلمّا صار إلى منزلٍ على ستة أميال من خيبر،

---

(١٥٤) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، ١/ ١٠٤.

مال يُريدُ أنْ يعـرِّسَ بها. فأبَتْ عليه. فـوجدَ النبيُّ في نفسه من ذلك. فـشقَّ عليه تمَنُّعُها ورفضُها.

فلمّا كان بالصـهباء (بعيـدا عن خيبر)، قال رسولُ اللّه لأمّ سليم، أمِّ أنَس بن مالك: عليكنَّ صاحـبتكنَّ. فامْشِطْنَها. وأراد رسـولُ اللّه أن يعرّسَ بها هناك.. فقالت أمُّ سليم: مشَّطْنَاها. وجَمَّلْنَاها. وعَطَّرْنَاها..

" وظهرتْ صـفيّة، على قول بنت الشـاطئ، عروساً، مـجلوَّةً. تأخذُ العينَ بسـحـرِها. حـتى قيل عـنها: إنّهـا لم تُرَ بين الـنساء أضـوأ منهـا (أي أجـمل وأطهر) "[١٥٥].

" وأقبلَ رسولُ اللّه، على قول ابن سعد، يمشي إليها. فقامتْ إليه. فخرجنَا من عندهما. وأعرسَ بهـا رسولُ اللّه هناك. وبات عندها... فسألتُهـا عمّا رأتْ من رسولِ اللّه. فذكرتْ أنّه سُرَّ بها. ولم ينمْ تلك الليلة. ولـم يزلْ يتحدَّثُ معها. وقال لهـا: مـا حملَكِ علـى الذي صنعتِ حينَ أردتُ أنْ أنزلَ المنزلَ الأوّلَ فـأدْخُلَ بكِ؟!! فقالتْ: خشيتُ عليكَ قُرْبَ يهود "[١٥٦].

تعلّقُ بنتُ الشاطئ: " فزال ما كان يجدُ في نفسه من جَفوة. وأشرقَ وجهُهُ الكريمُ بابتسامةٍ رضيّة "[١٥٧].

أمّا في رواية أنَس بن مالك، فهناك كـلامٌ على أنّ النبيّ اشتراها. قال: " إنّ صفـيّة وقعـتْ في سهم دحيـة الكلبي. فقـيل لرسول اللّه: إنّه قـد وقع في سـهم دحيـة الكلبي جاريةٌ جـميلةٌ. فاشـتراها رسولُ اللّه. ودفـعها إلـى أمِّ سليم حتى تُهيّئها وتصنعها وتعتدّ عندها (أي تقضـي عندها عدّتَها لتطهر)[١٥٨].

---

(١٥٥) بنت الشاطئ، نساء النبيّ، ص ٣٦٨.

(١٥٦) طبقات ابن سعد، ٨/ ١٢٠-١٢٢.

(١٥٧) بنت الشاطئ، نساء النبيّ، ٣٦٨.

(١٥٨) طبقات ابن سعد، ٨/ ١٢٢.

" وكان الناسُ يقولون: واللهِ! ما ندري أتَزَوَّجَهَا رسولُ الله، أم تسَرَّى بهَا! "(١٥٩).

عن غيرة عائشة وموقفها المعادي لصفيّة، أخبرنا ابن سعد: "لمّا اجتلى النبيُّ صفيّةَ رأى عائشة متنقّبةً في وسط الناس. فعرفها. فأدركها. فأخذ بثوبها. فقال: يا شُقَيراء! كيف رأيتِ؟ قالت: رأيتُ يهوديّةً بين يهوديّات. فقال: لا تقولي ذلك. فإنّها أسلمتْ. وحسُن إسلامُها.

" قالت: لمّا نزلنا المدينةَ لم ندخلْ منازلَنا حتى دخلنا مع صفيّة منزلَها. وسَمِعَ بها نساءُ المهاجرين والأنصار. فدخلنَ عليها متنكّرات. فرأيتُ أربعاً من أزواج النبيّ متنقّبات: زينب بنت جحش، وحفصة، وعائشة، وجويريّة. فأسمعُ زينب تقول لجويريّة: يا بنتَ الحارث! ما أرى هذه الجارية إلاّ ستغلبَنا على عهد رسول الله. فقالت جويريّة: كلاّ. إنّها من نساءٍ قلَّ ما يحظينَ عند الأزواج "(١٦٠).

وبسبب غيرة عائشة المتطرّفة من هذه اليهوديّة، ترك رسولُ الله عائشة شهرين أو ثلاثة لا يأتيها. قالت عائشة: حتى يئستُ منه، وحوّلتُ سريري. غير أنّ الأمور عادت إلى طبيعتها "(١٦١). ومنهم من كان يقول بأنّ التي تركها النبيّ هي زينب بنت جحش، لا عائشة.

وكانت صفيّة، على رأي بنت الشاطئ، تتألّم في داخلها بسبب دمها اليهودي. ولا تعرف إلى أي حزب من النساء تنتمي: أمع عائشة وسودة وحفصة؟ أم مع الزوجات الأخريات وفاطمة الزهراء؟ "إنّه لموقفٌ دقيقٌ صعب "(١٦٢). غير أنّ عائشة تُخيف أكثر. فقرّرتِ الالتجاء إلى حزبها، أي حزب

---

(١٥٩) المرجع نفسه.
(١٦٠) المرجع نفسه، ٨/ ١٢٥-١٢٦.
(١٦١) المرجع نفسه، ٨/ ١٢٧.
(١٦٢) بنت الشاطئ، نساء النبيّ، ص ٣٧٢.

عائشة، خوفاً من غيرتها العارمة، وتجنّباً من مضايقتها لكلّ "ضرّة حسناء تدخلُ بيت المصطفى وتشاركها فيه"[١٦٣]. وهو موقفٌ يهوديٌ في كلّ حال.

"ومع هذا، لم تسلمِ الزوجةُ اليهوديّةُ من أذى عائشة وحفصة. فلمّا حدّثت النبيَّ، وهي تبكي، قال لها: ألا قلتِ: وكيف تكونان خيرًا منّي، وزوجي محمّد، وأبي هارون، وعمّي موسى؟.. وكان النبيُّ يحسُّ غربةَ صفيّة في دُوره بين نسائه. فيدافع عنها كلّما أتيحت له فرصة"[١٦٤].

وعند ابن سعد، "أنّ نبيَّ اللّه، في الوجع الذي توُفّي فيه، اجتمع إليه نساؤه. فقالت صفيّة: أمَا واللّه، يا نبيَّ اللّه! لوددتُ أنَّ الذي بكَ بي. فغمزْتها أزواجُ النبيّ. وأبصرهنَّ رسولُ اللّه. فقال: مضْمِضْنَ. فيقلنَ: مِن أيّ شيء، يا نبيَّ اللّه؟! قال: مِن تغامزكنّ بصاحبتكنّ. واللّهِ، إنها لصادقة"[١٦٥].

وماتت صفيّة سنة ٥٠ هـ. في خلافة معاوية. وقُبرتْ بالبقيع. وكان عمرها ١٧ سنة، يومَ دخلتْ على رسول اللّه[١٦٦].

---

(١٦٣) المرجع نفسه، ص ٣٧٣.

(١٦٤) المرجع نفسه.

(١٦٥) طبقات ابن سعد، ٨/ ١٢٨.

(١٦٦) المراجع الأساسيّة عن صفيّة: الإصابة، رقم ٦٥٠، ورقم ٩٥١؛ أسد الغابة، رقم ٧٠٥٥؛ طبقات ابن سعد، ٨/ ١٢٨-١٢٩؛ ٢/ ٧٧؛ عيون الأثر، ٢/ ٣٠٧؛ السمط الثمين، ١٢٠؛ تاريخ الطبري، ٣/ ٩٥، ١٧٨؛ المحبر، ٩٠؛ الاستيعاب، ٤/ ١٨٧١؛ سيرة ابن هشام، ٣/ ٣٥٠؛ صحيح البخاري، ١/ ١٠٤...

١٠

أمّ حَبيْبة بنت أبي سفيان

إسمُـها رَمْلَة بنت أبي سفيـان صـخر بن حـرب بن أمَيّة. أخوها مـعاوية. وخالُهـا عثمان بـن عفّان. وُلدت قبل البـعثة بـ ١٧ سنة. تزوّجـها عُبـيد اللّه بن جحش، إبنُ عـمّة الرسـول، أميـمة بنت عبـد المطّلب، وشقـيق أمّ المؤمنين زينب. فولدتْ له حَبِيْبَة. فكُنِّيَتْ بها.

وكان عُـبيـد اللّه بن جحش هاجر بأمّ حـبيـبة إلى الحبـشة، في الهـجرة الثـانية. فـتنصّر هناك. وارتدّ عن الإســلام. وتوفّي بأرض الحبـشة. وثبـتتْ أمُّ حبيبة على الإسلام... رأتْ رؤيا، فأوّلتْها أنّ رسولَ اللّه يتزوّجُها. قالت:

" فما هو إلاّ أنِ انقضتْ عدّتي. فمـا شعرتُ إلاّ برسول النجاشي على بابي يستأذن. فـإذا هي جاريةٌ لهُ، يقال لها أبْرَهَة. فدخلتْ عليَّ. فـقالت: إنّ الملكَ يقولُ لكِ: إنّ رسولَ اللّه كتبَ إليّ أنْ أُزوّجَكِه. فقالت: بشّـركِ اللّهُ بخير. قالت: يقول لكِ الملك: وَكِّلي مَن يزوّجُكِ. فأرسلتْ إلى خـالد بن الوليد سعيد بن العـاص فوكّلَتْهُ. وأعطتْ أبرهة سوارَين وخواتيمَ من فضّة سروراً بما بشّرتْها.

فلمّـا كـان العشـيُّ، أمر النجـاشي جـعـفر بنَ أبـي طالب ومَن هناك من المسلمين، فحضروا. وخطب النجاشي. فقـال: "أمّا بعد. فإنّ رسولَ اللّه كتبَ إليّ أن أزوِّجه أمَّ حبيبة. فـأجبتُ إلى ما دعا إليه.. " [١٦٧]. وأولمَ لهم النجاشي وليمةَ الزواج، قـائلا: "إجلسوا. فـإنّ سُنَّةَ الأنبـياء، إذا تزوّجـوا، أن يُؤكَلَ طعـامٌ على التزويج " . ثمّ أتوا أمَّ حبيبة مهنّئين مبارِكين.

---

(١٦٧) طبقات ابن سعد، ٨/٩٦-٩٨.

ومرّتِ الأيام، بل السنون، وأمُّ حـبيبـة تنتظرُ لقاءَها بزوجهـا رسولِ اللّه. هي في الحبشـة تنتظرُ. وهو في المدينة يتصبّر... حتى كـانت السنة السابعة من الهجـرة، قدمتْ فيـها أمُّ حبـيبة إلى المدينة، "فـاحتفلتِ المديـنةُ بدخول بنتِ أبي سفيان بيتَ رسولِ اللّه. وأولمَ خـالُها عثمان بن عفّان وليمةً حافلة.. واسـتقبلتْها نساءُ النبيّ بشيء من المجاملة، طبعًا... أمّا عائشة فلم ترَ فـيها ما يُثيرُ غَيرَتها، إذْ كانتْ تدنو من عامِها الأربعين.

بيد أنّ عذابَ أمِّ حبيبة كان من وضعها الصعب بين أبيها وزوجها العدوَّين اللّدودَين. "فمـا من قتـيلٍ إلاّ وهو من شيعـةِ أبيها. ومـا من شهـيدٍ إلاّ وهو من صحابة زوجها"[١٦٨]... إلى أن أوفدتْ مكّةُ رسولاً منها إلى النبيّ تطلبُ منه عهداً جديداً لعشـر سنين أخر. وكان الرسولُ أبا سفـيان، الذي جاء المدينةَ، ودخلَ إلى ابنته، وأرادَ توسّطَها. فلم يُفلح. كما أراد توسّطَ أبي بكر، ثمّ عمر بن الخطّاب، ثم علي بن أبي طالب، ثم فاطمة.. فلم يُفلح أيضـا.

فعاد أبو سفيان إلى مكّة ينتظرُ شرّاً. حتى كان الفتحُ. وجيء بأبي سفيان إلى الرسول حـيث أسلمَ، وحسُن إسلامُه.. "وأحـسّتْ أمُّ حبيبـة أن قد أزيحَ عن كاهلها عـبء باهظ. ومن تلك اللحظة، لم تقبلْ قط أن تتحدّاهـا عائشة، أو تمارسَ معها مـا اعتادتْ أن تمارسَه من تحكّمٍ. وظلّتْ ما عاشتْ تقفُ لـعائشة بالمرصاد. وتتصدّى لها كلّما أسرفتْ في غلوائها، أو اشتطتْ في اعتدادها بمكانتها.

"حتى إذا حان الرحيل، دعتْ إليـها عائشة، فقالت لها، وهي تحـتضر: قد كـان يكون بيننا وبين الضرائر. فـغفـر اللّه لي ولكِ.. وتوفّـيتْ سنة ٤٤ هــ في خـلافة مـعاوية. ودفنتْ بالبـقـيع. ولها في الكتب الـستـة خمـسة وخـمسـون حديثا[١٦٩].

---

(١٦٨) بنت الشاطئ، نساء النبي، ص ٣٨٦.

(١٦٩) ابن سعد، ٨/ ١١٠. أنظر: الإصابة، رقم ٤٣٤؛ أسد الغابة، رقم ٦٩٢٤، و٧٤٠١...

١١

ميمونة بنت الحارث الهلاليّة

كان رسولُ اللّـه ثالثَ أزواجِها، إذ كان مسـعودُ بن عمرو الثـقفي أوّلَ من تزوّجها في الجـاهليّة. ثم فارقها. فخلفَ عليـها أبو رُهْم. فتوفّي عنها. فـتزوّجها رسولُ اللّه سنة سبع في عمرة القضاء. هي خالة خالد بن الوليد، وبنت خالة ابن عبّاس. أمّها هند بنت عَوف.

أرسلَ رسولُ اللّه ابنَ عمّه جعفرَ بن أبي طالب إليها. فخطبها. وهـي جعلتْ أمرَها إلى العباس بن عبد المطلب. فـزوّجها من رسول اللّه. ويقال أنّ العباس هو الذي عرضَ على النبيّ أن يتزوّجها. واستـجاب النبيّ. ويقال أيضـا: أنّها هي التي وهبتْ نفسَها للنبيّ فأنزل اللّه آية: "وَامْرَأة مؤمنَة إنْ وهبتْ نفَسَها للنبيّ إنْ أرَادَ النبيُّ أنْ يَسْتَنكِحَهَا خالصةً لكَ من دون المؤمنين"(١٧٠).

تزوّج النبيُّ ميمـونة في الثلاثة أيّام الأخيرة من صلح الحديبة، فـيما كان يحاصر مكّة. وتمنّى لو يُمهلُه المكّيون قليلا ليقضي زواجه منها. فقال لأهل مكّة: "مـا عليكم لـو تركـتـمـوني، فـأعـرستُ بين أظهـرِكم! وصنعْـنا لكم طعـامًـا فحضرتموه!"(١٧١) وفي كتاب الإصابة، "قيل: تزوّجَها رسولُ اللّه، وبنى بها في قبّة لها وماتتْ بعد ذلك"(١٧٢).

---

(١٧٠) سورة الأحزاب، ٣٣/١١٥. أنظر: السيرة الهاشمية، ٤/٢٩٦؛ الاستيعاب، ٤/١٩١٦؛ الإصابة، ٤/٤١١-٤١٣، رقم ١٠٢٦؛ عيون الأثر، ٢/٣٠٩، طبقات ابن سعد، ٨/١٣٢-١٤٠؛ تاريخ الطبري، ٣/١٠٠..أسد الغابة، ٦/٢٧٢-٢٧٤، رقم ٧٤٩٧.

(١٧١) طبقات ابن سعد، ٢/٨٩..

(١٧٢) الإصابة، رقم ١٠٢٦، ٤/٤١١-٤١٢.

يُروى عن ميمونة الأحاديث الكثيرة والطريفة. ومعظمُها يدور حول علاقة الرسول الجنسيّة بها: فأخبرت، مثلاً، "أنّها كانت تغتسل هي والنبيّ من إناء واحد"[١٧٣]. وقالت: "كان رسولُ اللّه يصلّي في مسجده على خمرة، وأنا نائمة إلى جنبه، فيُصيبُني ثوبُه وأنا حائض"[١٧٤]. وعن ابن عبّاس، قالت: "أجنَبْتُ أنا ورسولُ اللّه، فاغتسلتُ من جفنة؛ ففضلتْ فضلةٌ، فجاء النبيُّ فاغتسل منها؛ فقلتُ: إنّي قد اغتسلتُ منها. فقال: ليس على الماء جنابة"[١٧٥].

وعنها أيضا هذا الخبر: "خرج رسولُ اللّه ذات ليلة من عندي، فأغلقتُ دونَه الباب. فجاء يستفتحُ البابَ. فأبيْتُ أن أفتحَ له. فقال: أقسمتُ ألا فَتَحْتِه لي؟ فقلت له: تذهبُ إلى أزواجكَ في ليلتي هذه!!! قال: ما فعلتُ. ولكن وجدتُ حِقْنًا من بَولي"[١٧٦].

كان عمرُ ميمونة، لّما تزوّجها رسولُ اللّه ستًّا وعشرين سنة. ماتتْ ودُفنتْ في الموضع الذي بنى بها فيه رسولُ اللّه. وكان ذلك سنة إحدى وستّين. وهي آخر مَن مات من أزواج نبيِّ اللّه. وكان لها يوم توفّيتْ ثمانون سنة. لم تلد له أيَّ ولد؛ إنّما لها، في الكتب الستّة، ستة وأربعون حديثا[١٧٧].

---

(١٧٣) طبقات ابن سعد، ٨/ ١٣٧.
(١٧٤) ألمرجع نفسه
(١٧٥) ألمرجع نفسه.
(١٧٦) ألمرجع نفسه، ٨/ ١٣٨.
(١٧٧) ألمرجع نفسه، ٨/ ١٤٠.

١٢

رَيحَانَة اليهوديّة سريّة الرسول

هي رَيحانة بنت شمـعون اليهوديّة. كانت متزوّجـةً رجلاً من بني قريظة يقال له الحَكَم. فلمّا وقع السـبيُ على بني قريظة سباها رسولُ اللّه. فلمّـا سباها أبَتْ إلاّ ليهـوديّ. فوجدَ رســولُ اللّه في نفسه. فلمّـا جاء مَن يُبشّـرُها بالإسلام، اعتنقتْه. فأعتقَها رسولُ اللّه. وتزوّجها. وضَرَبَ عليها الحجاب.

" وكـانت ذات جمـال، على ما روى ابنُ سـعد، قـالت: " فلمّـا سُبـيَتْ بنو قـريظة، عُرِضَ السـبيُ على رسـول اللّه، فكنتُ في مَن عُـرِضَ عليـه. فأمَـرَ بي. فعُزِلْتُ. وكان يكون له صفيٌّ من كل غنيـمة. فلمّا عُزِلْتُ، خار اللّه لي. فأُرْسِلَ بي إلى منزلِ أمِّ المنذر.. حتى قُتل الأسرى. وفُـرِّقَ السبيُ. ثم دخل عليّ رسولُ اللّه، فاخـتبأتُ حـياءً. فدعـاني. فأجلسَني بين يديَه. فـقال: إنْ اختـرتِ اللّهَ ورسولَه، اختارَكِ رسولُ اللّه لنفـسه. فقلتُ: إنّي أختارُ اللّهَ ورسولَه. فلمّـا أسلمتُ أعتَقَني رسولُ اللّه. فتزوّجني. وأعرسَ بي في بيت أمّ المنذر. وضَرَبَ عليّ الحجاب " .

وكان رسولُ الـلّه معجَبـاً بها. وكانت لا تسألُه إلاّ أعطاها ذلك. ولـقد كان يخلو بها. ويستكثر منها. وكان تزويجُه إيّاها سنة ستّ من الهجرة. فكانت امرأةً جميلة وسيـمة. غارتْ عليه غيرةً شـديدة. فطلّقها تطليقة، وهي في مـوضعها لم تبرح. فشقّ عليهـا. وأكثرتِ البكاء. فدخل عليها وهي على تلك الحال. فـراجعها. فكانت عنده حتى ماتتْ عند رجعته من حجّة الوداع. فدفنها بالبقيع.

يقال أنّه، عندمـا كانت في منزل أمّ المنذر، " جاءها رسولُ اللّه، وقـال لها: إنْ أحببتِ أنْ أعتقَكِ وأتزوّجَكِ، فعلتُ. وإنْ أحببتِ، تكونين في ملكي. فقـــــالت:

رسولَ اللّه! أكـونُ في ملكك أخفَّ عليَّ وعليكَ. فكانت في ملك رسـول اللّه يطأُها حتى ماتت "(١٧٨).

١٣

مَـاريَّـة الـقُـبْـطِـيَّـة

في السنة السابعـة للهجرة، بعثَ الـنبيُّ رسولَه حَاطِب بنَ أبي بَلْتَـقَة إلى المقوقس، عظيمِ القبط، في مصر، يدعوه، في رسالةٍ منه إليه، إلى الإسلام. فأدّى الرسولُ الرسالةَ. ورجع برسالةٍ جوابيّةٍ. جاء فيها:

"... قد أكرمتُ رسولَكَ. وبعثتُ لكَ بجَاريَتَيْن. لهما في القبط مكانٌ عظيم. وبكَسْوَةٍ، ومطيّةٍ لتركَبَها. والسلامُ عليك".

وانطلقَ حاطبٌ عـائداً إلى النبيّ ومعه الجاريتـان: ماريّة وأختها سِيرين، وألفُ مثقالٍ ذهَبًا، وعشرون ثوبًا لينًا، وبغلة إسمها الدلدل، وحمار إسمه يعفور. ومعهم خَصيٌّ، يقال له مأبور، وهو شيخ كبير السنّ.

في الطريق، عـرض حاطبٌ على ماريّة الإسـلامَ. ورغّبَها فيـه. فأسلمتْ. وأسلمتْ أختُها. أمّا الخَصيُّ فأسلمَ بالمدينة.

ولمّا بلغ الركبُ المدينةَ، وتلقّى النبيُّ جوابَ المقوقس، وهديَّةَ مصـر، أعجبتْهُ ماريّة. و"كـانت بيضـاء، جعدة، جـميلة"(١٧٩)، "شابّة، مـصريّة، حلوة، جـعدة

(١٧٨) أنظر: طبقات ابن سعد، ٨/٩٢–٩٤، ١٣١؛ الإصابة، رقم ٤٤٦، ٤/٣٠٩؛ أسد الغابة، رقم ٦٩٣٤، ٦/١٢٠–١٢١؛ الاستيعاب، ٤/١٨٤٧...

(١٧٩) طبقات ابن سعد، ٨/٢١٢.

الشعر، جذّابة الملامح "[١٨٠]. واكتفى بها دون أختِها التـي وهبها لشاعرِه حسّان بن ثابت.

أنزلَ رسولُ اللّه ماريّة في مكان قرب المسجد، يقال له مشربة أمّ إبراهيم. وكان يتـردّدُ عليها هناك. وضَرَبَ عليـها الحجاب. وكـان يطأُها بملك اليمين (أي ليست بنكاح دائم. لهذا فهي ليست من أمّهات المؤمنين).

" وفـجأةً -تقـول بنتُ الشـاطئ- أحسّت مـاريّة بوادرَ حَـمْلٍ مسـتكن.. واستغرقتْها نشوةٌ حالمة، حتى جاء السيّدُ الرسولُ، فأفضَتْ إليهِ بالسرِّ الخطير.. فرفع إلى السماء وجهًا مشرق الأسارير، يشكرُ لخالقِه ذاكَ العزاء الجميل..

" وسرعانَ ما سَرَتِ البشرى في أنحاء المدينة: إنّ المصطفى ينتظرُ مولوداً من ماريّة القـبطيّة . وما بقارئ حاجـةٌ إلى أن نُصوِّرَ لهُ وقعَهـا الأليَم على نساء النبيّ.

" أتحملُ هذه الغريبةُ الطارئة!..

" أيؤثرُها اللّهُ بهذه النعمة الكبرى؛ وأمّهاتُ المؤمنين محرومات لا يلدنَ؟!

" وخاف رسولُ اللّه على ماريّة. فنقلَها إلى " العالية " بضواحي المدينة.

" وسهرَ عليها يرعاها. وكذلك فعلتْ أختُها سيرين.. حتى وضعتْ. وكانت القابلةُ سَلمى زوجَ أبي رافع.. وطار الرسولُ فرَحًا.. فخفَّ إلى ماريّة وهنّأها. ثمّ حمل ابنَه. وسمّاه إبراهيم. وكانت ولادتُه في ذي الحجّة سنة ثمانٍ من الهجرة.

" وتصدّقَ رسولُ اللّه على مساكين المدينة.

" وتنافـستِ الأنصارُ في إبراهيـم، فى مَن يُرضعـه. وأحبّـوا أن يُفرِّغـوا ماريّة للنبيّ، صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم، لِمَا يَعلمون من هواهُ فيها..

---

(١٨٠) بنت الشاطئ، نساء النبيّ، ص ٣٩٩.

" وراح النبيُّ يرقبُ نموَّ ابنه يومًا بعد يوم، ويجدُ فيه أنسَه ومسرَّته "(١٨١).

" حمله يوما بين ذراعَيه إلى عائشة، ودعاها في تلطّفٍ وبشْر، لترى ما في الصغير من ملامح أبيه. فأحسّتْ عائشة، كأنَّ سَهْمًا نَفَذَ إلى قلبها. وكادتْ تبكي ممّا تجد. لكنّها أمسكتْ عَبرَتَها. وقالت في غَيظ: ما أرى بينَكَ وبينَهُ شَبَهًا "(١٨٢).

وفي حديث آخَر عن عائشة أيضا. قالت: " لمّا وُلد إبراهيم، جاء به رسولُ اللّه إليّ. فقال: أُنظري إلى شَبَهِهِ بي. فقلتُ: ما أرى شَبَهًا. فقال رسولُ اللّه: ألا تَرَيْنَ إلى بَياضه ولَحمِهِ؟ فقلتُ: إنّ مَنْ قَصُرَ عَلَيْه اللّقَاحُ ابْيَضَّ وسَمِنَ "(١٨٣).

" وأدركَ الرسولُ، على الفور، مدى ما تُكابد. فانصرفَ بوَلَدِهِ وهو يرثي لعائشة.... وظلّتِ النارُ ترعى تحت الرماد من التجمّل والتكلّف والمداراة؛ حتى كان اليومُ الذي اجتمع فيه الرسولُ بماريّة في بيت حفصة. فاندلعَ الضرامُ من تحت الرماد متوهّجًا. وكان ما كان من قصّة التحريم التي أشار إليها القرآن، والتي أثبتناها في مكان سابق.

يختصرُ ابنُ سَعْد هذه القصّة، فيقول: " خرجتْ حفصة من بيتها. فبعث رسولُ اللّه إلى جاريته (ماريّة القبطيّة). فجاءتْه في بيت حفصة. فدخلت عليه حفصة. فقالت: يا رسولَ اللّه! أَفي بَيْتي!؟ وفي يومي!؟ وعلى فِراشي!؟؟ فقال رسولُ اللّه: إسكُتِي. فلكِ اللّهُ، لا أقْرِبُها أبداً. ولا تذْكريه. فذهبتْ حفصة. فأخبرت عائشة. فأنزلَ اللّهُ: " يا أيُّها النبيُّ! لِمَ تُحَرِّمُ ما أحَلَّ اللّهُ لكَ... "(١٨٤) إلى آخر الآية.

---

(١٨١) بنت الشاطئ، نساء النبيّ، ص ٤١٤.
(١٨٢) تريدُ أن تقول: ليسَ هو ابنك. ولستَ أنت أباه.
(١٨٣) طبقات ابن سعد، ١/١٣٧.
(١٨٤) سورة التحريم، ٦٦/١-٢. أنظر طبقات ابن سعد، ٨/١٨٦-١٨٧؛ ٢١٣-٢١٤.

وعن مالك بن أنَس، أنّ النبيّ حرّم عليـه أمَّ إبراهيم. فقال: هي عليّ حرام. واللّهِ! لا أقربُهـا. فأنزل اللّهُ عليه: "قد فـرضَ اللّهُ لكم تَحِلَّةَ أيمانِكم" (أي تحليل الأمة. وهي، هنا ماريّة القبطيّة)(١٨٥). قال مالك: فالحرامُ حلالٌ في الإماء: إذا قال الرجلُ لجاريتـه: أنتِ عليَّ حرامٌ. فليسَ بشيء. وإذا قـال: واللّهِ، لا أقربُكِ. فـعليه الكفّارة". "أيُّهـا النبيُّ! لِمَ تُحرِّم..."(١٨٦). قال عـمر: يا رسـولَ اللّه! أدعُ اللّهَ أن يوسِّعَ على أمَّـتِكَ. فـإنّ فـارس والروم قـد وسّـعَ عليـهم، وأعطوا الدنيـا وهم لا يعبدون اللّه".

وجرى للنبيّ ما جرى بسبب القبطيّة. يخبرنا ابن اسحق: "أنّ رسولَ اللّه حجب مـاريّة. وكانت قد ثقُلَتْ على نسائه. وغـرنَ عليها. ولا مثل عـائشة"(١٨٧). قالت عائشـة: "ما غرتُ على امرأةٍ إلاّ دون ما غرتُ على مـاريّة. وذلك أنّها كانت جمـيلة من النساء، جعـدة. وأعجب بها رسـولُ اللّه... وكان عامّـة النهار والليل عندها. حتى فـرغنا لها. فجـزعتُ. فحوّلهـا (من بيت الحارثة إلى العـالية) فكان يختلفُ إليـها هناك. فكان ذلك أشدّ علينا. ثمّ رزق منهـا الولد. وحُرِمْنَا منه (وفي رواية: وحَرَمْنَاهُ منه)"(١٨٨).

وجرتْ شـائعةٌ، اتُّهمتْ بها مـاريّة والنبيّ أيضاً، بالسوء: أخـبرنا أنَس بن مالك، قال: كانتْ أمُّ إبراهيم، فـي مشربتِها. وكان قبطيٌّ يأوي إليـها. فقال الناسُ في ذلك: عِلْجٌ يدخلُ على عِلْجَة. فبلغ ذلك رسـولَ اللّه. فأرسلَ عليًا بن أبي طالب، قائلا له: "إذهبْ. واضربْ عُنُقَهُ". فإذا القبطيُّ في بئرٍ يتـبرّدُ فيها. فقال له عليٌّ: اخْرُجْ. فناوله يدَه. فأخـرجَه عاريًا. فإذا هو مـجبوبٌ(١٨٩). فكَفَّ علي عنه. ثمّ أتى النبيَّ، فقال: يا رسولَ اللّه! إنّه مجبوب"(١٩٠).

---

(١٨٥) سورة التحريم، ٦٦/٢.

(١٨٦) المرجع نفسه..

(١٨٧) أنظر طبقات ابن سعد، ١١/١٣٥.

(١٨٨) طبقات ابن سعد، ٨/٢١٢-٢١٣.

(١٨٩) في أسد الغابة، "مجبوب يعني: ليس له ذَكَر"، ٦/٦٦١.

(١٩٠) ابن سعد، ٨/٢١٤؛ مسلم، باب براءة حرَمِ النبيّ من الريبة، ٤/حديث ٢١٣٩، و٢٧٧١.

ومن أجل تبرئة ماريّة أيضـا، جاء جبريلُ إلى النبيّ يُطمئنُه، وحـيّاه قائلاً: " ألسـلامُ عليكَ يا أبا إبراهيم. فـاطمأنَّ رسـولُ اللّه إلى ذلك" . وتأكّد، من مـلاك الوحي، بأنّه هـو والدُ إبراهيم، وليس أحـدٌ سـواه. وبطُلَ بـذلك كل اتّهـام سـوء لرسول اللّه[١٩١].

لم تدم سـعادة النبيّ بابنه إبـراهيم. ولا سعـادة أمّه مـاريّة. لم يكد وليُّ العرش يبلغ عـامين، حتى مـرض. ابتدأ الهزال يدبّ في جـسده. وأخذتِ الحـياةُ تنطفئ. والموتُ يتمـدّدُ. والذعرُ يتفـاقم. فكانت النهاية. نهـاية الأمل المنشود التي جلبتْ معها نهاية الرسول والرسـالة وكلام السماء إلى سكّان الأرض. فكما كان إبراهيم، أبُ الآباء، بداية البـدايات بين اللّه والناس. هكـذا هو الآن إبراهيم، سليل النبيّ، نهـاية النهـايات بين اللّه والناس. لقـد مات النبـيّ، ولحق بابنه، في السنة عينها. وترك مـاريّة القبطيّة، تعيشُ، بعده، طوال خـمسة أعوام، في حزنٍ كـبير. حتى توفّيتْ في خلافة عمر، سنة ستّ عشرة من الهجرة. ودُفنتْ في البقيع[١٩٢].

وحسبُ ماريّة شَرَفاً أنّها كانتْ للقبط خيراً عظيماً. أخرجَ مسلمٌ حديثاً عن أبي ذرّ الغفاري، قـال: قال رسولُ اللّه: "إنّكم ستـفتحون مصـر.. فأحسِنوا إلى أهلها. فإنّ لهم ذمّةً ورحماً" . أو أيضـا: " فإنّ لهم ذمّة وصـهرا "[١٩٣].

---

(١٩١) طبقات ابن سعد، ٨/ ٢١٤.

(١٩٢) ألمرجع نفسه، ٨/٢١٦.

(١٩٣) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، ٤/ ١٩٧٠، باب وصيّة النبيّ بأهل مصر، حديث ٢٥٤٣؛ الاستيعاب، ١/ ٥٩؛ طبقات ابن سعـد، ٨/ ٢١٤. أنظر في ماريّة: الإصابة، رقم ٩٨٤، ٤/ ٤٠٤-٤٠٥. أسد الغابة، رقم ٧٢٦٨، ٦/ ٢٦١...

١٤

فاطمة بنت الضحّاك الكلابيّة

عن ابن اسحق، قال: تزوّجَها رسولُ اللّه بعد وفاة ابنته زينب. وخيّرها حين نزلت آيةُ التخيير. فاختارتِ الدنيا. ففارقها. فكانت، بعد ذلك، تلتقطُ البَعْرَ، وتقول: أنا الشقيّة. اخترتُ الدنيا.

إلاّ أنّ محدِّثين آخرين ينكرون ذلك. وآخرون يختلفون في مَن هي التي قالت ذلك.

عن عائشة، قالت: تزوّجها رسولُ اللّه سنة ثمان من الهجرة. ولمّا دخلتْ عليه، ودنا منها، قالت: إنّي أعوذُ باللّه منك. فقال رسولُ اللّه: لقد عذتِ بعظيم. ألحِقي بأهلِكِ.

أمّا محمّد بن عمر فيخبرنا أنّ سببَ تطليقها كان "لبياضٍ كان بها"[194].

---

(١٩٤) طبقات ابن سعد، ٨/ ١٤١-١٤٣؛ أنظر أيضا: أسد الغابة، رقم ٧١٧٩، ٦/ ٢٢٨؛ الإصابة، رقم ٨٤٣، ٤/ ٣٨٢-٣٨٣...

١٥

العالية بنت ظبيان الكلابيّة

"تزوّجـها رسـولُ اللّه. فكانت عنده مـا شاء اللّه. ثمّ طلّقـها... مـقتـضى الطلاق أن يكون دخل بهـا... غيـر أنّ ابن منده يقول: إنّه طلّقـها ولم يدخل بـها. وهذا غير صحيح. وقال غيره: انّها "ممّن دخل بهنّ".

لقد تزوّجت، بعد تطليق الرسول لها، ابنَ عمٍّ لهـا من قومها. وذلك قبل أن يُحرِّمَ اللّهُ نساءه.

قيل: هي التي رأى فيها النبيُّ بياضاً فطلّقها بسببه.

كما قيل أيضا: طلّقها حين أُدخلتْ عليه. واللّهُ أعلم(١٩٥).

١٦

مُلَيكة بنت كعب الكنانيّة

عن مـحمّد بـن عمر، قـال: "تزوّج النبيُّ مُلَيْكَة بنت كـعب، وكانت تُـذكَرُ بجَمَالٍ بارع. فدخلتْ عليها عائشة، فقالتْ لها: أما تستحين أن تنكَحي قاتلَ أبيك؟! فاستعاذتْ من رسول اللّه. فطلّقَها. فـجاء قومُها إلى النبيّ، فقالوا: يا رسولَ اللّه!

(١٩٥) راجع: أسد الغابة، رقم ٧٠٨٤، ٦/١٨٨؛ الإصابة، رقم ٧٠٣، ٤/٣٥٩؛ ابن سعد،...

إنّهـا صـغيـرة. وإنّها لا رأيَ لـهـا. وإنّها خُـدعتْ. فارتجِـعْهـا. فأبى رسـولُ اللّه. فاستأذنوهُ أن يتزوَّجَها قريبٌ لها من بني عذرة. فأذِنَ لهم.

وفي رواية، تزوّجهـا رسولُ اللّه سنةَ ثمـانٍ للهجرة. دخلَ بهـا. وماتت عنده(١٩٦).

١٧

أسماء بنت النعمان الجَونيّة

جاء النعمان يوما رسـولَ اللّه، يقولُ له: "يا رسولَ اللّه! ألا أزوّجُكَ أجملَ أيِّمٍ في العرب! كـانت تحت ابن عمٍّ لها. فـتوفّي عنها. فـتأيّمتْ. وقد رغـبتْ فيكَ. وحطّتْ إليكَ". فتزوّجَها رسولُ اللّه. وذلك في سنة تسع من الهجرة.

وفي رواية، إنّ رسولاً جاء النبيَّ، فأخبرَه عن أسماء، وذكرَ له عن جمَالِها. فخرجَ رسولُ اللّه يمشي على رجليه، حتى جـاءها. فأقعى على ركبتَيه. ثمّ أهوى إليها ليقبّلَها. وكذلك كان يصنعُ إذا اجـتلى النساء. فقالت أسماء: أعوذُ باللّه منكَ. فانحرف رسولُ اللّه عنها. ووثبَ عنها. وأمرني. فرددتُها إلى قومها(١٩٧).

وفي رواية أخرى، تقـول: خرجنا مع رسول اللّه حـتى انطلقنا إلى حائط. فقـال: إجلسـوا هـهنا. فدخلَ وفْـدٌ أتى بالجونيّـة. فأُنْزِلَتْ في بيت عـلي، ومعـها دَايتُهـا. فلمّا دخل عليـها رسولُ اللّه، قـال: هَبِي لِي نفسَكِ. قـالت: هل تَهَبُ الملكةُ

---

(١٩٦) طبقات ابن سعد، ٨/١٤٨-١٤٩؛ الإصابة، رقم ١٠١٦، ٤/ ٤١٠...

(١٩٧) طبقات ابن سعد، ٨/ ١٤٤.

نفسَها للسوقة؟! فأهوى بيده ليضـعَها عليها لتسكن. قالت: أعوذُ باللّه منكَ. قال: لقد عذتِ بمعاذ[١٩٨].

وفي رواية قتادة: "تزوّجَـها رسولُ اللّه. فلمّا دخلَ عليها، دعـاها. فقالت له: تعالَ أنتَ. وأبتْ أنْ تجيء. فطلّقَها"[١٩٩]. وقال بعضُهم إنه كان بها وضْح (أي بَرَص) كالعامريّة. ففارقها"[٢٠٠].

عن ابن عـبّاس، قـال: "تزوّج رسولُ اللّـه أسمـاء. وكانت من أجـمل أهل زمانهـا. فلمّا جعل رسـولُ اللّه يتزوّجُ الغـرائب، قالت عائشـة: قد وضـعَ يدَه في الغرائب. يوشكنَ أن يصرفنَ وجهَه عنّا. فلمّا رآها نساء النبيّ حسدْنَها. فقلنَ لها: إنْ أردتِ أن تحظَي عنده فتعوّذي باللّه منه إذا دخلَ عليكِ. فلمّا دخلَ عليها، وألقى السـترَ، مـدَّ يدَه إليـها. فـقـالت: أعوذُ باللّه منكَ. فقـال: أمِنْ عـائذِ اللّه! ألقي بأهلِكِ"[٢٠١].

بيـد أنّ هناك رواية تناقضُ كلَّ مـا سبق. مـآلُها أنّ رسـولَ اللّه تزوّجهـا وأقامت عنده حـتى ماتت. قال النبيّ للجونيّـة: "أقيمي في بيتك. واحـتجبي. ولا يطمعُ فيك طامعٌ بعد رسولِ اللّه. فإنّكِ من أمّهـات المؤمنين. فأقامت لا يطمعُ فيها طامع. ولا تُرى.. حتى توفّيتْ... إنّها ماتت كمَداً"[٢٠٢].

---

(١٩٨) الإصـابة، رقم ٥٧، ٤/ ٢٣٣؛ صـحيح البخـاري، كتاب الطـلاق، باب هل يواجه الرجلُ امرأتَه بالطلاق؟ ٧/ ٥٣.

(١٩٩) أسد الغابة،رقم ٦٧٠٩، ٦/ ١٧.

(٢٠٠) ألمرجع نفسه.

(٢٠١) طبقات ابن سعد، ٨/ ١٤٥.

(٢٠٢) ألمرجع نفسه، ٨/ ١٤٦-١٤٧. إنظر أيضا الاستيعاب، ٤/ ١٧٨٥-١٧٨٧.

١٨

قُتَيْلَة بنت قَيْس الكنديّة

عن ابن عبّـاس، قال: " لمّا استعـاذتْ أسماء بنت النعمـان من النبيّ، خرج رسولُ اللّه والغضبُ يُعرَفُ في وجهه. فـقال له الأشعث بن قيس: لا يسوءُكَ اللّهُ يا رسولَ اللّه! ألا أزوّجُـكَ مَن ليس دونها في الجمـال والحسَب؟ قـال: مَن؟ قال: أختي قُتَيْلَة. قال: قد تزوّجتُها... غـير أنّ النبيَّ مات قبل أن تحضر قُتيلة بين يديه من حضرموت "[٢٠٣]. قيل أنّه تزوّجها قبل وفاته بشهر.

وقيل أنّ النبيَّ أوصى أن تُخَيّر: فإنْ شاءتْ ضربَ عليها الحجاب. وتُحَرَّمُ على المؤمنين. وإن شاءتْ طلّقهـا. ولتنكح مَن شاءتْ. فاختارت النكاح. فـتزوّجها عكْرَمَة بن أبي جهل بحضرموت. فبلغ أبا بكر. فـقال: لقد هممتُ أن أحرقَ عليهما بيتَهما. فقال له عمر: ما هي من أمّهات المؤمنين. ولا دخلَ عليها النبيّ. ولا ضرب عليها الحجاب. وقد برّأها اللّه بالرِدّة. فسكتَ أبو بكر ".

---

(٢٠٣) طبقات ابن سعد، ٨/١٤٧-١٤٨. انظر إيضا: الإصابة، رقم ٩٠٤، ٤/٣٩٣-٣٩٤؛ أسد الغابة، رقم ٧٢١١، ٦/٢٤٠-٢٤١؛ الاستيعاب، ٤/١٩٠٣-١٩٠٤...

١٩
بنت جندب الجندعي

عن محمّد بن عمـر، قال: إنّ رسولَ اللّه تزوّج بنت جندب الجندعي.. ثمّ ينكر المحدّثُ نفسَه هذا الخبر(٢٠٤).

٢٠
سَنَاء بنت أسماء السُّلَمِيَّة

تزوّجها رسولُ اللّه، فـماتت قبل أن يدخلَ بها. وسببُ موتهـا أنّه لمّا بلغها بأنّ النبيَّ تزوّجَهـا، سُرَّتْ بذلك حتى مـاتت من الفرح(٢٠٥). وأخبـرنا ابن هشام قـال: جـاء رجلٌ من بني سُليم إلى الـنبيّ فـقال: يـا رسولَ الـلّه! إنّ لي ابنةً من جمالها وعقلها ما إنّي لأحسدُ الناسَ عليـها غيرَك. فهمّ النبيُّ أن يتزوّجها. ثم قال له النبيّ: لا حـاجة لنا في ابنتك تجـيئنا تحـمل خطاياها. لا خيـر في مال لا يُرزأ منه، وجسدٍ لا يُنالُ منه(٢٠٦).

---

(٢٠٤) انظر طبقات ابن سعد، ٨/ ١٤٩.

(٢٠٥) الإصابة، رقم ١١٢٥، ٤/ ٤٢٩؛ رقم ٥٨٧، ٤/ ٣٣٥؛ أنظر: أسـد الغابة، رقم ٧٠١٤، ٦/ ١٤٩؛ ورقم ٦٧٠٣، ٦/ ١٣؛ الاستيعاب، ٤/ ٢٣١...

(٢٠٦) طبقات ابن سعد، ٨/ ١٤٩-١٥٠.

٢١

لَيْلى بنت الخطيم الخزرجيّة

عن ابن عـبّاس، قـال: "أقبلتْ ليلى إلى النبيّ، وهو مـولٍّ ظهرَه الشـمسَ. فضـربتْ على منكبـه. وقالت: أنا ابنةُ مُطعمِ الطيـرِ ومبـاري الريح. أنا ليلى بنتُ الخطيم. جئتُكَ لأعرضَ عليكَ نفسـي. فتتزوَّجَني. قال: قد فعلتُ.

"فرجعتْ إلى قومها. فقـالتْ: قد تزوّجَني النبيُّ. فقالوا: بئسَ ما صنعتِ! أنتِ امرأةٌ غيرَى. والنبيُّ صاحبُ نساء. تغارينَ عليه. فيدعو اللّهَ عليكِ. فاستقيليه نفسَكِ.

"فرجعتْ إلى النبيّ. فقالت: يا رسولَ اللّه! أَقِلْني. قال: قد أقلْتُكِ. فتزوّجَها مسـعود بنُ أوس. فولدتْ له. فبـينا هي في حائط من حيطان المدينة تغـتسل، إذْ وثبَ عليها ذئبٌ، فأكلَ بعضَها. فأدركتْ. فماتتْ"(٢٠٧).

وعن محمد بن عمر رواية أخـرى تقول: "كانت ليلى وهبتْ نفسَها للنبيّ. فقبلَهَا. وكانتْ تركبُ بغولَتَها ركـوبًا منكرًا. وكانت سيِّئةَ الخلق. فقالت: لا واللّهِ! لأجْعَلَنَّ محمّدًا لا يتزوّجُ في هذا الحيّ من الأنصار. واللّهِ! لآتيَنَّهُ ولأَهَبَنَّ نفسي لهُ.

"فأتتِ النبيَّ، وهو قائمٌ مع رجـلٍ من أصحابه، فما راعَهُ إلاّ بهـا واضعةً يدَها عليه. فقال: مَـن هذا؟ فقالت: أنا ليلى بنتُ سيّد قومهـا. قد وهبتُ نفسـي لكَ. قال: قد قبلتُكِ. إرجعي حتى يأتيكِ أمري.

---

(٢٠٧) طبقات ابن سعد، ٨/ ١٥٠.

"فأتتْ قومَـها. فقالوا: أنتِ امرأةٌ ليسَ لكِ صبـرٌ على الضرائر. وقد أحلَّ اللّهُ لرسولـه أن ينكحَ ما شاء. فـرجعتْ. فـقالتْ: إنّ اللّهَ قد أحلَّ لـكَ النساء. وأنا امرأةٌ طويلةُ اللسان. ولا صبرَ لي على الضرائر. واستقالتْهُ"(٢٠٨).

٢٢

أمُّ هانئ بنت أبي طالب

هي فـاخـتـة بنت أبي طـالب، بنت عمّ النبيّ، وأخت علـي لأبويه. عن ابن عباس قال: "خطبَ النبيُّ إلى أبي طالب ابنتَـه أمّ هانئ بعد أن أسلمتْ عام الفتح. وقد كانتْ تحت هُبَـيْرَة. فتركتْـهُ بعدَ أن ولدتْ له عمراً وهانئـاً ويوسفَ وجَعدة. وفرّ هُبيرة هارباً إلى نجران. ودخلتْ فاختة إلى رسول اللّه. فخطبها رسولُ اللّه. فـقالت: واللّهِ! إنْ كنتُ لأحـبّكَ في الجـاهليّة، فكـيف في الإسلام؟ ولكنّي امـرأةٌ مصبيّةٌ. وأكرهُ أن يؤذوكَ (أي الأولاد). فـقال رسولُ اللّه: خيرُ نساءٍ ركبنَ المطايا نساءُ قريش. فقالت: كيف بهذا ضجيعاً وهذا رضيعاً!"(٢٠٩).

وفي كتـاب الإصابة، "خطب النبيُّ أمّ هانئ. فقـالت: يا رسولَ اللّهِ! لأنتَ أحبُّ إليَّ من سمْعي وبصري. وحقُّ الـزوج عظيم. وأنا أخشى أن أُضيعَ –إذا ما تزوَّجْتَني– حقَّ الزوج. فقال: فخطبَهـا رسولُ اللّه. وقال لولدَين بين يدَيها: كفى بهذا رضيعا وبهذا ضجيعا"(٢١٠).

---

(٢٠٨) إبن سعد ٨/١٥١؛ أسد الغابة، رقم٧٢٥٥، ٦/٢٥٧؛ الإصابة، رقم ٩٥٧، ٤/٤٠٠-٠١

(٢٠٩) طبقات ابن سعد، ٨/١٥١. معناه: كيف توفّقُ بين محمّد زوجها وضجيعها وبين ابنها رضيعها، في الوقت نفسه؟

(٢١٠) الإصابة، ٤/٥٠٣.

وفي أسد الغابة، عن عبد الرحمن بـن أبي ليلى، قال: "ما أخبرني أحدٌ أنّه رأى النبيَّ يصلّي الضحى إلاّ أمُّ هانئ. فإنّها حدّثتْ أنّ رسولَ الله دخلَ بيتَها يومَ فتْح مكّة. فاغتسل. فسبّح ثماني ركعات. ما رأيتُه صلّى صلاةً أخفَّ منها، غيرأنّه كان يتمّ الركوع والسجود"(٢١١).

٢٣

ضباعة بنت عامر القشَيريّة

عن ابن عبّـاس، قال: "كـانت ضبـاعة تحت هَودَة الجـعفي. فهلك عـنها. فورثته. فـخطبها ابنُ عمٍّ لها. وخطبهـا عبدُالله بن جدعان، لرغبـةِ أبيها في المال. وكان لا يولد له. فسألتْـه الطلاقَ. فطلّقَها. فتزوّجها هشـامُ بنُ المغيرة. فولدتْ له سَلمـة. ثمّ توفّي. وكانت من أجـمل نسـاء العرب، وأعظمَـهنَّ خلقا. وكـانتْ، إذا جلستْ، أخذتْ من الأرض شيئا كثيرا. وكانت تغطّي جسدَها بشعرِها.

فذُكرَ جمَالُهـا عند النبيّ. فخطبَها إلى ابنها سَلمة. فقـال: حتى أستأمرها. وقيل للنبيّ: إنّها قد كبرتْ. فأتاها ابنُهـا، فقال لها: إنّ النبيَّ خطبَكِ إليّ. فقالت: ما قلتَ لهُ؟ قال: قلتُ: حتى أستأمرها. فقـالت: وفي النبيّ يُستأمر؟! إرجعْ. فزوِّجْهُ. فرجعَ إلى النبيّ. فسكتَ عنه"(٢١٢).

أمّا عن الوقت الذي تعرّف فـيه النبيّ بضباعـة فيخبرُنا ابن عـبّاس قائلا: "أخبـرني المطّلب بن أبي وداعـة السهمي، وكـان لدة رسول الله. قـال: لمّا أحلتْ

(٢١١) أسد الغـابة، ٦/ ٤٠٥. أنظر: طبقات ابن سعـد، ٨/ ١٥١-١٥٣؛ الإصابة، رقم ١٥٣٣، أسد الغابة، رقم ٧١٥٧، و٧٦١٢؛ الاستيعاب. ٤/ ١٩٦٤...

(٢١٢) طبقات ابن سعد، ٨/ ١٥٣.

قريشٌ لضـباعة البيتَ، خرجـتُ أنا ومحمّد، ونحن غـلامان، فاستصـغرونا. فلم نُمنَعْ. فنظرنا إليها لمّا جاءتْ. فجعلتْ تخلعُ ثوبا ثوبا وهي تقول:

ألـيومَ يبدو بعضُـه أو كلُّـه فـما بدا منـهُ فـلا أحلُّـهُ.

حتى نزعتْ ثيابَهـا. ثمّ نشرتْ شعرَها. فغطّى بطنَها وظهـرَها حتى صار في خلخـالها. فـما اسـتبـان من جسـدها شيء. وأقبلتْ تطوفُ وهي تقـول هذا الشعر. فلمّـا مات هاشم ابن المغيرة. أسلمتْ. وهاجرت. وخطبـها النبيُّ إلى ابنِها سَلَمة(٢١٣).

٢٤

صفيّة بنت بشامة العنبريّة

عن ابن عـبّاس قال: "خطب النـبيُّ صفيّـة. وكان أصـابَها (رجلٌ اسـمُهُ) سَبَاء. فخـيّرَها رسولُ اللّه، فقال: إنْ شئتِ ؟ أنا. وإنْ شـئتِ ؟ زوجُكِ. فقالت: بل زوجي. فأرسلَها رسولُ اللّه. فلعَنَتْها بنو تميم"(٢١٤).

وعن أسد الغابة: "خطبها النبيُّ. ولم يدخلْ بها"(٢١٥).

---

(٢١٣) أنظر الإصابة، رقم ٦٧٣، ٤/٣٥٣-٣٥٤؛ أسد الغابة، رقم ٧٠٦٩، ٦/١٧٨-١٧٩...

(٢١٤) طبقات ابن سعد، ٨/ ١٥٤.

(٢١٥) أسد الغابة، رقم ٧٠٥٣، ٦/ ١٦٩. أنظر الإصابة، رقم ٦٤٦، ٤/ ٣٤٦...

٢٥

أمّ شَريك الإنصاريّة

عن محـمّد بن عمر، كـانت أمّ شريك امرأة من بني عـامر، وهبتْ نفسَـها لرسول اللّه. فـلم يقبلها رسـولُ اللّه. لأنّه كان يكره غَـيرة الأنصــار. فلم تتزوّج حتى مـاتتْ. فيهـا نزلتِ الآية: " وامرأة مـؤمنة، إنْ وهبتْ نفسَـها للنبيّ، إنْ أراد النبيُّ أنْ يسـتنكحَهـا خالصـةً لكَ من دون المؤمنين "(٢١٦). ويقال: أنهـا عرضتْ نفسَها على النبيّ، وكانت جميلة، وقد أسنّتْ. فـقبلَها النبيُّ. فقالت عائشة: ما في امرأة حين تهبُ نفسَها لرجلٍ خيرٌ "(٢١٧).

٢٦

أُمـامـة بنت حمزة

هي بنت حمزة، عمّ النبيّ، وأخيه من الرضاعة. عن علي بن أبي طالب قال: " يا رسولَ اللّه! ما لكَ تتوقُ في قـريش. ولا تتزوّج إلينا؟ قال: عندكَ شيء؟ قال: نعم. إبنة حـمزة. قال: تلـكَ بنتُ أخي من الرضاعـة. وإنّه يُحرَّمُ من الرضــاع ما يُحرَّمُ من النسب "(٢١٨).

---

(٢١٦) سورة الأحزاب، ٣٣/ ٥٠.

(٢١٧) طبقـات ابن سعد، ٨/ ١٥٦. راجع: الاصـابة، أرقام ١٣٤٣-١٣٤٧؛ أسـد الغابة، رقم ٧٤٨٩.

(٢١٨) أنظر طبقات ابن سعد، ٨/ ١٥٨-١٦٠، الإصابة، رقم ٦٤؛ أسد الغابة، رقم ٦٧١٥.

وذكر في قصّة عمرة القضاء: لمّا خرجوا، تبعتْهم بنتُ حمزة تنادي: يا ابنَ عمّ! فقال علي لفاطمة: دونك ابنة عمّ أبيكِ. فاختصم فيها علي وجعفر وزيد بن حارثة. فقال جعفر: عندي خالتُها. وقال النبيّ: ألخالةُ بمنزلة الأمّ. ثم زوّجها رسولُ اللّه من سلَمة بن أمّ سلَمة. وقال حين زوّجها منه: هل جزيتُ سلَمة؟ ذلك أنّ سلَمة هو الذي كان زوّج أمَّ سلَمة من رسول اللّه(٢١٩).

٢٧

خولة بنت حكيم السلّميّ

كانت خولة من اللاتي وهبنَ أنفسَهنَّ للنبيّ. فأرجأها. وكانت تخدمه. وتزوّجها عثمان بن مظعون، الذي كان يكره النساء. فمات عنها. كانت من أحلى نساء ثقيف. صالحة فاضلة(٢٢٠).

٢٨

خَولة بنت الهُذيل التغلبيّة

"إنّ رسولَ اللّه تزوّج خولة. فهلكتْ في الطريق قبل أن تصل إليه. فنكحَ خالتَها شراف أختَ دحية. فحُمِلَتْ إليه. فماتتْ في الطريق أيضا(٢٢١).

(٢١٩) أنظر المراجع المذكورة آنفا.

(٢٢٠) راجع: طبقات ابن سعد، ٨/١٥٨؛ الاصابة، رقم ٣٦٢؛ أسد الغابة، رقم ٦٨٨١.

(٢٢١) راجع: طبقات ابن سعد، ٨/ ١٦٠؛ الإصابة، رقم ٣٧٨؛ أسد الغابة، رقم ٦٨٩٠.

٢٩

شراف بنت خليفة الكلبيّة

هي أخت دحيـة الكلبي. لمّا هلكتْ خَولة، ابنة أختِـها، تزوّجهـا رسولُ الله. ولم يدخل بها. وأخبـرنا محمّد بن عمر، قـال: "خطب رسولُ الله امرأة من كلب، فبـعث عائشة تنـظرُ إليها. فـذهبتْ. ثمّ رجعتْ. فقـال لها رسـولُ الله: ما رأيتِ؟ فـقالتْ: مـا رأيتُ طائلاً. فقـال لها رسـولُ الله: لقـد رأيتِ طائلاً. لقد رأيتِ حـالاً بخدِّها اقشعرّتْ كلُّ شعـرة منكِ. فقالت: يا رسولَ الله: ما دونكَ سرٌّ" [٢٢٢]. يعني ذلك: أنّ عائشة تريدُ أن تُبـعدَ النبيَّ عن شراف لوفرة مـحاسنها وكثرة جـمالها. فعرف النبيُّ نّيتَها.

٣٠

هند بنت يزيد الكلابيّة

سمّـاها أبو عُبيـدة بين أزواج النبيّ. وفيهـا اضطراب كثيـر. عرفت بابنة البرصاء[٢٢٣].

---

(٢٢٢) طبقات، ٨/ ١٦٠-١٦١؛ الاصابة، رقم ٦١٩؛ أسد الغابة، رقم ٧٠٣٤؛ الاستيعاب، ٤/ ١٨٦٨.

(٢٢٣) راجع الاصابة، رقم ١١١٤؛ أسد الغابة، رقم ٧٣٤٩، الاستيعاب، ٤/١٩٢٣...

٣١

فاطمة بنت شُرَيح الكلابيّة

عن أبي عُبيدة أنه ذكرها في زوجات النبيّ(٢٢٤).

٣٢

عمرة بنت معاوية الكنديّة

عن أبي نعيم: تزوّجها النبيٌّ ولم يدخل بها.

عن الحسين بن علي، قال: تزوّج رسولُ اللّه عمرة بنت معاوية من كندة، فجيء بها بعدما مات.

وعن ابن اسحق، قال: تزوّج رسولُ اللّه عمرة بنت معاوية من كندة(٢٢٥).

---

(٢٢٤) أنظر: الإصابة، رقم ٨٣٩، ٤/ ٣٨١-٣٨٢.

(٢٢٥) أنظر: الإصابة، رقم ٧٥٢ و ٧٦٩؛ أسد الغابة، رقم ٧١٢٧

٣٣

عمرة بنت يزيد الكلابيّة

عن ابن اسحق، قـال: تزوّج رسول اللّه عمرة بنت يزيد، إحـدى نساء بني كلاب. وكانت تزوّجت، قبله، الفضلَ بنَ العبّاس بن عبد المطّلب، فطلّقها. ثمّ طلّقها رسولُ اللّه قبل أن يدخل بها. وقيل إنّ رسولَ اللّه طلّقها لأنّه وجد بها برَصًا[٢٢٦].

٣٤

نَعامة العنبريّة

هي من سَـبي بني العنبر. كـانت امـرأة جمـيلة، فعـرضَ عليهـا النبيُّ أن يتزوّجها. فلم تلبثْ أن جاء زوجُها الحريش، وانتزعها من تحت النبي[٢٢٧].

---

(٢٢٦) أنظر: الإصـابة، رقم ٧٦٢، و٧٦٣ حيث هناك زوجـة أخـرى للنبيّ بهذا الإسم؛ أسـد الغابة، رقم ٧١٢٩.

(٢٢٧) أنظر: الإصابة، رقم ١٠٦، أسد الغابة، رقم ٧٣١٤..

٣٥

نفيسة الجارية

" نفيسة، جارية زينب بنت جحش، أمّ المؤمنين.. وهبتْها للنبيّ لمّا رضي عليها بعد أن كان غضبَ عليها، وهجرَها شهرا "(٢٢٨)

***

هذا ويجب ألاّ ننسى العديد العديد من السبايا اللّواتي اغتنمهنّ نبيّ الله ورسولُه من الغزوات والحروب. فهذا شرعٌ من عند الله ووحي سماوي.

كما يجب ألاّ ننسى أيضاً مَن كنّ في ملْكِ يمين رسول الله من إماءٍ. فهذا أيضاً وحيٌ إلهيّ ورخصة لمن أسلم، بحسب ما جاء في كتاب الله الكريم:

" يَا أيُّها النّبيُّ! إنّا أحْلَلنا لكَ أزواجَكَ اللاّتي أتَيتَ أُجُورَهُنَّ (أي مهورَهنّ)، وَما مَلَكَتْ يَميِنُكَ ممّا أفَاءَ اللّهُ عليكَ (من الكفّار بالسبي،كصفيّة وجويريّة)، وبناتِ عَمِّكَ، وبَناتِ عمّاتكَ، وبنات خَالِكَ، وبناتِ خالاتكَ اللاّتي هَاجَرنَ معكَ (أي أنّ هذه النساء هنّ حلالٌ للنبيّ ويستطيع نكاحهنّ، فيما هنّ محرّمات على سائر المؤمنين. إنّهنّ، إذاً، حلالٌ له، بخلاف مَن لم يهاجِرْن معهَ)(٢٢٩).

---

(٢٢٨) الإصابة، رقم ١٠٦٦، ٤/ ٤٢٠.

(٢٢٩) سورة الأحزاب ٣٣/ ٥٠

وجاء أيضاً في الكتاب:

" تُرْجِئُ مَن تشاء منهنّ (أي تؤخّر من أزواجك عن نوبتها)، وَتُؤْوي إليكَ مَن تشاءُ (منهنّ فتاتيها)، ومَن ابتغَيتَ ممَّن عَزَلتَ (من القسمة) فلا جُنَاحَ عليكَ (في طلبها وضمِّها إليك)[٢٣٠].

ويرخّص الوحيُ للنّبي بأنّه، بالرغم من منعه من تبديل أزواجه التسع، يستطيع أن يأخذ ممّن مَلكتْ يمينُه ما يشاء. قال:

" لا يحُلُّ لكَ النساءُ مِنْ بَعْدُ، ولا أنْ تتبدَّلَ بهنَّ مِنْ أزواجٍ، ولو أعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إلاّ ما مَلَكَتْ يَمينُكَ (من الإماء فتحلّ لك)[٢٣١].

والرخصة نفسها، أي إجازة الإماء إلى المسلمين كافّة، قدر ما يشاؤون، بدون حدود. قال:

" ... فإنْ خِفْتُمْ ألاّ تَعْدِلُوا فواحدةً، أو مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم (من الإماء، إذ ليس لهنّ من الحقوق ما للزوجات)[٢٣٢].

وقال أيضاً:

" والمُحْصَنَاتُ مِنَ النساءِ (أي ذوات الأزواج حُرّمت عليكم أن تنكحوهنّ قبل مفارقة أزواجهنّ حرائر مُسلمات كنّ أو لا)، إلاّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ (من الإماء بالسبي، فلكم وطؤهنّ وإنْ كان لهنّ أزواجٌ في دار الحرب بعد الاستبراء)[٢٣٣].

وكان " زواج المتعة " أيضاً مرخّصاً به في أيّام النّبيّ، ولا يزال عند

---

(٢٣٠) سورة الأحزاب ٣٣ / ٥١

(٢٣١) سورة الأحزاب ٣٣ / ٢٥

(٢٣٢) سورة النساء ٤ / ٣

(٢٣٣) سورة النساء ٤ / ٢٤

الشيعة حتى اليوم، بحسب ما جاء في القرآن:

" فما استَمْتَـعْتُمْ بهِ منهُنَّ فَآتُوهُنَّ أجُورَهنَّ فَريضـةً. ولا جُناحَ عليكُمْ فيما تَرَاضَيتُم بِهِ من بَعدِ الفريضة...

" ومَنْ لَمْ يسْـتَطِعْ منكمْ طَولاً (أي غنى لـ) أنْ يَنْكِحَ المُحْـصَنَاتِ المُؤْمِناتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أيْمَانُكُمْ "[٢٣٤].

وفي النتيجة، ليس من حدود لعدد النساء، لا عند النّبيّ، ولا عند المسلمين. وإنْ كان من حدود فمن حيث الحقوق والواجبات فقط.

---

(٢٣٤) سورة النساء ٤/ ٢٤، أنظر تفسير الجلالين لهذه الآيات كلّها. ويذكر القرآن حوالي عشرين مرّة "ما ملكتْ أيمانكم" دلالة على توسعة اللّه للمسلمين. أنظر، بالإضافة إلى ما ذكرنا سابقاً : ٤/ ٢٥؛ ٤/ ٣٣؛ ٤/ ٣٦؛ ٢٤/ ٣٣؛ ٢٤/ ٥٨؛ ٣٠/ ٢٨؛ ٦٦/ ١٦:٢/ ٧١:٢٣/ ٦؛ ٧٠/ ٣٠



الفصل السابع

مميّزات نساء رسول الله

أوّلاً – أمّهات المؤمنين

في سورة الأحزاب، رقم ٣٣، ما يتميّز به نساء النبيّ عن سائر نساء المسلمين. فهنّ، بصورة عامّة، أمّهات المؤمنين –أي الرجال لا النساء–. لهنّ في قلوب المسلمين، مكانةٌ رفيعة جدًا. وقد ميّزهنّ القرآن، وفرض عليهنّ ما لم يفرضه على نساء المسلمين.

أكثر ما يميّزهنّ أنّ لهنّ، إذا فعلن الخير، أجرَين؛ وإذا فعلنَ الشرّ، عذابُهنّ ضعفان. وعليهنّ، بالتالي، صوناً لهنّ، أن يمكثنَ في بيوتهنّ. لا يخرجنَ للقاء الرجال. ولا يتبرّجنَ كالجاهليّات. ولا ينكحنَ رجلاً بعد النبيّ. ولا يرفعن عن وجوههنّ الحجاب... عليهنّ أن يقمنَ الصلاة. ويأتين الزّكاة. ويطعن اللّهَ والرسول... كلّ ذلك، لأنّ اللّهَ يريد تطهيرهنّ أكثر من سواهنّ.

جاء في سورة الأحزاب (٣٣/٦، ٢٨–٣٤) المميّزات التالية:

٦. "ألنّبيُّ أولَى بالمؤْمنينَ مِنْ أنْفسِهِمْ (فيما دعاهم إليه، ودعتْهم أنفسُهم إلى خلافِه).

وأزْواجُه أمّهاتُهم (في حرمة نكاحهنّ عليهم. قالت امـرأةٌ لعائشة: يا أمَّهْ! فقالت لها عائشة: أنا أمّ رجالكم. ولستُ أمَّ نسائكم).

٢٨. يا أيّها النبيُّ!

قُلْ لأزْواجِكَ (وهنّ تسع. وطلبنَ منه من زينة الدنيا ما ليس عنده):

إنْ كنتنَّ تُردْنَ الحياةَ الدنيا وزينَتَها،

فتعالَينَ أمّتعْكنَّ. وأسرِّحْكُنَّ سَرَحاً جَميلاً (أي أطلّقْكنَّ من غير ضرار).

٢٩. وإنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللّهَ ورسولَه والدارَ الآخِرة (أي الجنّة)،

فإنَّ اللّهَ أعَدَّ للمُحْسِناتِ منكنَّ أجراً عظيما.

٣٠. يا نساءَ النبيّ!

مَن يأتِ منكنَّ بفاحشَةٍ مُبَيِّنَةٍ (أي بيِّنَة)،

يُضَاعَفُ لها العذابُ ضِعفَين (أي ضعفَي عذاب غيرِهنّ).

وكانَ ذلكَ على اللّهِ يَسيرا.

٣١. ومَن يَقْنَتْ منكنّ للّه ورسولِه (أي من يُطِعْ)، وتَعملْ صالحاً،

نُؤْتِها أجْرَها مرّتَين (أي مثلَي ثواب غيرهنّ من النساء).

واعتدْنا لها رزْقاً كريمًا (في الجنّة زيادةً).

٣٢. يا نساءَ النبيّ!

لَسْتُنَّ كأحَدٍ من النساء.

إنِ اتّقَيْتُنَّ، فلا تَخْضَعْنَ بالقول (للرجال)،

فَيَطْمَعَ الذي في قلبِهِ مَرَضٌ (نِفاق).

وقُلْنَ قَوْلاً مَعْروفًا (من غير خضوع).

٣٣. وَقِرْنَ في بيوتِكُنَّ (أي امكُثْنَ).

ولا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجاهليّةِ الأولى (أي لا تُظْهِرْنَ محاسنَكنَّ للرجال كنساء ما قبل الإسلام).

وأَقِمْنَ الصّلاة. وآتِيْنَ الزَّكاة. وأَطِعْنَ اللّهَ ورسولَه.

إنّما يُريدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عنكمُ الرِّجْسَ، أهلَ البيتِ (نساءَ النبيّ)، ويُطَهِّرَكم تطهيرا.

٣٤. واذْكُرْنَ ما يُتلى في بيوتكنَّ من آياتِ اللّه (القرآن)، والحكمةِ (السنّة).

إنّ اللّهَ كان لَطيفاً خبيراً[1].

ثانياً - توَسُّع النبيّ في تعدّد النساء

يتزوّجُ النبيّ ما شاء ومَن شاء. إنّها من ممّيزاته بالمقارنة مع سائر النبيّين. في طبقات ابن سعد عنوان جاء فيه: "إنّ النبيّ لم يمتْ حتى أُحِلَّ له جميعُ النساء"[2]. وهو قولٌ مستوحىً من قول عمر بن علي بن أبي طالب: "لم يمتْ رسولُ اللّه حتى أُحِلَّ له أن يتزوّجَ من النساء ما شاء". وهو أيضا يستند إلى ما جاء في القرآن:

"تُرْجِئُ مَن تشاءُ منهنَّ. وتُؤوِي إليكَ مَن تشاء"[3]. وفسّرتْ عائشة هذه

---

(١) ما بين قوسين هو من تفاسير الجلالَين.

(٢) طبقات ابن سعد،٨/ ١٩٤.

(٣) سورة الأحزاب، ٣٣/ ٥١.

الآية فقالت للنبيّ: "إنّ اللّهَ يُسارعُ لكَ فيما تُريد"[٤]؛ أو "إنّ ربَّكَ لَيُسارعُ في هواكَ"[٥]. والحقُّ يقال: إنّ اللّهَ كان مع النبيّ محمّد واسعا جدًا في أمر تعدّد النساء. فميّزه عن النبيّين السابقين، كما عن سائر المؤمنين، وعن الرجال كافّة. هكذا جاء في كلام اللّه، في سورة الأحزاب (٣٣/ ٥٠-٥٢)، كما رأينا في خاتمة الفصل السابق.

"يا أيّها النبيُّ! إنّا أحْلَلْنا لكَ أزواجَكَ... ومَا مَلَكَتْ يَـمينُكَ ... لكَيلا يكونَ عليكَ حَرَجٌ. وكان اللّهُ غفورا رحيما (بالتوسعة في ذلك). تُرجيءُ مَن تشاء منهنّ، وتُؤْوِي إليكَ مَن تشاء... لا يحِلُّ لكَ النساءُ من بَعْدُ.. إلاّ مَا مَلَكَتْ يَمينُكَ".

هذا التوسّع، كما أشرنا، هو من اللّه نفسه. إنّها ميزة نبيّ الإسلام.. هذا التوسّع، إنْ كانَ، بالنسبة إلى المسلمين، لا يتخطّى الأربعَ نساء، فهو، بالنسبة إلى النبيّ محمّد، يقفُ عند التسع. والسببُ معروف، وهو، إذا ما طلّقَ النبيُّ إحداهنّ، فلن يكون بوسعها أنْ تتزوّج رجلاً آخرَ غيرَه. لهذا استبقى النبيُّ عليهنّ جميعاً، وذلك من قِبَلِ الرحمةِ بهنّ.

ثمّة توسّعٌ إلهيٌّ آخر: هو أنّه، إذا كان توسّعٌ في تسع نساء، فهناك توسّعٌ آخر في نكاح الإماء. فهذا بلا حدود. وقد شهد المسلمون، بعد الوحي، على ذلك بما نقلوه عن سيرة رسول اللّه:

جاء في سنن ابي داود والنسائي ومسند ابن حنبل: "عرّس رسولُ اللّه بأولات الجيش ومعه عائشة"[٦]. وعند ابن حنبل أيضا: "غزَونا مع رسول اللّه فعرّس بنا"[٧]. وأيضا: "كان رسولُ اللّه في سفر فعرّس بنا"[٨]. وأيضا في

---

(٤) طبقات ابن سعد، ٨/ ١٩٤-١٩٥.
(٥) سنن ابن ماجة، ١/ ٦٤٤، رقم ٢٠٠٠.
(٦) أنظر:أبو داود، كتاب الطهارة، ١٢١؛ النسائي، كتاب الطهارة، ١٩٦؛ ابن حنبل، ٤/ ٢٦٤..
(٧) مسند ابن حنبل، ٤/ ٤١٥.

صحيح مسلم ومسند ابن حنبل: "عرّسْنا مع رسول الله فلم نستيقظ حتى..."[٩].

وعن ثابت قال: "كنّا جلوسا مع أنَس بن مالك، وعنده ابنةٌ له. فقال أنَس: جاءتِ امرأةٌ إلى النبيّ، فعرضتْ نفسَها عليه. فقالت: يا رسولَ اللّه! هل لكَ فيَّ حاجة؟ فقالتِ ابنتُه: ما أقلَّ حياءها! فقال: هي خيرٌ منكِ. رغبتْ في رسول اللّه، فعرضتْ نفسَها عليه"[١٠].

على كلِّ حال، ليس ما يستدعي إلى شرح مفصّل لتوسّعِ اللّه مع نبيّه في أمر تعدّد النساء، ولا في تحليل ما يقع عليه من سبايا، وممّا ملكت يمينه، من إماء وجواري...وقد لا يكون ملكُ اليمينْ من مميزات النبيّ فحسب. فهو، أيضا، كما رأينا، تحليل للمسلمين كافّةً.

ثالثاً– ما يتوجّب على نساء الرسول

شرائع كثيرة، صارمة، فرضها اللّه على نساء النبيّ. وضْعُهُنَّ، كنساء رسول اللّه، وكأمّهات المؤمنين، يحتّمُ عليهنّ هذه القيود. ولقد توسّعتْ سورةُ الأحزاب (٣٣/٥٣–٥٩) في إثبات هذه القيود. نثبتُها كما هي مع تفاسير الجلالين عليها:

٥٣. يا أيّها الذين آمنوا!

لا تَدْخُلوا بيوتَ النبيِّ، إلاّ أنْ يُؤْذَنَ لكُم (في الدخول)

إلى طَعَامٍ غيرِ نَاظِرينَ إناه (أي غير منتظرين نضجَه).

---

(٨) المرجع نفسه، ١/٢٥٩.

(٩) صحيح مسلم، ٣١؛ سنن النسائي، مواقيت، ٥٥"؛ مسند ابن حنبل، ٢/٤٢٨، ٤/٤٤١، رقم ٢٠٠٠...

(١٠) مسند ابن حنبل، رقم ٢٠٠١.

ولكن. إذا دُعِيتُمْ فادْخُلوا.

فإذا طَعِمْتُمْ فانتشروا (أي: لا تمكثوا. بل انسحبوا)،

ولا مُسْتَأْنِسِين لحديثٍ (من بعضكم لبعض).

إنّ ذلكُم (المكْثُ) كان يُؤْذي النبيَّ،

فيستحيي منكم (أن يُخرجكم).

واللّهُ لا يَستحيي من الحقّ (أن يُخرجكم).

وإذا سألتموهُنّ (أي أزواج النبيّ) مَتاعًا،

فاسألوهُنَّ من وراءِ حِجَابٍ (سِتْرٍ).

ذلكُمْ أطْهرُ لقلوبِكُم وقلوبِهِنَّ (من الخواطر المريبة).

وما كان لكم أنْ تُؤذوا رسولَ اللّه،

ولا أنْ تَنكِحوا أزواجَهُ من بَعْدِهِ أبداً.

إنّ ذلكمْ كان عندَ اللّهِ عظيمًا (أي ذنبا عظيما. نزلتْ في طلحة بن عبيد اللّه، لأنّه قال: "إذا توفّيَ رسولُ اللّه، تزوّجتُ عائشة")[11].

٥٤. إنْ تُبْدُوا شَيئا أو تُخْفُوهُ (من نكاحهنّ بعدَ رسول اللّه)،

فإنَّ اللّهَ كان بكلِّ شيءٍ عليما (فيُجازيكم عليه).

٥٥. لا جُنَاحَ عليهنّ (أي نساء النبيّ إنْ نظرَ إليهنّ أحدٌ من أقربائهنّ ممّن يذكرهم القرآن)،

---

(١١) طبقات ابن سعد، ٨/ ٢٠١.

في أبائـهِنّ، ولا أبنائهـنَّ، ولا إِخْـوانـهِنَّ، ولا أبناء إخـوانِهـنّ، ولا أبناءِ أخَوَاتِهنّ، ولا نسائهنّ، ولا ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُنَّ (من الإماء والعبيد أن يروهنَّ ويكلّموهنّ من غير حجاب).

واتّقِيْنَ اللّهَ (في ما أُمِرْتُنَّ به).

إنَّ اللّهَ كان على كلّ شيء شهيداً (أي لا يخفى عليه شيء).

هذه الحمـاية لأزواج النبيّ إنما هي شريعة من الـلّه والملائكة. وبذلك قال مكمِّلاً:

٥٦. إنّ اللّهَ وملائكَتَه يُصلُّونَ على النبيّ:

يا أيّها الذين آمنوا! صلُّوا عليهِ وسلِّموا تسليمًا.

٥٧. إنّ الذينَ يُؤْذُونَ اللّهَ ورسولَه (في أزواجه من بعده)،

لَعَنَهُمُ اللّهُ في الدنيا والآخِرة. وأعَدَّ لهم عذابًا مُهينًا.

٥٨. والذينَ يُؤْذونَ المؤمنينَ والمؤمنات بغيرِ ما اكتَسَبوا (أي بغير ما عملوا)،

فقدِ احْتَملوا بُهْتَانًا (كَذِبًا) وإثْمًا مُبيْنًا (بيِّنًا).

٥٩. يا أيّها النبيّ!

قلْ لأزواجِك وبَنَاتِكَ ونساءِ المؤمنين،

يُدْنِيْنَ عليهنَّ من جَلابيبِهِنَّ (أي يستترن بملاءة يُرخِينَها على وجوههنّ).

ذلكَ أدْنى أنْ يُعْرَفْنَ (أي أقرب إلى أنْ يعرَفْنَ بأنّهنّ حرائر).

فلا يُؤْذَيْنَ (بالتعرّض لهنّ).

وكان اللّهُ غفورًا رحيمًا (بهنّ إذا سترهنّ).

نختصرُ الآن ما سلف من شرائع في حقّ نساء النبيّ:

١. على المؤمنين ألاّ يدخلوا على نساء النبيّ في بيوتهنّ بدون إذنِ النبيّ،

٢. وإذا دخلوا، بإذنه، عليهم ألاّ يُطيلوا المكوث عندهنّ.

٣. ولا يستأنسوا، إذا ما دخلوا بأذنه، بالأحاديث الطويلة فيما بينهم.

٤. ولا أن ينتظروا الطعام حتى ينضج..

كلّ هذا ممّا يؤذي اللّه ورسولَ اللّه. وإذا تورّع النبيّ من إخراج هؤلاء الضيوف الثقلاء، فإنّ اللّهَ سيخرجهم لا محالة.

٥. وعلى المؤمنين، أيضا، إذا ما أرادوا الكلامَ مع نساء النبيّ، أن يُكلّموهنّ من وراء حجاب. هذا أطهر لهم ولهنّ.

٦. وعلى المؤمنين، أيضا، أن لا يفكّروا مطلقا، إذا ما أعجبتهم إحدى نساء النبيّ، أن ينكحوها بعد موته. إنّه، عند اللّه، ذنب لا يغتفر.

٧. وبالمقابل، على أزواج النبيّ أن يمتنعنَ عن الظهور أمام المؤمنين، إلاّ من سَمّاهم القرآن، أي بعض الأقرباء الأدنين، والعبيد، والخصيان.. ذلك حماية لهنّ وللمؤمنين كافّة.

جاء على لسان محمّد بن عمر وصفُه لنساء النبيّ بعد موته، قال: "حدَّ نساءُ رسولِ اللّهِ أربعةَ أشهرٍ وعشرًا. وكُنَّ يزورُ بعضُهنَّ بعضًا. ولا يَبِتْنَ عن بيوتِهنَّ. ولقد تعطّلْنَ حتى كأنّهنّ رواهيب. وما كان يمرّ بهنّ يومٌ أو اثنان أو ثلاثة إلاّ وكلُّ امرأةٍ منهنَّ يُسْمَعُ نشيجُها"[١٢].

أمّا حسّان بن ثابت، شاعر النّبي[١٣]، كتب عنهنّ بعد موت النبيّ فقال:

---

(١٢) طبقات ابن سعد، ٨/ ٢٢١.
(١٣) المرجع نفسه، ١/ ٣٢١.

أمْسَى نساؤكَ عَطَّلْنَ البيوتَ، فما يَضْرِبْنَ خـلفَ قفا سِتْرٍ بأوتـادِ
مثلَ الرواهبِ يَلْبَسْنَ المسوحَ، وقد أيْقَنَّ بالبؤسِ بعدَ النعمةِ البـادي.

رابعاً – الحجاب على نساء النبيّ

فرض اللّه على نساء النبيّ أن يحتجبْنَ وراء ستر أو حجاب. وكان أوّل ما فرض ذلك، في بيت زينب بنت جحش، أمّ المؤمنين، الليلة الأولى من زواج النبيّ منها. وقصّة ذلك، أنّ المهنّئين، لذهولهم بجمال زينب، لم يتركوا البيت. ولم يسمحوا للنبيّ بالدخول على عروسه. فظلّوا في البيت، يأكلون، ويتسامرون، ويزعجون النبيّ.. حتى نزلت آيةٌ من السماء تفرضُ على زينب، وبالتالي، على نساء النبيّ جميعهنّ، الحجاب.

وإثباتا لهذه الفريضة، جرت عادة أزواج النبيّ بأن يلتزمن الحجاب. فروت لنا أمّ سَلَمة التي كانت عند النبيّ، هي وميمونة، فقالت: " فبينا نحن عندَه، أقبلَ ابنُ أمِّ كلثوم، فدخل عليه؛ وذلك بعد أن أمر بالحجاب. فقال النبيّ: إحْتَجِبَا منه. قلنا: يا رسولَ اللّه! أليسَ هو أعمى، لا يُبصر، ولا يعرفُنا؟ قال: أَفَعُمْيَاوَانِ أنتما؟ أَلَسْتُمَا تُبْصِرَانِهِ؟ "(١٤).

وعند ابن سعد أيضا خبر عن أنّ الحسن والحسين، حفيدَي رسول اللّه، كانا لا يريان أمّهات المؤمنين. وعن ابن عبّاس قال: بلغني أنّ عائشة احتجبت من الحسن بن علي.

وكان الحجاب فريضةً من السماء، لا على نساء النبيّ فحسب، بل وأيضا على بناته ونساء المسلمين جميعهنّ: " يا أيّها النبيّ! قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يُدنِينَ عليهنّ من جلابيبهنّ "(١٥). وأوضحتْ سورةُ النور (٢٤/٣١) ما

---

(١٤) طبقات ابن سعد، ٨/١٧٦.
(١٥) سورة الأحزاب، ٣٣/٥٩.

على النساء المؤمنات أن يسترنَ من جسدهنّ. فقالت:

" وقل للمؤمناتِ:

يَغْضِضْنَ من أبْصارِهِنَّ،

ويَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ.

وَلا يُبْدِيْنَ زِيْنَتَهُنَّ إلاّ ما ظَهَرَ منها (الوجه والكفّان).

وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ على جُيُوبِهِنَّ (أي: يسترنَ الرؤوس والأعناقَ والصدورَ بالمقانع) "[١٦]...

وفسّر المسلمون "أنّ إلغاء الحجاب معناه جرّ الخراب الكامل الشامل على الأخلاق وعلى النظام الاجتماعي "[١٧]؛ وذلك، لـ" أنّ وجهَ المرأة، وما يمكنُ أن يُحدثه من فتنة، هو.. من المسائل الأصليّة في الشريعة. تناولتها النصوص القاطعة في القرآن الكريم وفي السُنَّة المطهّرة "[١٨].

" ألمهمّ، في الأوّل والأخير، بحسب رأي المهندسة اعتصام أحمد الصرّاف، ألاّ يكون في المجتمع الإسلامي عريٌ يهيّج الغرائز، ويُثير الشهوات الهابطة، ويدفع إلى طريق الفساد. فالنظرة المسمومة والجسد الخليع هما أوّل خطوة على طريق الفساد. لا يقبلهما المجتمعُ الإسلامي. وليس في هذا حجر على الحرّية. وإنما هو توقية للمجتمع من أخطار الاستهتار والعري والتحلّل.

" فالفتاة التي تلبس فستانا عاري الظهر، عاري الصدر، عاري الأذرع، أو

---

(١٦) ما بين قوسين من تفسير الجلالَين.

(١٧) الداعي أبو الأعلى المودودي، ألحجاب، ص ٣٤٠.

(١٨) الإستاذ الدكتور إسماعيل منصور، تذكير الأصحاب بتحريم النقاب، وفق القواعد المستمدّة من علمَي الأصول والحديث؛ مطبعة النسر الذهبي؛ القاهرة، طبعة ١؛ ١٩٩٠، (١٧×٢٤)؛ ص ١١.

قصيراً يكاد يكشف ما لا ينبغي ذكره، وتسير في الطريق، أو تجلس في السيّارة، أو في مكان عامّ، وسط الرجال والشبّان، لا تمارس حريّتها، وليس ذلك هو المقصد. وإنمّا المقصد –حقيقة– ولكن صرحاء– هو استجداء النظرات "(١٩).

وفي رأي المهندسة أيضاً أنّ هناك شروطا للزيّ الشرعي الأسلامي وللحجاب، لا يصحّان إلاّ بها. وبها يرضى اللّه ورسولُه. وهي:

١. استيعاب جميع البدن، إلاّ ما استثنى الوجهَ والكفّين... وهو أمر إلهي لزوجات النبيّ ولنساء المؤمنين: "يا أيّها النبيّ! قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين" (آية) أن "يلبسنَ الجلبابَ الواسعَ الذي يستر محاسنَهنَّ وزينَتَهنَّ، ويدفع عنهنّ ألسنةَ السوء، ويميّزَهنّ عن صفات نساء الجاهليّة..

٢. أن لا يكونَ زينةً في نفسه، لقوله تعالى "ولا يُبدينَ زينَتَهُنَّ". فلا يصح استخدام الألوان الصارخة والأقمشة المزخرفة.. فقد حبّبَ الرسولُ في اللّونِ الأسودَ. فعلينا الاقترابُ منه، كالبنّي، والكحليّ، والرصاصيّ. والمقصود من الأمر بالجلباب إنما هو ستر زينة المرأة. فلا يُعقل حينئذ أن يكونَ الجلبابُ نفسُه زينةً...

٣. أن يكونَ واسعاً فضفاضاً غيرَ ضيّق. لا يصفُ شيئاً من جسمها، لأنّ الغرضَ من الثوب إنما هو رفعُ الفتنة. ولا يحصلُ ذلك إلاّ بالفضفاض الواسع. وأمّا الضيّق فإنّه، وإن ستر لونَ البشرة، فإنّه يصفُ حجمَ جسمها، أو بعضَه. ويصوّره إلى أعين الرجال.. وقد قال أسامة بن يزيد: "كساني رسولُ اللّه قبطيّةً كثيفةً.. فكسوتُها امرأتي. فقال: ما لكَ! لم تلبَسِ القبطيّةَ؟ قلتُ: كسوتُها امرأتي. فقال: مرْها. فلتجعلْ تحتَها غلالة (أي بطانة سميكة). فإنّي أخافُ أن تصفَ حجمَ عظمِها".

---

(١٩) المهندسة اعتصام أحمد الصرّاف، أختي المسلمة! سبيلك إلى الجنّة، ص ١١٥–١١٦.

٤. أن يكونَ صفـيقًا لا يشفُّ، لأنّ الستـرَ لا يتحقّقُ إلاّ به. وأمّا الشـفّافُ فإنّـه يزيد المرأةَ فتنةً وزينةً. وفي ذلك يقـول الرسولُ: "سـيكون في آخر أمّـتي نساء كاسيات عاريات.." أي كاسيات بالإسم عاريات في الحقيقة.

٥. أن لا يكون مـبخّـرًا مُطيّبًـا. لقـد قال الرسـول: "إنّ المرأة التي تلبس جلبابا مـعطرًا لا تُقبَلُ صلاتها". وقـال أيضا: "ما من امرأةٍ تخـرج إلى المسجد تعصفُ ريحُها، فـلا يَقبلُ اللّهُ منها صلاةً حتى ترجع إلى بيتها فـتغتسل". وعن أبي موسى الأشـعري قال: " قال رسولُ اللّه: أيّـما امرأة استعطرتْ فـمرّتْ على قوم ليـجدوا من ريحـها فـهي زانية"... فكيف بالـتي تخرج بالفـستان الـضيّق والجونلة القصيرة والشعر العاري!!

٦. أن لا يشبه لباسَ الرجل. "عن أبي هُريرة قال: لعن رسولُ اللّه الرجلَ يلبسُ لبسَ المرأة، والمرأةَ تلبسُ لبسَ الرجل". وعن عبداللّه بن عمر قال: "سمعتُ رسولَ اللّه يقول: ليس منّا مَـن تشبّه بالرجال من النساء ولا مَن تشـبّه بالنساء من الرجال"..

٧. ألاّ يشبـه لباسَ الكافـرات. فلكِ يا أختي أن تعـرفي شروطه (أي الزيّ الإسلامي) من اللّه ورسـولِه، لا من مصمّمي الأزياء الغـربيّين الذين لا يأخذون من كتاب اللّه ولا سنّة رسوله..

٨. أن لا يكون ثوبَ شهرةٍ، أي زيًّا يخالف مـلبوس الناس من الفقراء. عن "عبداللّه بن عمر قال: قال رسـول اللّه: مَن لبسَ ثوبَ شـهرة في الدنيا ألبسه اللّه ثوبَ مذلّة يومَ القيامة. ثم أُلهِبَ فيه ناراً"[٢٠].

ومع هذا، يبـقى المسلمون على خـلاف في قصّة الحـجاب وفـرضه على نساء المسليمن كافّة، في الوقت الذي فرضه النّبيّ على نسائه وبناته فقط.

---

(٢٠) ألمهندسة اعتصام أحمد الصرّاف، أختي المسلمة، سبيلك إلى الجنّة، ص ١٢٠-١٣٢.

خامساً - عدل رسول الله بين نسائه

عن عائشة قالت: "كان النبيُّ يَقسم بين نسائه، فيعدلُ، ويقول: أللّهمّ! هذا قَسمي في ما أملكُ. فلا تَلُمني في ما تملِكُ ولا أملكُ"(٢١). ويعلّق صاحبُ التاج، فيقول: "كان النبيُّ يقسمُ بين نسائه، فيعدلُ بينهنَّ في النّفَقَة، والكسوَة، والمبيت، والتودّد. أمّا في الميل القلبي فلا يملكُ فيه العدلَ، لأنّه ليس مقدورًا له. وكذلك في الجماع، فلا يجبُ العدلُ في الحبِّ والجماع؛ لأنّهما ليسا في الاستطاعة، "لا يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إلاّ وسعَهَا"(٢٢). ولعلّ قولَه تعالى: "فلا تَميلوا كلَّ المَيْلِ"(٢٣)مرادٌ به هذا. فمَن كان عندَه زوجتَان فأكثر، وجبَ عليه القسمُ والعدلُ"(٢٤).

وعن عائشة قالت: "كان رسولُ اللّه لا يفضّلُ بعضَنا على بعض في القسم من مكثه عندنا. وكان قلَّ يومٌ إلاّ وهو يطوفُ علينا جميعا، فيدنو من كلِّ امرأة من غير مسيس (وقاع) حتى يبلغَ التي هو يومُها، فيبيتُ عندَها"(٢٥).

وعنها أيضا قالت: "كان رسولُ اللّه، إذا أراد سَفَرًا، أقرَع بين نسائه. فأيّتهنّ خرجَ سهمُها خرج بها معه. وكان يقسمُ لكلِّ امرأة منهنّ يومَها وليلَتها (أي بعد رجوعه من السفر، لا تُحسبُ أيّامُه على مَن كانت مسافرة معه). غير أنّ سَودة بنت زمعة وهبتْ يومَها لعائشة"(٢٦).

وعن أنَس قال: "كان نبيُّ اللّه يطوفُ على نسائه في اللّيلة الواحدة. وله يومئذٍ تسعُ نسوة"(٢٧). ويعلّق صاحبُ التاج: "كان يطوف عليهنّ في ليلة واحدة. أي: يواقعُهُنّ. وكان، صلّى اللّهُ عليه وسلّم، أُعْطِيَ قوّةُ ثلاثين أو أربعين

---

(٢١) رواه الستة.

(٢٢) سورة البقرة، ٢/٢٨٦.

(٢٣) سورة النساء، ٤/١٢٩.

(٢٤) التاج، حاشية، ٢/٣٢٢-٣٢٣.

(٢٥) المرجع نفسه، ٢/٣٢٣.

(٢٦) رواه الثلاثة والنسائي.

(٢٧) رواه الخمسة.

رجلاً، كما في رواية. فـفيه جوازُ المرور على الزوجات كلِّهنَّ مع وجـود القسمة. بل وكان عنده، صلّى اللّهُ عليه وسلّم، جاريتان: ماريّة وريحانة "[٢٨].

وروى ابو داود عن عـائشة قـالت: إنّ رسـولَ اللّه "بَعَثَ في مرضـه إلى نسائه. فاجتمعْنَ. فقال: إنّي لا أستطيعُ أن أدورَ بينَكُنَّ. فإنْ رأيتُنَّ أنْ تأذَنَّ لي أنْ أكون عند عائشة. فأذِنَّ له[٢٩] ومن حكمة ذلك أن يُدفَنَ في بيتِها. وقد كان صرّح بأنّه يُدفَنُ حيثُ يموت "[٣٠].

ومن حـرْصِ رسول اللّه علـى العدل والمسـاواة بين نسـائه، لم يسلم من غيـرتهنّ، وتحزّبهنّ، ومـشـاكلهنّ الـكثيرة مـع بنت أبي بكر. لقد كنَّ، جـميـعا، يسألنَه العدلَ . حتى إنّ المسلمين، إذا أهدوا الـرسولَ هديةً ما، ينتظرون ليلتَه مع عائشة، ليقدِّموا له هديّتهم. وكان حزبُ أمِّ سَلَمَة يكلّفها بأن تكلّمَ رسولَ اللّه في ذلك. فكلّمتْهُ بما قلنَ. فلم يقلْ لهـا شيئا. وكلّمتْه مرّتين. ولم يُجبـها. وفي الثالثة، كلّمتْه.فقال لها: "لا تُـؤذيني في عائشة. فإنّ الوحيَ لم يأتِني وأنا في ثوب امرأةٍ إلاّ عائشة ". قالت: فقلتُ أتوبُ إلى اللّه من أذاك يا رسول اللّه ".

ودعا حـزبُ أمّ سَلَمة مرّة فاطمـةَ، بنتَ رسول اللّه. فأرسلتْ فـاطمة إلى رسول اللّه تقول: إنّ نساءكَ يُنشدْنَكَ اللّهَ العـدلَ في بنت أبي بكر. فكلّمتْه. فقال: "يا بُنَيَّة! ألا تُـحبّيْنَ مـا أُحِبُّ؟ ". قالت: بلى. فـرجعتْ إليهنّ. فـأخبَرَتْـهُنَّ. فقلن: ارجعي إليه. فأبتْ أن ترجع. فأرسَلْنَ زينبَ بنتَ جـحش. فأتتْه. فأغلظتْ. وقالت: إنّ نساءكَ يُنشدْنَكَ العدلَ في بنت ابنِ أبي قحَافـة. فرفعتْ صوتَها، حتى تناولتْ عائشـة وهي قاعدة. فسَـبَّتْهـا. حتى أنّ رسولَ اللّه لينظرُ إلى عـائشة هل تتكلّم؟ فتكلّمتْ عـائشة، تردُّ على زينب، حـتى أسكَتتْهـا. قالت: فنظرَ النبيُّ إلى عـائشة، وقال: "إنّها بنتُ أبي بكر". يعنى أنّها مثلُ أبيها في الذكاء والعقل والحجّة[٣١].

---

(٢٨) حاشية على التاج، ٢/ ٣٢٤.

(٢٩) رواه أبو داود في سننه.

(٣٠) السيّد محمد رشيد رضا، حقوق النساء في الإسلام، ص ٨٢.

(٣١) المرجع نفسه، ص ٨٤.

الفصل الثامن

"ألنكاح سنّتي.. فليستَنّ بِسنّتي"

أوّلاً – معنى لفظة "نكاح"

ألنكاح، لغةً، هو الضمّ والجمع. وشرعاً، هو العقد بين زوجين يحلّ لهما فيه الوطء. وعند أبي حنيفة، هو "فعل الوطء"؛ وعند الأزهري، "أصلُ النكاح في كلام العرب: ألوطء". وقال الجوهري: "ألنكاح الوطء. وقد يكون العقد". وقال أبن سيده: "ألنكاح البَضْع". وفي لسان العرب: "نَكَحَ فلانٌ امرأةً، تزوّجها. ويعني أيضاً: باضَعَها، ودَحَمَها، وفَجَأها. وعقْدُ التزويج يسمّى النكاح". ويقال: "نَكَحَ المطرُ الأرضَ، أي ناك المطرُ الأرضَ، إذا اعتمد عليها"؛ و"نَكَحَ النّعاسُ عينَه، أي ناك النعاسُ عينَه، إذا غلَبَ عليها"[1]. فالنكاح، إذاً، هو المواقعة بحدّ ذاتها. أو هو الزواج التامّ الناجز بفعل المواقعة، ونتيجة عقْد صحيح بين رجل وامرأة.

ويستعمل المسلمون كلمةَ "نكاح"، على أنّها تفي بالمقصود أكثر من لفظة زواج، التي قد تعني اقتراناً عادياً، بسيطاً، بين شخصين، أو شيئين؛ كما قد تعني عقداً غيرَ ناجزٍ أو غيرَ مكتمل. جاء في لسان العرب: إنّ "كلّ شيئَين مقترنَين،

---

(١) أنظر لسان العرب، باب ح، فصل ن؛ ٢/ ٦٢٥–٦٢٦.

شكلَين كانا أو نقيضَين، فهما زوجان. وكلّ واحد منهما زوج.. والعامّة تخطئ، فتظنُّ أنَّ الزوجَ إثنان؛ فيما هو الفردُ الذي له قرين"[٢]. لهذا، يقال: "زوجٌ" للرجل الذي له امرأة. و "زوجة"، –والأصحّ الزوج– للمرأة التي لها رجل. فهما زوجان؛ وكلّ واحد منهما زوج.

ونحن نوجز في هذا الفصل ما جاء في كتاب "إحياء علوم الدين، للغزالي (+١١١١م)، ألكتاب الثاني من ربع العادات. واسمه: كتاب آداب النكاح". وكتاب "ألتاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول، للشيخ منصور علي ناصف، كتاب النكاح". ففيهما ما يكفي من عمق وشموليّة لموضوع عالجه علماء مسلمون كثيرون. وكلّهم قريبٌ بعضهم من بعض. وقد عالجوا الشيء نفسه، وبالطريقةعينها، والموضوعات عينها. ونتتّبع الغزالي والشيخ منصور في تقسيمهما، مع بعض إضافات من مؤلّفين آخرِين، نشير إليها في مكانها.

***

يبدأ الغزالي كتابه، مشيراً إلى أنّ النكاح هو "من بدائع ألطاف اللّه تعالى...، إذ هو مُعِينٌ على الدين، ومُهينٌ للشياطين، وحصنٌ دونَ عدوِّ اللّه حصين، وسببٌ للتكثير الذي به مباهاة سيّد المرسلين لسائر النبيّين"[٣]. ثمّ راح، مثله مثل أصحاب السنن والصحاح والأسانيد، يتكلّم على ضرورة النكاح، وفوائده، والحكمة الإلهيّة منه، كما على آفاته ومشتقّاته والموانع التي تحول دونه، كما على ما على الزوج والزوجة من حقوق وواجبات..

---

(٢) ألمرجع نفسه، باب ج، فصل ز؛ ٢/ ٢٩١–٢٩٣.

(٣) كتاب إحياء علوم الدين، ٢/ ٢١.

ثانياً – الترغيب في النكاح

اعتمـد أبو حامد الغزالي على الآيات القرآنيّـة التي تأمر بالنكاح، وترغّب فيه، كـما استند إلى الأحـاديث النبوّية التي تحثّ عليه، وإلى سيـرة رسول اللّه والصحابة .

١. الآيات القرآنيّة

قال اللّه تعالى: " وأنكِحوا الأيامى منكم "[٤]. وهذا أمر.

وقال: " فلا تعضلوهنّ أن ينكِحنَ أزواجَهنّ "[٥]. وهذا منع من العضل.

وقال في وصف الرسل ومدحِهم: " ولقـد أرسلنا رسلاً من قَبْلكَ. وجعلنا لهم أزواجاً وذرّيّةً "[٦].

ودعا لأوليائه فقال: " ربَّنا! هبْ لنا من أزواجِنا وذرّياتِنا قُرَّةَ أعْيُنٍ "[٧].

وهناك أيضا آيات أخرى كثيرة تحثّ على النكاح وترغّب فيه:

منهـا قوله: " ومن آياته أن خلق لكم من أنفسك أزواجاً لتـسكنوا إليـها. وجعل بينكم مودّةً ورحمةً. إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون "[٨].

وجاء أيضا: " فانكِحوا ما طاب لكم من النساء.. "[٩].

---

(٤) سورة النور ٢٤/٣٢.
(٥) سورة البقرة ٢/٢٣٢. تعضلوهنّ، أي تمنعوهنّ من أن ينكِحنَ أزواجَهنّ المطلّقين لهنّ.
(٦) سورة الرعد ١٣/٣٨.
(٧) سـورة الفـرقان ٢٥/٧٤. " قـرّة أعين "، أي بنين مـطيعين. قـال رسـول اللّه: "إذا مـات الإنسان انقطع عملُه إلاّ من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له". أنظر ايضا كتاب "إحياء علوم الدين"، ٢/٢١-٢٢.
(٨) سورة الروم ٣٠/٢١.
(٩) سورة النساء ٤/٣.

وأيضا: "يا أيّها الذين آمنوا! لا تحرّموا طيّباتِ ما أحلَّ اللّهُ لكم"[١٠].

وأيضا: "واللّهُ جعل لكم من أنفسكم أزواجاً.. ورزقكم من الطيّبات"[١١]...

٢. الأحاديث النبويّة

منها قوله: "ألنكاح سنّتي. فمن رغب عن سنّتي فقد رغب عنّي".

وقوله: "ألنكاح سنّتي. فمن أحبَّ فطرَتي فليستَنّ بسنّتي".

وقوله: "تناكحوا تكاثروا. فإنّي أُباهي بكم الأمم يومَ القيامة".

وقوله: "من رغب عن سنّتي فليسَ منّي. وإنّ من سنّتي النكاح. فمن أحبّني فليستنّ بسنّتي".

وقوله: "من ترك التزويج مخافة العيلة فليس منّا"..

وقوله: "من كان ذا طَول فليتزوّج".

وقوله: "من استطاع منكم الباءة فليتزوّج. فإنّه أغضّ للبصر، وأحصن للفرج. ومَن لم يستطعْ فليصم. فإنّ الصومَ له وَجَاء"[١٢].

وقوله: "إذا أتاكم مَن ترضَون دينَه وأمانَتَه، فزوِّجوه. إلاّ تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفسادٌ كبير".

وقوله: "مَن نكح للّه وأنكح للّه استحقّ ولايةَ اللّه".

وقوله: "مَن تزوّج فقد أحرزَ شطرَ دينه. فليتّقِ اللّهَ في الشطر الثاني"[١٣].

---

(١٠) سورة المائدة ٥/٨٧.

(١١) سورة النحل ١٦/٧٢.

(١٢) ألباءة، أي المنزل. ألوَجاء، عبارة عن رضّ الخصيَتَين للفحل حتى تزولَ فحولتُه. فهو مستعار للضعف عن الوقاع في الصوم.

(١٣) يعلّق الغزالي على هذا الحديث: فكأنّ المفسِدَ لدين المرء فرجه وبطنه. وقد كفى بالتزويج

وقولـه: "كلّ عمل ابن آدم ينقطع إلاّ بثـلاث: ولد صـالح يدعـو له". وعلّق الغزالي بقوله: "ولا يوصل إلى هذا إلاّ بالنكاح[١٤].

٣. أخبار الصحابة

ورد في الآثار وأخبار صحابة الرسول والتابعين بما يخصّ الترغيب في النكاح والدعوة إليه. فجاء منها ما يلي:

قـال ابن عبّـاس: "لا يتمّ نسك الناسك حـتى يتـزوّج". والمراد به: أنّه لا يَسلَم قلبُه لغلبة الشهوة إلاّ بالتزويج. ولا يتمّ نسكُه إلاّ بفراغ قلبه.

وكان ابن مسعود يقول: "لو لم يبقَ من عـمري إلاّ عشرة أيّام لأحببتُ أن أتزوّجَ لكيلا ألقى اللّهَ عزباً".

ومعاذُ بنُ جبل يقول أيضا: "زوّجوني. فإنّي أكره أن ألقى اللّه عزباً".

وكان عمر بن الخطّاب يُكثر النكاح ويقول: "ما أتزوّج إلاّ لأجل الولد".

ويقال أنّ أحـمد بن حنبل تـزوّج في اليوم الثـاني لوفاة أمّ ولَدِه عبـداللّه. وقال: "أكره أن أبيتَ عزباً".

وقال سفيان بن عينيّة: "كـثرة النسـاء ليست من الدنيا (أي هي من مزايا الآخـرة)؛ لأنّ عليّاً (ض) كـان أزهدَ أصحـاب رسـول اللّه، وكان له أربع نسـوة وسبع عشرة سريّة". فالنكاح سنّة ماضية، وخلق من أخلاق الأنبياء.

وقيل: "فضل المتـأهل على العزب كفضل المجاهد على القاعـد. وركعة من متأهل أفضل من سبعين ركعة من عزب"[١٥].

أحدهما (٢/٢٢).

(١٤) أنظر كتاب إحياء علوم الدين، ٢/٢٢.

(١٥) إحياء علوم الدين، ٢/٢٣-٢٤..

ثالثاً– فوائد النكاح

يعدّد الغزالي من فوائد النكاح خمساً:

ألفائدة الأولى: "ألولد. وهو الأصل. وله وُضع النكاح. والمقصود إبقاء النسل، وأن لا يخلو العالم عن جنس الإنس. وإنما الشهوة خُلقت باعثةً مستحثّةً إلى اقتناص الولد بسبب الوقاع، كالتلطف بالطير في بثِّ الحَبِّ الذي يشتهيه ليُساق إلى الشبكة..

وفي التوصّل إلى الولد قربة من أربعة أوجه:

١. موافقة محبّة اللّه بالسعي في تحصيل الولد لإبقاء جنس الإنسان؛

٢. ألسعي في محبّة رسول اللّه ورضاه بتكثير ما به مباهاته؛

٣. أن يُبقي الرجلُ، بعدَه، ولداً صالحاً يدعو له؛

٤. أن يموت الولدُ قبلَه فيكون له شفيعاً. فقد روى عن رسول اللّه أنّه قال "إنّ الطفلَ يجرُّ بأبوَيه إلى الجنّة"..

ألفائدة الثانية: ألتحصّن من الشيطان، وكسْر التوَقَان، ودفع غوائل الشهوة، وغضّ البصر، وحفْظ الفرْج. وإليه الإشارة بقوله صلّى اللّه عليه وسلّم: "مَن نكح فقد حصّن نصفَ دِينه. فليتّقِ اللّهَ في الشطر الآخر".. فالشهوة والولد مقدّران، وبينهما ارتباط.. إنّما الولد هو المقصود بالفطرة والحكمة؛ والشهوة باعثة عليه.

وفي الشهوة أيضا حكمةٌ أخرى، وهي ما في قضائها من اللّذة التي لا توازيها لذّةٌ لو دامت. فهي منبّهُه على اللّذات الموعودة في الجنان. إذ الترغيبُ في لذّة لم يجد لها ذوّاقا لا ينفع.. وإحدى فوائد لذّات الدنيا، ألرغبة في دوامها في الجنّة، ليكون باعثا على عبادة اللّه.. فإنّ هذه اللّذة الناقصة بسرعة الانصرام

تحرّكُ الرغبةَ في اللّذة الكاملة بلذّة الدوام..." [١٦]. وفي مكان آخر يقول الغزالي: إنّ الإنسان، في شهوته، "يُدرك لذّتَه فيقيس بها لذّات الآخرة.. فما لا يُدرَكُ بالذَّوق لا يعظمُ إليهِ الشوق" [١٧].

ثمّ إنّ هذه الشهوة هي محنة عامّة قلّ مَن يتخلّص منها. ولذلك قال ابن عبّاس: "لا يتمّ نسكُ الناسك إلاّ بالنكاح". وقال قتادة في قوله تعالى "ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به" [١٨]، هو الغلمة. وعن عكرمة ومجاهد أنّهما قالا في معنى قوله تعالى "وخلقَ الإنسانَ ضعيفاً" [١٩]، أنّه لا يصبرُ على النساء. وقال فيّاض بن نجيح: "إذا قام ذَكَرُ الرجل ذهب ثلثا عقله". وبعضهم يقول: "ذهب ثلثُ دينه". وفي نوادر التفسير عن ابن عبّاس "ومِن شَرِّ غَاسِقٍ إذا وَقَب" (الآية) [٢٠]، قال: قيام الذَكَر. وهذه بليّة غالبة، إذا هاجت، لا يقاومها عقلٌ ولا دِين. وهي، مع أنّها صالحة، فهي أقوى آلة الشيطان على بني آدم...

وبسبب هذه الشهوة، كان بعض الصالحين يُكثر النكاح، حتى لا يكاد يخلو من اثنتين وثلاث.. وكان الجُنَيد يقول: "أحتاج إلى الجماع كما أحتاج إلى القُوت"، ولذلك أمر رسولُ اللّه كلَّ مَن وقع نظرُه على امرأة أن يجامعَ أهلَه. وروى جابرٌ أنّ النبيَّ رأى امرأةً فدخلَ على زينب، فقضى حاجتَه وخرج. وقال ابن عبّاس: "خير هذه الأمّة أكثرهم نساء"، يعني النبي، على ما روى البخاري.

وكذلك حُكي على ابن عمر، وكان من زهّاد الصحابة وعلمائهم، أنّه كان يفطر من الصوم على الجماع قبل الأكل. وربّما أنّه جامع ثلاثا من جواريه في شهر رمضان قبل العشاء الأخيرة.

---

(١٦) إحياء علوم الدين، ٢/ ٢٤-٢٨.

(١٧) ألمرجع نفسه، ٣/ ٩٩.

(١٨) سورة البقرة ٢/ ٢٨٦.

(١٩) سورة النساء ٤/ ٢٨.

(٢٠) سورة الفلق ١١٣/ ٣.

ولمّا كانت الشهـوة أغلب على مزاج العرب، كان استـكثار الصالحين منهم للنكاح أشـدّ. ولأجل فراغ القلب، أُبيـح نكاحُ الأمَة عند خـوف العنت، مع أنّ فيـه إرقاقَ الولد، وهو نوع إهلاك. وهو محرّم على كلّ مَن قدرَ على حرّة. ولكن إرقاقُ الولد أهون من إهلاك الدين..

ثمّ إنّ من الطباع ما تغلبُ عليها الشـهوةُ، بحيث لا تحصّنه المرأةُ الواحدة، فيُستحَبُّ لصاحـبها الزيادة على الواحـدة إلى الأربع.. فقد نكح عليّ، بعـد وفاة فاطمة، بسبع ليال. ويقـال: إنّ الحسن بن عليّ كان منكاحا، حتى نكح زيادة على مائتَي امرأة. وكان ربّما عقد على أربع في وقت واحد. وربما طلّق أربعاً في وقت واحد. وقال عليه الصلاة والسـلام للحسن: "أشبَهْتَ خَلقي وخُلقي". وقال عنه أيضا: "حسنٌ منّي وحُسَين من عليّ". فقـال: إنّ كثرةَ نكاحِـه أحَدُ ما أشـبَهَ به خلقَ رسول اللّه". وتزوّج المغيرة بن شعبة بثمانين امرأة...

الفائدة الثـالثة: ترويح النفس، وإيناسهـا بالمجالسة، والنظر، والملاعـبة، إراحةً للقلب، وتقويةً له على العبادة.. وفي الاستئناس بالنساء من الاستراحة ما يُزيل الكربَ، ويـروّح القلبَ. وينبـغي أن يـكون لنفـوس المتّـقين اسـتـراحـات بالمباحات. ولذلك قال اللّه تعالى: "لِيَسْكُنَ إليها"(٢١).

الفـائدة الرابعـة: تفـريغ القلب عن تدبيـر المنزل، والـتكفّل بشـغل الطبخ والكنس والفرش، وتنـظيف الأواني، وتهيئـة أسباب المعـيشة، فـإنّ الإنسان، لو تكفّل بجميع أشـغال المنزل، لضاع أكثرُ أوقاته، ولم يتفـرّغ للعلم والعمل. فالمرأة المصلحةُ للمنزل عَونٌ على الدين بهذه الطريق... ولذلك قال أبو سليمان الداراني: "ألزوجة الصـالحة ليـست من الدنيا. فـإنّها تفـرّغكَ للآخرة". وإنّمـا تفريغُـها بتدبير المنزل وبقضاء الشهوة جميعاً...

الفائدة الخامسة: مجاهدة النفس، ورياضتها بالرعاية، والولاية، والقيام

---

(٢١) سورة الأعراف ٧/ ١٨٩: "وجعَلَ منها زوجَها ليسكن إليها".

بحقوق الأهل، والصبر على أخلاقهنّ، واحتمال الأذى منهنّ، والسعي في إصلاحهنّ، وإرشادهنّ إلى طريق الدين، والاجتهاد في كسب الحلال لأجلهنّ، والقيام بتربية الأولاد.. فكلّ هذه أعمال عظيمة الفضل. عن هذا قال رسول اللّه : " يومٌ من والٍ عادلٍ أفضلُ من عبادة سبعين سنة "[٢٢].

***

أمّا صاحب " كتاب التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول "، الشيخ منصور علي ناصف، فيوجز الحكمةَ الإلهيّة من النكاح بما يلي:

١. العمران الكوني بالتناسل،

٢. وتكثير الأمّة المحمّديّة،

٣. والأولاد الذين هم زهرة الدنيا وزينتها،

٤. والتعاون بين الأسر بالمصاهرة والتآلف بها،

٥. والتحافظ من الفسق والآفات،

٦. والعون على طاعة اللّه،

٧. واكتساب الأجر الدائم بالأولاد،

٨. وسعة الأرزاق،

٩. والابتلاء بالأخلاق،

١٠. ومزيد الأجر بالصبر على ذلك،

١١. والائتناس والتحابّ والتآلف،

١٢. والتمتّع بلذّة النكاح بين الزوجين[٢٣].

---

(٢٢) إحياء علوم الدين، ٢/ ٢٤-٣٣.

(٢٣) كتاب التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول، ٢/ ٢٧٧، كتاب النكاح.

رابعاً – آفات النكاح

في شهوة الوقاع "من الآفات ما يُهلك الدين والدنيا، إنْ لم تُضبَطْ، ولم تُقهَرْ، ولم تُرَدْ إلى حدّ الاعتدال. وقد قيل في قوله تعالى: "ربَّنَا! ولا تحمِّلْنا ما لا طاقةَ لنا به"، أي: شدّة الغلمة"[٢٤]. وأمّا آفات النكاح، بحسب الغزالي، فثلاث:

الآفة الأولى: وهي أقواها: ألعجز عن طلب الحلال. فإنّ ذلك لا يتيسّر لكلّ أحد، لا سيّما في هذه الأوقات، مع اضطراب المعايش؛ فيكون النكاح سبباً في التوسّع للطلب والإطعام من الحرام. وفيه هلاكه، وهلاك أهله. والمتعزّبُ في أمنٍ من ذلك. وأمّا المتزوّجُ ففي الأكثر يدخل في مداخل السوء، فيتبع هوى زوجتِه، ويبيع آخرتَه بدنياه...

وعن النبيّ حديث جاء فيه قوله: "إنّ العبدَ لَيوقَفُ عند الميزان، وله من الحسنات أمثالُ الجبال. ويُسألُ عن رعاية عائلته، والقيام بهم، وعن ماله من أين اكتسبَه، وفيمَ أنفقه.. إلخ".

ويُقال أيضا: إنّ أوّلَ ما يتعلّق بالرجل في القيامة أهلُه ووُلدُه، فيوقفونَه بين يدَي اللّه تعالى، ويقولون: يا ربّنَا! خذْ لنا بحقّنا منه. فإنّه ما علّمَنا ما نجهَلُ. وكان يُطعمُنا الحرام. ونحن لا نعلم. فيَقتَصُّ لهم منه. وقال عليه الصلاة والسلام: "لا يلقى اللّهَ أحدٌ بذنبٍ أعظم من جهالة أهله.

فهذه آفةٌ عامّةٌ، قلّ مَن يتخلّص منها إلاّ مَن له مالٌ موروث، أو مكتسَبٌ من حلال.. أو مَن هو محترفٌ ومقتدر على كسب حلال من المباحات.. أو كان في صناعة لا تتعلّق بالسلاطين...

الآفة الثانية: ألقصور عن القيام بحقهنّ، والصبر على أخلاقهنّ، واحتمال الأذى منهنّ.. وقد قال عليه الصلاة والسلام: "كفى بالمرء إثماً أنْ يُضيعَ مَن

---

(٢٤) ألغزالي، إحياء علوم الدين، ٣/ ٩٩–١٠٠.

يَعولُ"، وفي رواية "مَن يقوت". وقال تعالى أيضا: "قُوا أنفسَكم وأهليكم ناراً"[٢٥]، أمرَنا أن نقيهم النار كما نقي أنفسَنا.

والإنسانُ قد يعجزُ عن القيام بحقّ نفسه. وإذا تزوّج تضاعف عليه الحقُّ، وانضافتْ إلى نفسه نفسٌ أخرى. والنفسُ أمّارةٌ بالسوء. إن كثرتْ عليها الحقوقُ كثر الأمرُ بالسوء غالباً. ولذلك اعتذر بعضُهم من التزويج، وقال: أنا مبتلى بنفسي. وكيف أُضيفُ إليها نفساً أخرى! واعتذر بشرٌ وقال: يمنعني من النكاح قولُه تعالى "ولهنّ مثل الذي عليهنّ"[٢٦]، وكان يقول: لو كنتُ أعولُ دجاجةً لخفتُ أن أصيرَ جلاّداً على الجسر.

وهذه آفة لا يسلم منها إلاّ حكيم عاقل، حَسَنُ الأخلاق، بصيرٌ بعادات النساء، صبورٌ على لسانهنّ، وقاف عن اتّباع شهواتهنّ، حريصٌ على الوفاء بحقّهنّ، يتغافل عن زللهنّ، ويداري بعقله أخلاقهنّ. والأغلبُ على الناس السفهُ، والفظاظة، والحدّة، والطيش، وسوء الخلق، وعدم الإنصاف. وهذا يزداد بالنكاح فساداً من هذا الوجه لا محالة. فالوحدة أسلم له.

الآفة الثالثة: أن يكون الأهلُ والولد شاغلا له عن اللّه تعالى، وجاذبا له إلى طلب الدنيا، وحسن تدبير المعيشة للأولاد، بكثرة جمعِ المال، وادّخارِه لهم، وطلب التفاخر والتكاثر بهم. وكلُّ ما شغلَ عن اللّه من أهلٍ ومالٍ وولدٍ فهو مشؤوم على صاحبه.. إذ يدعو إلى الإغراق في ملاعبة النساء، ومؤانستهنّ، والإمعان في التمتّع بهنّ.. ولذلك قال إبراهيم بن أدهم: "مَن تعوّدَ أفخاذَ النساء لم يجئ منه شيء"[٢٧].

---

(٢٥) سورة التحريم ٦٦/٦.

(٢٦) سورة البقرة ٢/٢٢٨.

(٢٧) إحياء علوم الدين، ٢/٣٣-٣٤.

خامساً – موانع النكاح

يعدّدُ الغزالي من الموانع المحرّمة للنكاح تسعة عشر. نختصرُها:

١. أن تكون المرأةُ منكوحةً للغير.

٢. أن تكون معتدّة للغير، أكانت عدّة وفاة، أو طلاق، أو وطء، أو استبراء.

٣. أن تكون مرتدّة عن الدين.

٤. أن تكون مجوسيّة.

٥. أن تكون وثنيّة أو زنديقة، لا تُنسب إلى نبيّ وكتاب.

٦. أن تكون كتابيّة قد دانت بدينهم بعد التبديل، أو بعد مبعث رسول اللّه.

٧. أن تكون رقيقةً، والناكحُ حرّا قادراً على طول الحرّة.

٨. أن تكون كلّها أو بعضها مملوكا للناكح ملك يمين.

٩. أن تكون قريبة للزوج بأن تكون من أصوله أو فصوله..

١٠. أن تكون محرّمة بالرضاع.

١١. المحرّم بالمصاهرة، وهو أن يكون الناكح قد نكح ابنتَها أو جَدَّتَها..

١٢. أن تكون المنكوحة خامسةً .

١٣. أن يكون تحت الناكح إختُها أو عمّتُها أو خالتُها.

١٤. أن يكون الناكح قد طلّقها ثلاثاً. فهي لا تحلُّ له ما لم يطأها غيرُه.

١٥. أن يكون الناكح قد لاعنَها.

١٦. أن تكون محرّمةً بحجٍّ أو عمرة؛ أو كان الزوجُ كذلك.

١٧. أن تكون ثيّباً، صغيرةً، فلا يصحُّ نكاحُها إلاّ بعد البلوغ.

١٨. أن تكون يتيمةً، فلا يصحُّ نكاحُها إلاّ بعد البلوغ.

١٩. أن تكون من أزواج رسول اللّه.. وذلك لا يوجد في زماننا.

سادساً – النكاح الناجح

يعدّد الغزالي ثماني خصال في المرأة، تطيّب عيش الرجل، وتجعل النكاح ناجحاً:

الأولى: أن تكون صالحة ذات دِين. وإذا كانت مع فساد الدين جميلة، كان بلاؤها أشدّ، إذ يشقّ على الزوج مفارقتها، فلا يصبر عنها، ولا يصبر عليها. ويكون كالذي جاء رسولَ الله، وقال: "يا رسولَ الله! إنّ لي امرأة لا تَردُّ يدَ لامسٍ. قال: طلِّقْها. فقال: إنّي أحبّها. قال: أمسكْها.. وإنما أمرَه بإمساكها خوفاً عليه، بأنّه إذا طلّقها فسُد هو معها أيضا.. وإن سكتَ عنها كان شريكا في المعصية.. وإن أنكرَ وخاصَمَها تنغّصَ العمرَ.. ولهذا بالغ رسول الله في التحريض على ذات الدِّين، فقال: "تُنكح المرأة لمالها وجمالها وحسَبها ودِينها. فعليك بذات الدين". وفي حديث آخر: "من نكح المرأةَ لمالها وجمالها، حُرم جمالها ومالها. ومَن نكحها لدِينها، رزقه اللّهُ مالَها وجمالها".

الثانية: حُسْنُ الخُلق. فإذا كانت سليطة بذيئة اللسان، سيّئةَ الخلق، كافرةً للنعم، كان الضررُ منها أكثرَ من النفع. والصبرُ على لسان النساء ممّا يُمتحن به الأولياء..

الثالثة: حُسْنُ الوجه. فذلك مطلوب. إذ به يحصل التحصّنُ. والجمال وحدَه، في غالب الأحيان، يرغّب في النكاح، ويهوّن أمرَ الدِين. والإلفة والمودّة تحصل به غالبا. وقال عليه الصلاة والسلام: "خير نسائكم مَن إذا نظر إليها زوجُها سرّتْه، وإذا أمرَها أطاعتْه، وإذا غاب عنها حفظتْه في نفسها ومالها".

الرابعة: أن تكون خفيفةَ المهر. قال رسول الله: "خير النساء أحسنهنّ وجوها، وأرخصهنّ مهوراً". وقد نهى عن المغالاة في المهر. ولا ينبغي أن ينكح الرجلُ طمعاً في المال... كلّ ذلك مكروه وبدعة في النكاح، يُشبه التجارة والقمار، ويُفسد مقاصدَ النكاح.

ألخامسة: أن تكون المرأة ولوداً. فإنْ عرفتْ بالعقـر فليمتنعْ عن تزوّجِها. قـال عليه الصــلاة والسـلام: "عليكم بالولود الودود". وفي رواية: "تزوّجـوا الودودَ الولود".

ألسادسة: أن تكون بكْراً. قال عليـه السلامُ لجابر، وقد نكح ثيّـباً: "هلاّ بكراً تلاعبُها وتلاعبك!". وفي البكارة ثلاث فوائد:

١. أن تحبَّ الزوجَ وتألفَه. والطباعُ مجبولة على الأنس بأوّل مألوف.

٢. إنّ ذلك أكمل في مودّته لها. فإنّ الطبعَ ينفرُ عن التي مسّها غيرُ الزوج.

٣. إنها لا تحنّ إلى الزوج الأوّل. وآكدُ الحبِّ ما يقعُ مع الحبيب الأوّل.

ألسابعة: أن تكون نسـيبـة، أي من أهل بيت الدِّين والصــلاح. فـإنّهـا ستربّي بناتها وبنيها على ذلك. ولذلك قال عليه السلام: "إيّاكم وخضراء الدمن. فقيل: ما خضراء الدمن؟ قال: ألمرأة الحسناء في المنبت السوء".

ألثامنة: أن لا تكون من القرابة القريبة. فإنّ ذلك يقلّل الشهوة. قال صلّى اللّه عليه وسلّم: "لا تنكحوا القرابة القريبة، فإنّ الولد يخلق ضاويا"، أي نحيفا، وذلك لتأثيـره في تضعيف الشـهوة. فإنّ الشهـوة إنما تنبعث بقوّة الإحـسـاس بالنظر واللمس، وإنما يقوى الإحساس بالأمر الغـريب الجديد. فأمّا المعهود الذي دام النظرُ اليـه مـدّة، فـإنّه يضـعف الحسّ عـن تمام إدراكـه. ولا تنبــعث به الشهوة[٢٨].

(٢٨) إحياء علوم الدين، ٢/٣٦-٤١.

سابعاً - ما على الزوج

على الزوح "مراعاة الاعتدال والأدب في اثني عشر أمراً:

١. الوليمة. وهي مستحبّة. قال رسول اللّه: "أولِمْ ولو بشاة".

٢. حسن الخلق معهنّ، واحتمال الأذى منهنّ، ترحماً عليهنّ لقصور عقلهنّ. قال اللّه تعالى: "وعاشروهنّ بالمعروف"[٢٩]. وقال عليه الصلاة والسلام: "مَن صبر على سوء خلق امرأته أعطاه اللّهُ من الأجر مثل ما أعطى أيوب على بلائه". وقال أنَس: "كان رسولُ اللّه أرحمَ الناس بالنساء والصبيان".

٣. أن يزيد على احتمال الأذى بالمداعبة والمزح والملاعبة. فهي التي تطيّب قلوبَ النساء. وقد كان رسول اللّه يمزح معهنّ وينزل إلى درجات عقولهنّ.

٤. أن لا يتبسّط في الدعابة وحسن الخلق والموافقة باتّباع هواها، إلى حدّ يفسد خلقها، ويسقط بالكليّة هيبتَه عندها. بل يراعي الاعتدال فيه. قد قال عليه السلام: "تعسٌ عبدُ الزوجة"، أي مَن أطاع زوجتَه في هواها فهو عبدها، وقد تعس، فإنّ اللّهَ ملّكه المرأةَ فملّكَها نفسَه. وحقّ الرجل أن يكون متبوعاً لا تابعاً. وقد سمّى اللّهُ الرجالَ قوّامين على النساء..

٥. الاعتدال في الغيرة، فقد نهى رسولُ اللّه أن تتبع عورات النساء. وقال: ألمرأة كالضلع، إن قوّمته كسرته، فدعْه تستمتع به على عوج"..

٦. الاعتدال في النفقة. فلا ينبغي أن يقتّر عليهنّ في الإنفاق، ولا ينبغي أن يسرف. بل يقتصد. قال تعالى: "كلوا واشربوا. ولا تُسرفوا"[٣٠]. وقال

---

(٢٩) سورة النساء ٤/ ١٩.

(٣٠) سورة الأعراف ٧/ ٣١.

أيضـا: "ولا تجعل يدَك مـغلولة إلى عنقك، ولا تبـسطها كلّ البـسط"(٣١). وقال رسول اللّه: "خيرِكم خيركم لأهله".

٧. أن يتـعلّم المتزوّج من علم الحـيض وأحكامه مـا يحتـرزُ به الاحـترازَ الواجب. ويعلّم زوجتَه أحكام الصلاة وأحكام الحيض والاستحاضة وما تحتاج إليه. وعلمُ الاستحاضة يطول..

٨. إذا كان له نسوة فـينبغي أن يعدل بينهنّ، ولا يميل إلى بعـضـهنّ. فإن خرج إلى سفـر، وأراد استصحـاب واحدة أقرع بينهنّ. كذلك كـان يفعل رسول اللّه.. إنّما علـيه العدل في العطاء والمبـيت. وأمّا في الحبّ والوقـاع فذلك لا يدخل تحت الاختيـار. كان رسول اللّه يقول: "أللّهمّ! هذا جهـدي في ما أملك، ولا طاقةَ لي في ما تملك ولا أملك"، يعني الحبّ.

٩. في النشـوز. مهمـا وقع بينهـما خصـام ولم يلتـئم أمرُهمـا. إذا كان النشـوز من المرأة فللرجل أن يؤدّبهـا، ويحملهـا على الطاعة قـهرا، لأنّ الرجـال قـوّامون على النـساء. ولكن ينبـغي أن يتـدرّج في تأديبـها. وهو: أن يُقـدّم أوّلا الوعظ، والتحذير، والتـخويف. فإن لم ينجح ولاّها ظهرَه في التـضـجع، أو انفرد عنهـا بالفراش، وهجَـرَها وهو في البيت مـعهـا من ليلة إلى ثلاث ليال. فـإن لم ينجح ذلك ضَرَبَهَا ضرْباً غيرَ مبـرح، بحيث يؤلمها ولا يكسر لها عظما، ولا يدمى لها جسم، ولا يضرب وجهَها.

١٠. في آداب الجماع. ويُستحـبّ أن يبدأ باسم اللّه تعالى. ثم ينحرف عن القـبلة. ولا يستـقبل القـبلة بالوقـاع إكرامـا للقبلة. وليـغطّ رأسَه وأهلَه بثـوب. ويغضّ صوتَه. ولا يتجـرّد تجرّدَ العيرين. وليقدّم التلطف بالكلام والتـقبيل. ثمّ إذا قضى وطرَه فليـتمهّل على أهله حـتى تقضي هي أيضا نهـمتَهـا.. وينبغي أن يأتيها في كلّ أربع ليال مرّة، فهو أعدل.. ولا يأتيها في المحيض..

---

(٣١) سورة الإسراء ١٧/ ٢٩.

وأن لا يعزل. ولا يسرح إلاّ إلى محلّ الحرث وهو الرحم.. والعزل عندنا مباح.. وليس هو كالإجهاض والوأد، لأنّ بهذين جناية على موجود حاصل.. فيما العزل مكروه، لا بسبب أنّه دفعٌ لوجود الولد، بل لأجل النيّة الباعثة عليه، إذ لا يبعث عليه إلاّ نيّةٌ فاسدة.

والنيّات الباعثة على العزل خمس:

١. حفظ المِلْك عن الهلاك.

٢. استبقاء جمال المرأة وسمنها لدوام التمتّع بها.

٣. الخوف من كثرة الحرج بسبب كثرة الأولاد. والاحتراز من الحاجة إلى التعب في الكسب ودخول مداخل السوء.

٤. الخوف من الأولاد الإناث لما يعتقد في تزويجهنّ من المعرّة كما كانت من عادة العرب في قتلهم الإناث.

٥. أن تمتنع المرأة لتعزّزها ومبالغتها في النظافة، والتحرّز من الطلْق والنفاس والرضاع.

١١. في أداب الولادة، وهي خمسة:

١. أن لا يُكثر فرحه بالذكر وحزنه بالأنثى.

٢. أن يؤذّن في أذن الولد. والختان في اليوم السابع.

٣. أن تسميّه إسما حسناً. فذلك من حقّ الولد. والسِقْطُ ينبغي أن يُسمّى. قال الرسول: "إنّكم تُدْعَون يومَ القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم. فأحسِنوا أسماءكم" . ومَن كان إسمه يُكرَه، يُستحبُّ تبديلُه.

٤. العقيقة عن الذكَر بشاتَين، وعن الأنثى بشاة.

٥. أن يحنّكه بتمرة، أو حلاوة.

١٢. في الطلاق. وليُعلم أنّه مباح. ولكنّه أبغض المباحات إلى اللّه تعالى. وإنما يكون مباحا إذا لم يكن فيه إيذاء بالباطل. ولا يباح إيذاء الغير إلاّ بجناية من

جانبها، أو بضرورة من جانبه... وليراع الزوج في الطلاق أربعة أمور:

١. أن يطلّقها في طهرٍ لم يجامعها فيه. فإنّ الطلاق في الحيض أو الطهر الذي جامع فيه يُدعى حرام، لما فيه من تطويل العدّة عليها.

٢. أن يقتصر على طلقة واحدة، فلا يجمع بين الثلاث..

٣. أن يتلطّف في التعلّل بتطليقها من غير تعنيف واستخفاف، وتطييب قلبها بهديّة على سبيل الإمتاع. "متاع قليل من حبيب مفارق".

٤. أن لا يُفشي سرَّها، لا في الطلاق ولا عند النكاح.

ثامناً – ما على الزوجة

"إنّ النكاح نوعُ رِقٍّ. فهي رقيقة له. فعليها طاعة الزوج مطلقاً في كلّ ما طلب منها في نفسها مما لا معصية فيه. وقد ورد في تعظيم حقّ الزوج عليها أخبار كثيرة. قال صلّى اللّه عليه وسلّم: "أيما امرأة ماتت وزوجُها عنها راضٍ، دخلت الجنّة".

قال رسول اللّه: "ومن حقّ الزوج على الزوجة، إذا أرادها فراودَها عن نفسها وهي على ظهر بعير، لا تمنعه". ومن حقّه أن لا تُعطي شيئا من بيته إلاّ بإذنه، فإن فعلتْ ذلك كان الوزرُ عليها والأجرُ له. ومن حقّه أن لا تصوم تطوّعاً إلاّ بإذنه، فإن فعلت جاعت وعطشت ولم يتقبّل منها. وإن خرجت من بيتها بغير إذنه لعنتها الملائكة حتى ترجع إلى بيته أو تتوب.

وقال أيضا: "أقربُ ما تكون المرأة من وجه ربِّها إذا كانت في قعر بيتها. وإنّ صلاتها في صحن دارها أفضل من صلاتها في المسجد. وصلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في صحن دارها. وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها". والمخدع: بيت في بيت. وذلك للستر. ولذلك قال عليه السلام: "المرأة

عورة، فإذا خـرجت استشرفهــا الشيطان" . وقال أيضـا: "للمرأة عـشر عورات. فإذا تزوّجت ستر الزوجُ عورةً واحدةً. فإذا ماتت ستر القبرُ العشر عورات" .

وقال صلّى اللّه عليه وسلّم: "لو أمرتُ أحدا أن يسجد لأحد، لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقّه عليها" .

وبالنتيجة، أنّ حـقوق الزوج على الزوجة كثيرة. وأهمّهـا أمران: أحدهما: الصيانة والستر. والآخر: ترك المطالبة بما وراء الحاجة.

***

والقول الجامع في آداب المرأة

أن تكون قاعدة في قعر بيتها، لازمة لمغزلها. لا يكثر صعودها واطّلاعها.

لا تخرج من بيتها إلاّ بإذنه. فإن خرجتْ بإذنه فمختفية في هيئة رثّة.

تطلبُ المواضع الخالية دون الشوارع والأسواق.

تحترز من أن يسمع غريب صوتها، أو يعرفها بشخصها.

لا تتعرّف إلى صديق بعلها في حاجاتها،

بل تتنكّر على من تظنّ أنّه يعرفها أو تعرفه.

وإذا استأذن صديق لبعلها على الباب، ولـيس البعلُ حاضراً، لم تستفهم، ولم تعاوده في الكلام، غيرةً على نفسها وبعلها.

وتكون قانعة من زوجها بما رزق اللّه.

وتقدّم حقّه على حقّ نفسها وحقّ سائر أقاربها.

متنظّفة في نفسها، مستعدّة في الأحوال كلّها للتمتّع بها إن شاء.

مشـفقـة على أولادها، حافظة لـلستر علـيهم، قصـيرة اللسـان عن سبّ الأولاد، ومراجعة الزوج.

لا تتفاخر على الزوج بجمالها، ولا تزدري زوجها لقبحه.

تلازم الصلاح والانقباض في غيبة زوجها،

والرجوع الى اللعب والانبساط وأسباب اللّذة في حضور زوجها.

وأن تقوم بكل خدمة في الدار تقدر عليها.

همّها صلاح شأنها، وتدبير بيتها،

مقبلة على صلاتها وصيامها.

قليلة الكلام لجيرانها. لا تدخل عليهم إلا في حال يوجب الدخول.

تحفظ بعلَها في غَيبته.

تطلب مسرّتَه في جميع أمورها.

لا تخونه في نفسها وماله.

وإذا مات عنها زوجها، عليها أن لا تحدّ عليه أكثر من أربعة أشهر وعشر،

وتتجنّب الطيب والزينة في هذه المدّة.

ويلزمها لزومَ مسكن النكاح إلى آخر العدّة.

وليس لها الانتقال إلى أهلها، ولا الخروج إلاّ لضرورة[٣٢].

---

(٣٢) إحياء علوم الدين، ٢/ ٢١-٦٠.

تاسعاً – بين العزوبة والنكاح

ليست المرأة، في رأي رسول اللّه، دائماً مدعاةَ راحةٍ وسعادة. فهي قد تكون شاغلاً للرجل عن اللّه، وجاذباً له إلى طلب الدنيا.

قال: "خير الناس، ألخفيف الحاذّ، الذي لا أهل له ولا ولد"(٣٣).

وقال: "يأتي على الناس زمانٌ يكون هلاك الرجل على يد زوجته وأبوَيه وولده. يعيّرونه بالفقر، ويكلّفونه ما لا يطيق، فيدخل المَداخلَ التي يذهب فيها دينُه، فيهلك"(٣٤).

وفي الخبر "قلّة العيال أحدُ اليسارين، وكثرتهم أحد الفقرين"(٣٥).

وسئل أبو سليمان الداراني عن النساء فقال: "ألصبر عنهنّ خيرٌ من الصبر عليهنّ. والصبر عليهنّ خيرٌ من الصبر على النار".

وقال أيضا: "ألوحيد يجد من حلاوة العمل وفراغ القلب ما لا يجد المتأهّل".

وقال مرّة: "ما رأيتُ أحداً من أصحابنا (الصوفيّين) تزوّج فثبت على مرتبته الأولى".

وقال الحسن: "إذا أراد اللّه بعبدٍ خيراً لم يُشغلْه بأهلٍ ولا مال".

ثمّ إنّ المرأة لا يمكن الركون إليها. فهي لا تستطيع أن تتسلّم، لا السلطة، ولا القضاء:

قال: "لا أفلح قومٌ حكمتْهم امرأة". وفي رواية: "لم يفلح قوم ولّوا أمرَهم امرأة"(٣٦).

---

(٣٣) أخرجه أبو يعلى من حديث حُذيفة، ورواه الخطابي في العزلة.

(٣٤) أخرجه الخطابي في العزلة من حديث ابن مسعود. ولأبي هريرة مثله. وكذلك للبيهقي.

(٣٥) أخرجه القضاعي من حديث علي وأبي منصور الديلمي من حديث عبداللّه بن عمر.

(٣٦) صحيح البخاري، عن أبي بكرة عن رسول اللّه.

وقـال: "إذا كان أمـراؤكم شـرارَكم، وأغنياؤكم بـخلاءكم، وأمـرُكم إلى نسائكم، فبطن الأرض خير لكم من ظهرها".

المرأة قد تفسد صلاة المؤمن، إذا مـا مرّت بينه وبين القبلة. عن رسول اللّه قال: "ألـكلب والحمـار والمرأة تقطع الصلاة إذا مـرّت أمام المؤمن، فـاصلةً بينه وبين القبلة"(٣٧).

وقد يكون كفرُ النساء لا مـثيل له، إلى حدّ أنّ جهنّما مملوءة منهنّ، وأنّهنّ يُكفرنَ رجالَهنَّ، ويُسِئْنَ، حتى إلى مَن صنعَ معهنّ خيراً: عن ابن عبّاس قال: قال النبيّ: أُرِيْتُ النارَ، فإذا أكثرُ أهلها النساءُ، يَـكفُرْنَ. قيل: أيَكفرنَ باللّه! قال: يُكفرنَ العشـيرَ، ويُكفرنَ الإحسـان. لو أحسنتَ إلى إحداهنّ الدهرَ، ثمّ رأتْ منكَ شـيئاً، قالت: ما رأيتُ منكَ خيراً قطّ"(٣٨).

ولا يستطيع الرجلُ أن يتسامحَ مع المرأة، أو أن يتـبسّطَ في دعابتها، أو أن يركنَ إليها، أو أن يطيعها في شيء.

قال رسول الـلّه: "تعس عبدُ الزوجة". يعني: إذا أطاع الرجلُ زوجـتَه في هواها فهو عبدُها.

وقال عليّ: "المرأة شرٌّ كلُّها. وشرٌّ ما فيها أنّه لا بدّ منها".

وقال الحسن: "واللّهِ ما أصبحَ رجلٌ يطيعُ امرأتَه في ما تهوى إلاّ كبَّهُ اللّهُ في النار".

وقال عمر: "خالفوا النساء. فإنّ في خلافهنّ البركة".

وقيل أيضـا عن المرأة: "إنْ أرسلتَ عنانَهـا قليلاً، جمـحتْ بكَ طويلاً. وإنْ أرخيتَ عذارَها فِتْراً، جذبتْكَ ذراعاً. أمّا إذا كبـحتَها، وشددتَ يدَكَ عليها في محلّ الشدّة، ملَكْتَهَا".

---

(٣٧) أنظر صحيح البخاري.

(٣٨) صحيح البخاري، باب الإيمان ١/ ١٤.

وقيل: "شاوروهنّ وخالفوهنّ".

وقال الشافعي: "ثلاثة إنْ أكرمتَهم أهانوك، وإنْ أهنتَهم أكرموك: المرأة، والخادم، والنبطيّ".

ولم يكن كَيْدُ النساء مع يوسف الصديق، في سورة يوسف، إلاّ نموذجاً لكيدهنّ جميعا، في جميع العصور والدهور: "إنّ كَيْدَكُنَّ عَظيمٌ"(٣٩).

ودعا يوسفُ ربَّه: "ربِّ! ألسجنُ أحبُّ إليَّ ممّا يدعونني إليه. وإلاّ (إذا لم) تَصرِفْ عنّي كَيْدَهُنَّ، أَصْبُ (أي أمِل) إليهنّ. وأكُنْ من الجاهلين (أي المذنبين).

"فاستجابَ لهُ ربُّهُ: فصرفَ عنهُ كيدَهنَّ. إنّه هو السميع العليم"(٤٠).

وفي ذلك، كان رسولُ اللّه يقول: "ما تركتُ بعدي فتنةً أضرُّ على الرجال من النساء".

ويقول أيضا: "ما أخاف على فتنة أخوف عليها من النساء والخمر".

ويقول: "إنْ كان الشؤم في شيء ففي ثلاث: المرأة، والدار، والفرس"(٤١).

ويقول: "إتّقوا فتنةَ الدنيا وفتنةَ النساء. فإنّ أوّلَ فتنة بني إسرائيل كانت من قِبَل النساء"(٤٢).

وكان سعيد بن المسيب، -وهو ابن أربع وثمانين سنة، وقد ذهبتْ إحدى عينَيه، وهو يعشو بالأخرى-: ما شيء أخوف عندي من النساء"(٤٣).

ولذلك قيل أيضا: "إنّ كَيْدَهنَّ عظيم. وشرَّهنّ فاشٍ. والغالب عليهنّ سوء الخلق وركاكة العقل".

---

(٣٩) سورة يوسف ١٢/٢٨.

(٤٠) سورة يوسف ١٢/٣٣-٣٤.

(٤١) عن تفسير الجلالين على سورة يوسف ١٢/٣٣.

(٤٢) إحياء علوم الدين، ٣/١٠٢.

(٤٣) إحياء علوم الدين، ٣/١٠٢.

وفي وصيّة لقمان لابنه: "يا بُنَيّ! اتّقِ المرأة السوء. فإنّها تشيبك قبل الشيب. واتّقِ شرارَ النساء. فإنّهنّ لا يدعون إلى خير. وكن من خيارهنّ على حذر" وفي وصيّة سعيد بن جبير لابنه أيضا: "يا بُنَيّ! إمشِ خلف الأسد والأسود، ولا تمشِ خلف المرأة".

وقال عليه السلام في المرأة السوء: "إنْ دخلتَ عليها سبّتك. وإنْ غِبْتَ عنها خانَتْكَ".

وقال في خيرات النساء: "إنّكنّ صواحبات يوسف"، أي كيدهنّ بالرجال عظيم.

وزَبَرَ عمر امرأتَه لمّا راجعتْه، فقال: "ما أنتِ إلاّ لعبة في جانب البيت، إن كانت لنا إليك حاجة؛ وإلاّ جلستِ كما أنتِ"[٤٤].

بسبب ذلك، فإنّ الزهد والتبتّل، عند بعض المريدين من المسلمين، هما أولى من النكاح، لمن استطاع ذلك. فقد كتبَ محمّد بن سليمان الهاشمي: "أمّا بعد، فإنّ الزهدَ في الدنيا راحة القلب والبدن؛ والرغبة فيها تورثُ الهمّ والحزن".

"هذه إشارة، في رأي الغزالي، إلى أنّ كلّ ما يُشغل عن الله تعالى فهو نقصان. فلينظر المريدُ إلى حاله وقلبه، فإنْ وجدَه في العزوبة فهو الأقرب، وإنْ عجز عن ذلك فالنكاح أولى به. ودواء هذه العلّة ثلاثة أمور: ألجوع، وغضّ البصر، والاشتغال بشغل يستولي على القلب. فإنْ لم تنفعْ هذه الثلاثة، فالنكاح هو الذي يستأصل مادّتها فقط"[٤٥].

---

(٤٤) أنظر إحياء علوم الدين في أمكنة متفرّقة من كتاب "آداب النكاح".

(٤٥) إحياء علوم الدين، ٣/١٠٣-١٠٤.

الفصل التاسع

رسول الله وآداب الجماع

أوّلاً – لا حياء في ما هو طبيعيّ

" الجمـاع " ، من حيث هو مـضاجـعة ومـواقعة، أي العـمل الزوجي، هو موضوع النكاح الأساسي. وعليه، لم يبـخل رسولُ اللّه علينا، ولا الصحابة، ولا أمّهات المؤمنين، بأحـاديث عديدة وجريئة عن هذا الموضوع الأسـاسي، في حياة رسول اللّه وتعـاليمـه. وليس لحديث لم يتقصَّ مـخبرُه الروايـات المسنَدَة حتى آخرها، لما في ذلك من جرأة في إظهار مكامن الضعف البشري عند نبيّ اللّه. وقد يسعنا القول بأنّ أحدا من المحدِّثين خجل ممّا كتب، أو خامره الحياء.

هذه الجرأة بيّنها كاتبٌ مسلمٌ معاصر، الدكتور الشيخ محمّد جلال كشك، إسـتاذ في كليّـة الأزهر للعلوم الإسـلاميّـة، الذي قال: " أمّـا نحن فـحضـارتُنا (الإسلاميّة) لم تعرفِ الخجـل من الجنسِ أبدا. وقد كانت النساء تشكيْنَ لرسول اللّه ما أخـجلُ أنا من شرحه، رغـم كلِّ التحرّر الذي أحـرزْناه عبر قـرون المدنيّة والتقدّم "[1]

(١) محمد جلال كشك، ألحريّة في الأسرة المسلمة، ص ١٦.

ولكن، قبل جلال كشك، كان رسـولُ اللّه يقول بأنْ لا حياء في العلم. وقد تصرّف مع النساء على هذه القاعدة: "أمّ كثير الأنصارية قالت: دخلتُ أنا وأختي على النبيّ. فـقلتُ له: إنّ أختـي تريدُ أن تسـألَكَ عن شيء، وهي تسـتحي. قـال: فلتَسْأَلْ. فإنَّ طلبَ العلمِ فريضة. فـقالت له أختي: إنّ لي ابنًا يلعبُ بالحمام. قال: أما أنّه لعبة المنافقين"[٢].

وجاء في تفسير رسول اللّه لآية من آيات القرآن بأنّ اتّباع الميول الجنسيّة وإشباعها إنمّا هما أمران طبيعيّان، يأمر بهما اللّه تعالى: فعن ابن عبّاس في قوله تعالى: "وَمِنْ شَـرِّ غاسِقٍ إذَا وَقَب"[٣]، قال: هو قـيام الذَّكَر. وقـال الرسولُ في تفسيره: ألذَّكرُ إذا دخل. وقد قيل: إذا قام ذكَرُ الرجل ذهب ثلثا عقله"[٤].

لقد كـان رسول اللّه صريحـا في تفاسيره وإحـاديثه المتكرّرة، كمـا كان جريئا في تصرّفـاته وسيرة حياته وخبرته. فـالجماع في النكاح، إنْ لم تتوضّح معالمه، قد يُذهب بعقل الإنسان وبدينه معا. وقد يكون من العجز في الرجل إنْ لم يعتنِ اعتناءًا كبيرًا بقوّته الجنسيّة هذه، وإنْ لم يمارس حاجتَه في الجماع بحكمة وفطنة. وفي ذلك قال الرسول: "من العجز في الرجل: أن يقاربَ الرجلُ جاريتَه، أو زوجتَه، فـيُصيبُها قـبْلَ أنْ يُحَدِّثَها، ويؤانسَها. ويضاجـعُها، فيقضي حـاجتَه منها قبْلَ أنْ تقضي حاجتَها منه"[٥].

ويخبرنا ابن سعد عن تصرّفات رسـول اللّه في جماعه، قال: "كان النبيُّ، إذا اجتلى النسـاء، أقعى وقبّلَ". يفسّـرُ صاحبُ كتاب التاج هذا الـقول: "اجتلى

---

(٢) الإصابة، رقم ١٤٦٤، ٤/٤٨٧. أنظر فصـلا سابقا، في هذا البحث، بعنوان: حـياء رسول اللّه.

(٣) سورج الفلق، ١١٣/٣.

(٤) ألغزالي، إحياء علوم الدين، ٣/٩٩-١٠٠.

(٥) عن رواية أبي منصور الديلمي، في إحياء علوم الدين، للـغزالي، ٢/٥٠؛ أنظر أيضا كتاب "الحبّ في القرآن، حيث: قال رسولُ اللّه: إذا جامع أحـدُكم أهلَه، فليصدقها. ثمّ إذا قضى حاجتَه قبل أن تقضي حاجتَها، فلا يعجلها حتى تقضي حاجتها"، ص ٤٥.

النساء، أي كشفهنّ لإرادة الجماع. أقعى، أي جلس على أليبه وقبّلهنّ. فمعانقة الزوجة وتقبيلها والقبض على نهودها ونحو ذلك، كلُّه مطلوبٌ ومرغوبٌ لدوام المحبّة التي عليها نظامُ الزوجيّة "(٦).

فملاعبة الزوجة ومداعبتُها وتقبيلها من مستلزمات الجماع، على ما قرّر رسولُ اللّه. قال: "لا يقعنَّ أحدُكم على امرأتِه كما تقعُ البهيمة. وليكنْ بينهما رسولٌ. قيل: وما الرسولُ، يا رسولَ اللّه؟ قال: ألقبلة والكلام "(٧). ومثل هذا، نُقل عن جابر، قال: "نهى رسولُ اللّه عن المواقعة قبل الملاعبة "(٨).

ويعلّق الشيخ جلال كشك على كلام الشيخ عبداللّه بن قيّم الجوزيّة، بأنّ "ما ينبغي تقديمُه على الجماع ملاعبة المرأة وتقبيلها ومصّ لسانها"، فيقول: "كان على أوروبّا أن تكتشفَ علمَ النفسِ، وأن تملأ مستشفياتها العصبيّة بالبؤساء من الجنسَين، قبلَ أن تعرفَ ما عرفَه شيخُنا منذ سبعمائة عام "(٩). مع أنّ هذا الكلام هو لرسول اللّه نفسه، قبل كلام الشيخ ابن قيّم الجوزيّة بسبعمائة سنة أيضا.

ويقارن الدكتور محمود بن الشريف بين تعاليم الإسلام في الجنسيّات وتعاليم الفلسفة التناسليّة في العصر الحديث، فإذا بتعاليم الإسلام سبّاقة وأكثر عمقا. قال الدكتور: "وملاعبةُ الرجل امرأتَه من أهمّ المسائل التي عُني بها علماء فلسفة التناسليّات في العصر الحديث. وقد وضعها الإسلام قبلَهم بأكثرَ من أربعة عشر قرنًا".. ويضيف: "القبلةُ الزوجيّة عند الفراق والوداع، وعند اللقيا، ليست وليدةَ المدنيّة المعاصرة؛ ولا نابعة من عادات الغرب؛ إنما هي تقليد إسلاميٌّ، حرصَ عليه كُثُرٌ من المسلمين الأوائل "(١٠).

---

(٦) حاشية على التاج، ٢/ ٣٠٩.

(٧) د. محمود بن الشريف، ألحبّ في القرآن، ص ٤٤.

(٨) عن المرجع نفسه، ص ٤٤.

(٩) محمد جلال كشك، الحرية في الأسرة المسلمة، ص ١٥.

(١٠) ألحبٌّ في القرآن، ص ٤٥.

والقُبلة، في مفهوم رسول اللّه، لا تفسد الصيام ولا الصلاة. وبالتالي، لا حاجة، بعدَها، للوضوء. عن عائشة قالت: "كان رسولُ اللّه ينال منّي القبلةَ بعد الوضوء. ثمّ لا يعيدُ الوضوء". وعن أمّ سَلَمَة قالت: "إنّ رسولَ اللّه كان يقبّلُني وهو صائم. ثمّ لا يفطر. ولا يجدّدُ وضوءًا"[١١]. وعن عائشة أيضا، تُجيب على سؤال الأسود ومسروق. هذان دخلا على عائشة، فقالا: "أكان رسولُ اللّه يُباشرُ وهو صائم؟ قالت: كان يفعل. وكان أملكَكُم لإرْبِه"[١٢].

ثانياً - العَزْل والإجهاض

أمّا "العزْل"، (أي وضع المني خارج الفرج)، فقد أجازه رسولُ اللّه، ولم ينهِ عنه. وفي ذلك أحاديث كثيرة: عن أبي سعيد، قال: "غزونا مع رسول اللّه غزوة بالمصطلق. فسَبَيْنا كرائم العرب. فطالتْ علينا العزْبة (أي البعد عن النساء)، ورغبنا في الفداء (أي بيع السبايا لثمنهنّ). فأردنا أن نستمتع (أي نطأهنّ). ونعزل (أي نُنزل خارج الفرج خوفا من الحمل الذي يمنع بيعهنّ، إذ أنّ أمّ الولد لا تُباع). فقلنا: نفعلُ ورسولُ اللّه بيننا، لا نسألُه؟! فسألناه. فقال: لا عليكم ألاّ تفعلوا (أي لا ضرر عليكم إنْ فعلتم). ما كتبَ اللّه خلْقَ نسمة هي كائنة إلى يوم القيامة إلاّ ستكون (أي أنّ الولد لا يكون إلاّ بإرادة اللّه، لا بإرادة الزوجين)"[١٣].

وعن أبي سعيد أيضا، "إنّ رجلاً قال لرسول اللّه: يا رسول اللّه! إنّ لي جارية، وأنا أعزلُ عنها. وأنا أكره أن تحمل. وأريد منها ما يريد الرجال (أي التمتّع بها). وانّ اليهود تحدّثُ أنّ العزْلَ موؤودة الصغرى. فقال رسولُ اللّه: كذبتْ يهود. لو أراد اللّه أن يخلقه (أي الولد)، ما استطعتَ أن تصرفَه"[١٤].

---

(١١) عن المرجع السابق، ص ٤٥-٤٦.

(١٢) سنن ابن ماجه، رقم ١٦٨٧.

(١٣) رواه الخمسة. إنظر سنن ابن ماجة، رقم ١٩٢٦، والسيرة الهاشمية في غزوة بني المصطلق.

(١٤) عن أصحاب السنن بسند صحيح.

وعن جابر قال: "كنّا نعزلُ على عهد رسول الله. فبلغه ذلك. فلم ينهنا"[١٥].

إذا كان العزل في الإسلام جائزا، فهل "الإجهاض" أيضا كذلك؟ إنّ الدكتور الشيخ صبحي الصالح يجيز الإثنين. قال: "إذا كان الشرعُ، في بعض الأحوال، يبيحُ العزل تحاميا للنسْل، ويشترط إذْنَ المرأة في تنظيم العائلة وتحديد حجمها، فربّما يكون أقرب إلى المنطق ألاّ يتشدّد (الشرع) في الإجهاض، إذا رغبتْ فيه المرأة واتّفق الزوجان عليه"[١٦].

إنّ جواز الشيخ للإجهاض جاء ليبرهن على أنّ الإسلام سابق لما توصّلت إليه الحضارة الغربيّة في العصر الحديث. هذه الحضارة لا تزال تبحث وتتصارع مع مشكلات اجتماعيّة فرضتْها الحياة المعاصرة، من تحديد للنسل، بسبب تضاؤل خيرات الأرض.. غير أن الشيخَ، على ما يبدو، فاتَه ما قال حجّةُ الإسلام أبو حامد الغزالي في كلامه على العزل، حيث قال: "وليس هذا كالإجهاض والوأد، لأنّ ذلك جناية على موجود حاصل"[١٧].

ثالثاً – مواقعة الدُّبُر والمستحيضة

يبقى معرفة رأي رسول الله في مواقعة الدبر. فهو فيها واضح. بل سبّاق في الكلام عليها، وفي اتّخاذ موقف صريح منها. سألَ خزامُ بنُ حكيم رسولَ الله قائلاً: "ما يحلُّ لي من امرأتي وهي حائض؟ قال رسولُ الله: لكَ ما فوقَ الإزار (أي ما فوق السرّة). أمّا الدّبُر فهو حرام (في جميع الحالات والأوقات). وقال مجاهد: "دُبُرُ المرأة مثله من الرجل"[١٨].

---

(١٥) صحيح مسلم، ١٠/ ١٤؛ صحيح البخاري، ٧/ ٣٣؛ سنن ابن ماجة، رقم ١٩٢٧؛ سنن الترمذي، رقم ١١٤٦، وقد علّق بقوله: "حديث جابر حسن صحيح".

(١٦) الدكتور الشيخ صبحي الصالح، المرأة في الإسلام، ص ٢٦.

(١٧) الغزالي، إحياء علوم الدين، ٢/ ٥٣.

(١٨) عن الحبّ في القرآن، ص ٥١.

وثمّة أحاديث كثيرة في هذا الموضوع. منها قول رسول اللّه: "ملعون مَن أتى المرأة في دُبُرها "[١٩]. وقوله: "لا تأتوا النساء في أعجازهنّ. فإنّ اللّهَ لا يستحي من الحقّ "[٢٠]. وعن ابن عبّاس عن النبيّ قال: "لا ينظرُ اللّه إلى رجلٍ أتى رجلاً أو امرأةً في الدبر "[٢١].

ومن الموضوعات التي عالجها الإسلام موضوع إتيان المرأة أيّام حيضها. جاء في القرآن: " ويسألونك عن المحيض. قل هو أذى. فاعتزلوا النساء في المحيض. ولا تَقرَبوهنَّ حتى يَطهُرْنَ. فإذا تطَّهَرْنَ فَأْتوهُنَّ من حيثُ أمرَكم اللّه "[٢٢].

على هذا يعلّق الدكتور محمود بن الشريف، مستلهماً العلوم الطبيّة الحديثة، فيقول: "قد أثبت الطبُّ الحديث أنّ المعاشرة الجنسيّة أيّام الطمث تسبّبُ أمراضاً تناسليّة، وتُصيبُ الجنين بالزهري، أو الجزام، أو العته، أو التشويه. وهكذا يكشف لنا الطبُّ الحديث عمّا وراء هذا النهي الإلهي من حكمة "[٢٣].

رابعاً – إفشاء السرّ بين الزوجين

ثمّة موضوع آخر في باب "آداب الجماع" في تعاليم رسول اللّه، وهو موضوع "إفشاء السرّ" الكامن بين الرجل وامرأته، وما يجري بينهما من مداعبات وكلام وحبّ. لقد تنبّه النبيُّ إلى خطورة هذا الواقع. ونبّه عن شرٍّ قد يحصل بسبب التهاون فيه. عن سعيد عن رسول اللّه، قال: "إنّ أشرّ الناس عند

---

(١٩) عن كتاب التاج، ٢/ ٣٠٩.
(٢٠) المرجع نفسه.
(٢١) المرجع نفسه؛ أنظر أحمد بن حنبل والترمذي.
(٢٢) سورة البقرة، ٢/ ٢٢٢.
(٢٣) الحبّ في القرآن، ص ٥١.

الله منزلةً يومَ القيامة، ألرجلُ يفضي إلى امرأته، وتفضي إليه. ثم ينشرُ سرَّها "[٢٤].

يعلّق صاحب التاج على هذا الحديث بقوله: "أي يحكي (الرجلُ) ما يقعُ منها (أي من امرأته)، حالَ الجماع، من قول، أو فعل، تعوّدَه بعضُ النساء ممّا يشهّي الرجل. وإذا طلبَه من امرأته وجب عليها إجابته، فإنّ طاعته فرض عليها "[٢٥].

ومن الأحاديث النبويّة أيضا قولُ رسول اللّه: "إنّما مثَلُ ذلك مثَلُ شَيطانة لقيتْ شيطانًا في السّكّة، فقَضى منها حاجتَه والناسُ ينظرون إليه "[٢٦]. يعلّقُ صاحبُ التاج بقوله: "أي مَن يفشي سرَّ امرأته كالشيطان يطأ شيطانة أمام الناس. فإفشاء ذلك من أحدِ الزوجَين حرام لجعله في شرِّ منزلة يوم القيامة "[٢٧].

إنّ الأحاديث النبويّة في التحذير من "إفشاء السرّ" بين الزوجَين، بالإضافة إلى أنّها من الأخلاق العامّة ومن المسلّمات الطبيعيّة بين الناس، يشدّدُ عليها رسولُ اللّه. ويهدّدُ ويتوعّدُ بعذابات جهنميّة رهيبة. وذلك لأنّ طبيعة النكاح المتعدّد النساء لرجل واحد تقتضيه بإلحاح. قد يفشي الرجلُ سرَّ امرأةٍ عند أخرى؛ فتقوم قيامة البيت كلّه. فيضطرّ الرجلُ إلى الكذب، أو إلى الحيلة، لكي تسلم حياتُه، وتهدأ عيالُه. حياة الضرائر، بعضهنّ مع بعض، مليئة بالغيرة والحسد. وقد يحدث شرٌّ عظيم إنْ لم يعرفِ الرجلُ مداركته. وقد كان النبيُّ فطنًا جدًّا في مداراة هذا الخطر.

***

(٢٤) رواه مسلم وأحمد.

(٢٥) التاج، حاشية، ٢/ ٢١١.

(٢٦) رواه أصحاب السنن.

(٢٧) التاج، حاشية، ٢/ ١١٣.

ونختصر تعاليم الإسلام في "آداب الجماع" بهذه الوصايا العشر، التي أعطاها صاحب كتاب التاج في إحدى حواشيه. وهي:

١. التعوّذ من الشيطان

٢. التسمية قبل الجماع

٣. الستر

٤. اجتناب الدبر

٥. إجتناب وقت الحيض

٦. عدم العزل

٧. عدم التكلّم وقت الجماع

٨. اللّطف بالمرأة

٩. التأنّي عليها حتى تقضي حاجتَها إذا سبقها في الإنزال

١٠. والملاعبة التي تقتضيها الحال لدوام المودّة بينهما" [٢٨].

خامساً - قوّة رسول الله على الجماع

من غريب الحديث الذي يتحدّثُ به المسلمون أنّ رسول اللّه شكى يوما ضعفَه الجنسي لجبريل. فأتاه جبريل بالحلّ. قال: "شكوتُ إلى جبريل ضعفَ الوقاع. فأمرني بأكل الهريسة". يعلّق الغزالي على هذا الحديث، فيقول: "إعلمْ أنّه، صلّى اللّه عليه وسلّم، كان تحتَه تسعُ نسوة. ووجب عليه تحصينُهُنَّ بالامتاع.. فكان طلبُه القوَّةَ لهذا، لا للتمتّع" [٢٩].

---

(٢٨) التاج، حاشيه، ٢/ ٣٠٨.

(٢٩) إحياء علوم الدين، ٣/ ١٠٠.

وقـال رسـولُ الله: "كـنتُ أقلَّ الناس في الجـمـاع حـتى أنـزل الله عليّ الكفيت. فما أريده من ساعة حتـى وجدته. وهو قِدْرٌ فيه لحم". وفي حديث آخر يقول: "رأيتُ كأنّي أُتيتُ بقِدْرٍ فأكلتُ منهـا حتى تضلّعْتُ. فما أريد أن آتي النساء ساعةً إلاّ فعلتُ منذ أكلتُ منها"(٣٠).

وفي حديث آخـر أيضا يقـول رسول الله: "لقيني جـبريل بقِـدْر، فأكلتُ منها. وأُعْطيتُ الكفيت قـوّةَ أربعين رجلا في الجماع". وعن محمّـد بن عمر قال: "أعطي رسولُ الله قوّة أربعين رجلا في الجماع"(٣١). وعن مجاهد قال: "أعطي رسول الله بُضْعَ أربعين رجلا. وأعطي كلُّ رجلٍ من أهل الجنّة بضع ثمانين"(٣٢).

يقول صاحبُ التاج في ذلك: "كان (رسولُ الله) يطوف عليهنّ أحيانا، في ليلة واحـدة، ويواقعـهنّ. وكان الله أعطاه قـوّةً على ذلك، مـعجزةً لـه، كمـا كان سليـمان"(٣٣). وكـانت مولاة رسـول الله تخبـر عنه أنّه كـان يطوف في الليلة الواحدة عـلى نسائه التـسع. وعن قتـادة قال: "حدّثنـا أنَس بن مالك قـال: كان النبيّ، صلّى الله عـليه وسلّم، يـدورُ على نسائه فـي السـاعـة الواحـدة من الليل والنهار، وهنَّ إحدى عَـشرَة. قال: قلتُ لأنَس: أوَكَانَ يُطيقُهُ؟ قـال: كنّا نتحدّثُ أنّه أُعْطيَ قوّة ثلاثين"(٣٤).

وقالت يهود، لمّا رأت رسولَ الله يتـزوّجُ ما شاء من النسـاء: "أنظروا إلى هذا الذي لا يشبع من الطعـام. وليس له همّة إلاّ النسـاء". وحسـدوه، أي اليهود، لكثرة نسـائه. وعابوه بذلك. وقالـوا: لو كان نبيّـا ما رغب في النسـاء. فـقال اللهُ تعالى في سورة النساء (٤/ ٥٤)، مبيّنًا ذلك:

---

(٣٠) أنظر في هذه الأحاديث كتابَ التاج، ٢/ ٢٨٠...
(٣١) طبقات ابن سعد، ٨/ ١٩٢-١٩٣.
(٣٢) المرجع نفسه، ١/ ٣٧٤.
(٣٣) حاشية التاج، ٢/ ٢٨٠.
(٣٤) صحيح البخاري، كتاب الغسل، باب إذا جامع ثم عاد... ١/ ٧٥-٧٦.

" أم (بل) يَحْسُـدُونَ الناسَ (أي النبيَّ) علَى مَا آتَاهُمُ الـلّهُ مِنْ فَضْلِهِ (أي من النبوّة وكثرة النساء. أي: يتمنّون زوالَه عنه. ويقولون: لو كان نبيًا لاشتغل عن النساء).

" فَقَدْ آتَينَا آلَ إبْرَاهيمَ (كموسى وداود وسليمان) الكتَابَ والحكمَةَ (والنبوّةَ)،

" وآتَيْنَاهم مُلْكاً عظيماً (فكان لداود تسعٌ وتسعـون امرأة، ولسليمـان ألفٌ ما بين حرّة وسريّة)[٣٥].

هذه القوّة الهـائلة إنما أعطيتْ لرسـول اللّه لكي يكون بوسعـه العدلُ بين نسائه. وقـد بقي عادلا حتى ليلته الأخـيرة من حياته. فـكانت له القوّة لكي يلبّي حاجـات نسائه كلّهنّ. ويُنصـفهنّ من رجـولته. عن سلمى مـولاته قالت: " طاف رسولُ اللّه على نسائه الليلةَ التي توفّي فيها عنهنّ، وهنّ عندَه. كلّما خرج من عند امرأة قـال لسلمى: صبِّي لي غُـسْلاً. فيـغتـسلُ قبْلَ أنْ يأتي الأخـرى. فقلتُ: يا رسولَ اللّه! أما يكفيك غسلٌ واحد؟! فقال النبيّ: هذا أطيب وأطهر "[٣٦].

ولهذه القوّة على الجماع مبـرّراتها: لقد نقل المحدِّثون المقرّبون من رسـول اللّه حبَّه للنساء والجمال وملذّات الحياة! فعن الحسن بن علي قال: " قال رسول اللّه: ما أحببتُ من عَـيش الدنيا إلاّ الطيب والنسـاء "[٣٧]. وعن عائشة قالت: " كان يُعْـجِبُ نبيَّ اللّهِ من الدنيا ثلاثـةٌ: ألطيبُ والنساء والطعـام. فأصـابَ اثنتين. ولم يُصبْ واحدةً. أصابَ النساءَ والطيبَ. ولم يُصبِ الطعام "[٣٨].

وعن معقلَ بنِ يَـسار، قال: " ما كان شـيءٌ أعـجبَ إلى نبيّ اللّه من الخَيل. ثم قال: ألّلهمّ غـفرًا. بل النسـاء "[٣٩]. أمّا أنَس بن مالك فقـد لطّفَها مع نبيٍّ اللّه إذ

---

(٣٥) ما بين قوسين من تفسير الجلالَين.

(٣٦) طبقات ابن سعد، ٨/ ١٧٣.

(٣٧) ألمرجع نفسه، ١/ ٣٩٨.

(٣٨) ألمرجع نفسه.

(٣٩) ألمرجع نفسه.

نقلَ عنه قوله: "حُـبِّبَ إليّ من الدنيا: النسـاء والطيب. وجُعِلَتْ قُـرَّةُ عيني في الصلاة "[٤٠].

وأخـيراً، ومع أهمّـيـة شـهـوة الجـمـاع هذه، وفائدتهـا في بقـاء الجنس البشري، تـبقى خطورتها، إن جمـحتْ وتخطّت المعقول، عظيمـةً جدّا على الناس، أكانوا أنبياء ملهمين أم بشراً عـاديين. وقد أشار الغزالي إلى هذه الخطورة فقال: " ولكنّها (أي شـهوة الجماع) فيها من الآفات ما يُهلكُ الدينَ والدنيا، إنْ لمْ تُضبطْ، ولم تُقهرْ، ولم تُرَدّ إلى حدٍّ الاعتدال "[٤١].

ولكن، مَن منّا يسعه أنْ يرسمَ للأنبياء " حدَّ الاعتدال هذا "؟!

---

(٤٠) المرجع نفسه.

(٤١) الغزالي، إحياء علوم الدين، ٣/ ٩٩.

الفصل العاشر

نكاح اليمين

يجيز اللّه للنبيّ محمّد نكاح اليمين، أو نكاح الإماء، أي ما ملكت يمينُه من الجواري وسبايا الحروب. أكان ملكُه لهنّ شراءاً، أو مغانم، أو هدايا، أو استرقاقا.. وذلك كي لا يكون عليه، أو على المسلمين من بعده، ضيقٌ أو "حرج". واللّه غفور رحيم... يريد أن يخفّف عن الإنسان، وقد خلقه ضعيفا[1].

يتميّز نكاح الإماء عن النكاح الدائم، بأنّه بدون مهر أو صداق، ويتمّ بدون وليّ، وبدون شهود. ويجب على المرأة ألاّ تكون مسلمة. ولا يحقّ لها أن ترث، ولا أن تعترض على زوجها إذا ما عدّد عليها، وإذا ما لم يقسم لها كما يقسم للزوجة الدائمة. ويفارقها المسلم بدون طلاق؛ بل لمجرّد إرادته في ذلك.

يتميّز هذا النكاح عن "نكاح المتعة"، التي تقول به الشيعة، بأنّ نكاحَ المتعة قد يُعقد على امرأة مسلمة، مؤمنة، حرّة؛ فيما نكاح اليمين لا يكون إلاّ على جارية، عبدة، مشركةً كانت، أو يهوديّة، أو نصرانيّة...

نكاح اليمين هذا، وردت أحكامه في القرآن. نبيّنها، مع تفاسير المسلمين[2] عليها، وذلك بالنسبة إلى النبيّ نفسه، وإلى المسلمين كافّة:

---

(١) أنظر القرآن، سورة النساء، ٤/ ٢٥.

(٢) نعتمد على تفاسير الفخر الرازي، والجلالَين، والبيضاوي، والخازن، والنَّسَفي، والفيروزآبادي، وابن كثير، والطبري، والطبرسي، وغيرهم.

أوّلاً – نكاح اليمين عند النبيّ

من سورة الأحزاب ٣٣/ ٥٠:

يا أيّها النبـيّ! إنّا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورَهنّ (أي مـهورهنّ؛ إذ المهـر أجرٌ على البـضع. ولهـذا قال الكرخي: إنّ النـكاح بلفظ الإجارة جـائز.. وقلنا: ألتأبيد من شرط النكاح، والتأقيت من شرط الإجارة (ألنسفي).

ومـا ملكتْ يمينُـكَ ممّا أفـاء اللّهُ عليكَ (من الكفّـار بـالسـبي فـتـملكهـا (ألخازن)،

وبناتِ عمِّك، وبنات عـمّاتك، وبنات خالك، وبنات خـالاتك، اللاّتي هاجرن معك. (فمن لم تهاجر منهنّ لم يَجُـزْ له نكاحُها. عن أمّ هانئ بنت أبي طالب قالت: خطَبَني رسولُ اللّه فاعتـذرتُ إليه. فعذَرَني. ثم أنزل اللّه: إنّا أحللنا لك أزواجَك.. ألآية. فلم أكن أحلّ له لأنّي لم أهاجـر، فكنتُ من الطلقـاء (باب شرط الهـجرة في التحليل)(ألخازن).

وامرأة مؤمنة إنْ وهـبتْ نفسَها للنبيّ (أي أحللنا لكَ امـرأة مؤمنة، وهبتْ نفسَها لكَ بغير صداق. فأمـا غير المؤمنة فلا تحلّ له إذا وهبتْ نفسها منه. ومثل هذه المرأة التي وهبتْ نفـسَهـا أربع: ميمـونة بنت الحارث، وزينب بنـت خزيمة الأنصاريّة، وأم شريك بنت جابر، وخولة بنت حكيم)،

إنْ أراد النبيُّ أن يستنكحَـها (أي يطلب نكاحَها بغيـر صداق. إنّ هبةَ المرأة نفســها للنبيّ لا تـوجب له حلّها إلاّ بإرادته نكاحـها. يعني: يُبـاح للنبيّ في المرأة التي تهبُ له نفسَها الوطء بالهبة (الشافعي).

خـالصـــةً لكَ من دون المؤمنين (هذا ممّا خُـصّ به النبيُّ لشـرف نـبـوّته (ألبيـضاوي). وكان من خصــائصه، صلّى اللّه عليه وسلّم، أنّ النكاحَ ينعـقد في

حقّه، بمعنى الهبة، من غير وليّ ولا شهود، ولا مهر.. (وكذلك) الزيادة على أربع، ووجوب تخيير النساء (ألخازن).

وقد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم (أي أوجبنا على المؤمنين من الأحكام، وهو أن لا يتزوّجوا أكثر من أربع؛ ولا يتزوّجوا إلاّ بوليّ وشهود ومهر (الخازن)،

وما ملكتْ أيمانُهم (من الإماء بشراء أو غيره). لكيلا يكون عليك حرج (أي ما معناه: أحللنا لك أزواجَك، وما ملكت يمينك، والموهوبة، لكي لا يكون عليك ضيق" (الخازن). وهو من توسيع الأمر للنبيّ، للدلالة على أنّ الفرق بينه وبين المؤمنين.. لمعانٍ تقتضي التوسيع عليه والتضييق عليهم (البيضاوي).

أمّا الفخر الرازي فيُجمل الآية في تفسيره بقوله:

"ذُكر للنبيّ ما هو الأولى؟ فقال:

إنّ الزوجة التي أوتيتْ مهرها أطيب قلبا من التي لم تؤت.

والمملوكة التي سباها الرجل بنفسه أطهر من التي اشتراها، لأنّه لا يدري كيف حالها.

ومَن هاجرت من أقارب النبيّ معه أشرف ممّن لم تهاجر.

والمرأة التي تَهَبُ نفسَها للنبيّ إنما هي هبة لا يبادلها النبيّ بصداق. وهي له "خالصة"، أي يُباح له فيها الوطء بالهبة. أو أيضا، هي له "خالصة"، أي زوجة ومن أمّهات المؤمنين، وهي، بالتالي، لا تحلّ لغيره.

ثمّ يتبيّن للتخصيص فائدة، وهي أنّ للنبيّ في النكاح خصائص ليست لغيره. وكذلك في السراري.. وسبب تخصيص النبيّ من قوله تعالى "كيلا يكونَ عليكَ حرج"، أي يكون لك فسحة من الأمر؛ فلا يبقى لكَ شغلُ قلبٍ، فينزلُ

الروحُ الأمينَ بالآيات على قلبكَ الفارغ، وتبلّغ رسالات ربّك بجدّك واجتهادك".

والآية ٥٢ من سورة الأحزاب ٣٣ تكمّل:

لا يحلّ لكَ النساءُ من بعْد (أي من بعد التسع اللاتي اخترنك. والتسع في حقّه، عليه السلام، كالأربع في حقّنا. حتى ولو ماتت واحدة لم يحلّ له نكاح أخرى (البيضاوي). إلاّ أنّ عائشة قالت: "ما مات رسول اللّه، صلّى اللّه عليه وسلّم، حتّى أحلّ له أن يتزوّج من النساء ما شاء" (ألخازن).

ولا أن تَبَدَّلَ بهنّ من أزواج، (أي: فتطلّق واحدة وتنكح مكانها أخرى (ألبيضاوي). وقيل: أي: لا تبادل بأزواجك غيرَك بأن تعطيه زوجتَك وتأخذ زوجتَه. فحرّم ذلك عليك)، ولو أعجبك حسنُهنّ.

إلاّ ما ملكتْ يمينُكَ، (أي: لا بأس أن تبادلَ بجاريتك ما شئت. أمّا الحرائر فلا (ألخازن). وعند الفخر الرازي: "لم يحرّم اللّهُ على نبيّه المملوكات؛ لأنّ الإيذاء لا يحصلُ بالمملوكة. ولهذا، لم يُجز للرجل أن يجمع ضرّتين في بيتٍ، لحصول التسوية بينهما، وإمكان المخاصمة. ويجوز أن يجمع الزوجة وجمعا من المملوكات، لعدم التساوي بينهنّ. ولهذا لا قسم لهنّ على أحد").

ثانياً – نكاح اليمين عند المسلمين

نكاح اليمين رخصة إلهيّة، أعطيت للنبيّ. ومن ثمّ عمّمها اللّه على المسلمين كافّة، إذا ما وجدوا، في نكاح المسلمة، مع ما يتبعه من مستلزمات، ضيقا أو حرجا. إنّه زواج يتناول المسلم الذي لا يسعه أن يدفع مهرَ امرأة مسلمة حرّة، والذي لا يرغب في أن يكون له أكثر من أربع. إنّه زواج أحلّه اللّه لمن يشاء المزيد من النساء والقليل من المستلزمات والواجبات.

وما ورد في سورة النساء (٤/٣و٢٤–٢٥) دليل على شرعيّة هذا الزواج. جاء فيها، مع تفاسيرها:

٣. وإنْ خفتم ألاّ تقسطوا في اليتـامى (عن الفخر الرازي: "وإنْ خفتم أن تظلموا اليـتامي عند نكاحهنّ، فـانكحوا غيرَهنّ مـا طاب لكم من النساء". وروي عن عكرمـة أنّه قال: "كان الرجل عنده الـنسوة، ويكون عنده الأيتـام. فإذا أنفق مالَ نفـسهِ على النســوة ولم يبقَ له مالٌ وصار مـحتـاجا، أخذ في إنفـاق أموال اليتامى عليهنّ، فقال تعالى ‹وإن خفتم أن لا تقسطوا في أموال اليتامى› عند كثرة الزوجات فقد حظّرت عليكم أن لا تنكحوا أكثر من اربع".

فانكِحوا ما طاب لكم من النســاء (يعني ما حلّ لكم من النساء؛ لأنّ منهنّ من يُحرّم نكـاحها. ثمّ إنّ هذه الآية لا تتنـاول العبيـد. ثمّ إنّه لم يقل "مَن طاب"، لوجوه: ١ ". إنّه أراد بـ"ما" الجنس. ٢ ". إنّ "ما" وما بعدها في تقدير المصدر؛ وتقديره: فانكحوا الطّيّب من النساء. ٣ ". إنّ "مـا" و "مَن" ربّما يتعاقبان. ٤ ". ذكرت "ما" تنزيلا للإناث منزلة غير العقلاء (عن الرازي).

مثنى وثـلاثَ ورباعَ (أجمعت الأمّـة على أنّه لا يجوز لأحـد أن يزيد على أربع نسوة. وإنّ الزيادة على أربع من خصـائص رسول اللّه التي لا يشـاركها فيه أحد (ألخازن)...

إلاّ أنّ هذه الصــيغـة معـدولة عن أعـداد مكرّرة، هي: ثنتين ثنتين (أي ٢+٢=٤)، وثلاثا ثلاثا (أي ٣+٣=٦)، وأربعـا أربعا (أي ٤+٤=٨). ولم يقل "أو". وهذا يعني ثماني عشرة امـرأة (٤+٦+٨=١٨). وقد جيء بالـ"واو" لتدلّ على تجويـز الجمع. ولو جيء بـ "أو" مكان الـ "واو" لذهب مـعنى تجويز الجـمع (النسفي). وبعضـهم قال: اثنتين وثلاثا وأربعا، أي تسعا (٢+٣+٤=٩).

ومعناه أيضـا: يجوز لكل أحد أن يخـتار لنفســه قِسما من هذه الأقسـام، بحسب حـاله: فإن قـدر على نكاح اثنتين، فاثنتـان؛ وإن قدر على ثلاث، فـثلاث؛ وإن قدر على أربع، فأربع. لا أنّه يضـمّ عدداً (الخـازن).

فإنْ خفتم ألاّ تـعدلوا ("بين هذه الأعداد، فاكتفـوا بزوجة واحدة حرّة، أو

بالمملوكات من غير حصر. ولعمري إنّهنّ أقلّ تبعة، وأخفّ مؤنة من المهائر. لا عليكَ أكثرتَ منهنّ أم أقللتَ، عدلتَ بينهنّ في القسم أم لم تعدلْ، عزلتَ عنهنّ أم لم تعزلْ" (الرازي).

فواحدة (مسلمة، مؤمنة، حرّة، وانكحوها، وذروا الجمع).

أو ما ملكتْ أيمَانُكم (أي ما ملكتم من السراري، لانّه لا يلزم فيهنّ من الحقوق مثل ما يلزم في الحرائر، ولا قسم لهنّ (ألخازن).

ذلك أدنى إلاّ تعولوا (أي أقرب من أن لا تجوروا؛ أي تكثر عيالكم فتفتقروا وتظلموا. قال الرازي: ما ذكره القفّال هو أنّ الجواري، إذا كثرنَ، فله أن يكلّفهنّ الكسب؛ وإذا اكتسبنَ أنفقنَ على أنفسهنّ وعلى مولاهنّ أيضا.. أما إذا كانت المرأة حرّة، لم يكن الأمر كذلك... ثمّ أنّ المرأة، إذا كانت مملوكة، فإذا عجز المولى عن الإنفاق عليها، باعها وتخلّص منها. أما إذا كانت حرّة، فلا بدّ له من الإنفاق عليها".

٢٤. والمحصنات من النساء (أي ذوات الأزواج، لأنّهن أحصنّ فروجَهنّ بالتزوّج (ألنسفي). ويطلق الإحصان على المرأة ذات الزوج، الحرّة، العفيفة، المسلمة (ألبيضاوي).

إلاّ ما ملكتْ أيْمَانُكم (من اللاّتي سُبِينَ ولهنّ أزواج كفّار، فهنّ حلال للسابين (ألبيضاوي). والمعنى: حُرّم عليكم نكاح المنكوحات، أي اللاّتي لهنّ أزواج إلاّ ما ملكتموهنّ بسبيهنّ وإخراجهنّ بدون أزواجهنّ لوقوع الفرقة بتباين الدارين (دار السلم ودار الحرب)، لا بالسبي، فتحلّ الغنائم بملك اليمين بعد الاستبراء (ألنسفي).

كتاب اللّه عليكم (مصدر مؤكّد. أي كتَبَ اللّهُ عليكم تحريمَ هؤلاء كتابًا (ألبيضاوي). أي كتب اللّه ذلك عليكم كتابًا وفرضه فريضة. وهو تحريم ما حرّم

(ألنسفي).

وأحلّ لكم ما وراء ذلكم (أي ما سوى المحرّمات الثماني المذكورة: ١. كمحرّمات الرضاع، ٢. والجمع بين المرأة وعمّتها وخالتها، ٣. والمطلّقة ثلاثا لا تحلّ لزوجها الأوّل حتى تنكح غيره، ٤. ونكاح المعتدّة، ٥. ومَن كان في نكاحه حرّةٌ لم يجز له أن يتزوّج بالأمة، ٦. والقادر على طَول الحرّة لم يجز له أن يتزوّج بالأمة، ٧. ومَن كان عنده أربع نسوة حرّم عليه أن يتزوّج بخامسة، ٨. والملاعنة فإنّها محرّمة على الملاعن بالتأبيد (ألخازن).

أن تبتَغوا بأموالكم مُحصِنين غير مسافِحين (أي أن تبتغوا النساء بأموالكم بالصرف في مهورهنّ أو أثمانهنّ في حال كونكم محصنين، أي متزوّجين، غير زناة (ألبيضاوي).

فما استمتَعْتُم به منهنّ فآتوهنّ أجورَهنّ فريضةً . ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة (أي فمن تمتّعتم به من المنكوحات أو فما استمتعتم به منهنّ من جماع أو عقد عليهنّ (ألبيضاوي)، وتلذّذتم بهنّ (الخازن). ولنا عودة في تفسير هذه الآية في فصل لاحق " في نكاح المتعة " .

٢٥. ومن لم يستطع منكم طَولا (أي غنىً واعتلاء فراش (ألبيضاوي)، أو مالا (ابن عبّاس).

أن ينكح المُحصنات المؤمنات (أي الحرائر، يعني: جارية أخيك المؤمن. فإنّ الإنسان لا يجوز أن يتزوّج بجارية نفسه (ألخازن).

فما ملكت أيمانُكم من فتيَاتِكم المؤمنات (يعني الإماء المؤمنات، وهي حجّة عند الشافعي في تحريم نكاح الأمة، وبنوع خاص الأمة الكتابيّة. وذلك حذَرًا عن مخالطة الكفّار وموالاتهم. والمحذور في نكاح الأمة هو رقّ الولد وما فيه من المهانة ونقصان حقّ الزوج (ألبيضاوي).

ويعني أيضا: من لم يقدر على مهر الحرّة المؤمنة فليتزوّج الأمة المؤمنة. وهو دليل على أنّه لا يجوز للحرّ نكاح الأمة إلاّ بشرطين: أحدهما- أن لا يجد مهرَ حرّة. والثاني- هو خوف العنْت على نفسه، أي الزنا. ودليل أيضا على أنّه لا يجوز للمسلم، حرّا كان أو عبدا، نكاحُ الأمة الكتابيّة (ألخازن). أمّا أبو حنيفة فيقول: يجوز التزويج بالأمة الكتابيّة، وبالاتّفاق يجوز وطء الأمة الكتابيّة بملك اليمين.

وعند ابن عبّاس قوله: " وممّا وسع اللّه على هذه الأمّة نكاح الأمة اليهوديّة والنصرانيّة " .

واللّه أعلمُ بإيمانِكم بعضكم من بعض (أي ألّله يعلم بالسرائر، إذ رُبَّ أمَة تفضلُ الحرّة في الإيمان. ومن حقّكم أن تعتبروا فضل الإيمان لا فضل النسَب. والمراد تأنيسهم بنكاح الإماء ومنعهم عن الاستنكاف منه عند الضرورة (ألبيضاوي والخازن).

فانكحوهنّ بإذن أهلهنّ (يعني: أخطبوا الإماء إلى ساداتهنّ (الخازن) أو مالكيهنّ (ابن عبّاس).

وآتوهنّ أجورَهنّ (مهورَهنّ) بالمعروف (أي بغير مطل وإضرار ونقصان)، محصنات (عفائف) غير مسافحات (أي زوانٍ علانيّة) ولا متّخذات أخدان (زوانٍ سرّا). فإذا أُحصِنّ (بالتزويج)، فإنْ آتَيْنَ بفاحشةٍ (زنا)، فعليهنّ نصفُ ما على المحصنات من العذاب (يعني: على الإماء اللأتي زنَينَ نصفُ ما على الحرائر من الجلد. ولا رجم عليها أيضا بخلاف الحرّة). ذلك (أي نكاح الإماء) لمَن خشيَ العنْتَ منكم (لمن خاف الوقوع في الزنا).

وإنْ تصبروا (أي تصبروا عن نكاح الإماء. وذلك من قوله صلّى اللّه عليه وسلّم "ألحرائر صلاح البيت والإماء هلاكه" . خيرٌ لكم (أي كيلا يكون الولد عبدا رقيقاً).

٢٨. يريد اللّه أن يخفّف عنكم (فلذلك شرّع لكم الشرعة الحنيفيّة السمحة السهلة؛ ورخّص لكم في المضايق كإحلال نكاح الأمَة). وخلق الإنسانَ ضعيفًا (أي لا يصبر على الشهوات، ولا يتحمّل مشاق الطاعات (ألبيضاوي).

***

ومختصر الكلام،

لقد عاش النبيّ محمّد مع إماء كثيرات. بعضهنّ كنّ شراءً، وبعضهنّ هبةً، وأخريات سبايا حرب، بثمن أو بدون ثمن، بإرادتهنّ أو بغير إرادتهنّ. عشر نساء فقط كنّ له بحسب الشريعة. وقد حظين بلقب "أمّهات المؤمنين". أمّا الباقي، وهنّ عشرات، فكنّ سراري وإماء.

هذا السلوك النبويّ ليس جديدا. لقد سبقه إليه أنبياء التوراة؛ فجاء في سفر تثنية الاشتراع ما يلي: "إذا خرجتَ لمُقاتلةِ أعدائكَ، فأسلَمهمُ الربُّ إلهُكَ إلى يدكَ، فأسَرْتَ منهم أسرى، ورأيتَ بين الأسرى امرأةً جميلةَ الهيئة، فتعلّقتَ بها واتّخذتَها لكَ امرأةً، فحين تُدخلُها بيتَكَ، تَحلِقُ رأسَها، وتُقلّمُ أظافرَها، وتَنزِعُ ثيابَ أسرِها عنها، وتُقيمُ في بيتكَ فتبكي أباها وأمَّها شهرًا، وبعدَ ذلك تَدخُلُ عليها، وتكونُ لها زوجًا، وهي تكونُ لكَ امرأةً. ثمّ، إنْ لم تَعُدْ تُريدُها، فأطلقْها حُرّةً، ولا تَبِعْها بفِضّة، ولا تَظلِمها لأنّكَ أذلَلْتَها"[٣].

ولا نعلمُ في التوراة مكانا آخر شُرّع فيه زواج الأسرى. إلاّ أنّنا نعلمُ أنّ فرقا كبيرا بين ما في التوراة وما في القرآن. ففي التوراة، لا يزال المنتصرُ يحترمُ سَرِيَّتَهُ؛ فهو ينزع عنها كلَّ ما يشيرُ إلى أسرها؛ ويُقيمُها في بيته؛ ويصبر عليها

(٣) سفر تثنية الاشتراع، ٢١/ ١٠–١٤.

حتى تنسى أهلَهـا شـهرا كاملا، ثمّ يعـتبرُها زوجةً. ويوم لم يعد يريـدها يُطلقُها حرّة؛ ولا يبـيعُهـا؛ ولا يُظلمُهـا؛ ولا يذلّلها... أمّا في القـرآن فبـيعٌ وشراء؛ وملكٌ واسترقاق؛ وسـبايا بدون عدد؛ واستمتاع بأجْـر؛ وهجرٌ بدون رضاها. إنّها، أي السريّة، مـن سبايا دار الحـرب، ومن جملة المغـانم التي شاءها اللّه لاسـتمـتاع المؤمنين بتحقير المشركين.

الفصل الحادي عشر

نكاحُ المتعة

أوّلاً – تعريف المتعة

"ألمتـعـة" زواج لأجَل، أو زواج منقطع، أو مـوقّت. وهو أن يعـقـد رجلٌ مسلمٌ على امرأة مـسلمة مؤمنة حرّة، أو كتابيّـة، عقدا موقّتا، يتّفـقان على مدّته، مقابل أجْـر، يتّفقان على كـمّيته. وينتـهي بغير طلاق. ويثبت فـيه نَسَبُ الأبناء، وميراثهم أيضا. أمّا الزوجة فلا ترث، ولا تستحقّ نفقة، إلاّ إذا اشترطت ذلك عند العقد.

وفي "نكاح المتـعة"، لا عـدد للنساء مـحدّد. ويجـوز تجديد المدّة مـرّات عديدة، دون حاجة لمحلّل. وينعـقد الزواج بلفظ من ثلاثة، تقوله المرأة: "زوّجتُكَ، أو أنكحتُكَ، أو متَّعتُكَ نفسي"[1]... ويجب أن لا يكون في عقد المتعة أيٌّ مانع من موانع النكاح العـادي، من نَسَب، أو رضـاع، أو إحصـان، أو عـدّة، أو غير ذلك من الموانع الشرعيّة..

---

(١) أنظر فرج فـوده، كتـاب "زواج المتعـة"، تقديم د. أحمـد صبـحي منصور، الدار العـربيّة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٩٣، ٢٨٨ صفحة، أنظر ص ٢٣–٢٤.

ثانياً – مذهب الشيعة

يقول الشيعة بشرعيّة "نكاح المتعة"، معتمدين على آيةٍ من سورة النساء، تقول: "**فما استمتعتم به منهنّ فآتوهنّ أجورَهنّ فريضةً**"[٢].

والمقصود:

١. "استمتعتم"، لا تزوّجتم، أو نكحتم.

٢. "أجورهنّ"، أي مهورهنّ، أو صداقهنّ.

٣. ثمّ لا شيء في القرآن يدلّ على أنّها نُسختْ بآيةٍ أخرى.

وأدلّة الشيعة على شرعيّة المتعة دينيّة، واجتماعيّة، وصحّيّة، وغيرذلك.

٤. فهناك الكثير من الصحابة والتابعين يذكرونها ويناصرونها، منهم، على ما عدّدهم د. فرج فوده: "عبداللّه بن عبّاس (حبر الأمّة)، وعبداللّه بن مسعود، وأُبَيّ بن كعب، وابن جريج (فقيه مكّة الشهير)، وقتادة، وسعيد بن جُبير، وسعيد بن المسيّب، والإمام جعفر الصادق، وباقي الأئمّة الإثني عشر، وغيرهم كثير"[٣].

٥. ثم عدّد ابنُ حزم فقال: "ثبُتَ على إباحتِها، بعد رسول اللّه، صلّى اللّه عليه وسلّم، إبنُ مسعود، ومعاوية، وأبو سعيد، وابن عبّاس، وسَلَمة ومعبد إبنَي أميّة بن خلَف، وجابر، وعمرو بن حريث. ورواه جابر عن جميع الصحابة مدّة رسول اللّه، صلّى اللّه عليه وسلّم، وأبي بكر، وعمر، إلى قرب آخر خلافة عمر. وقال: ومن التابعين: طاوس، وسعيد بن جُبير، وعطاء، وسائر فقهاء مكّة"[٤].

---

(٢) سورة النساء ٤ / ٢٤.

(٣) المرجع نفسه، ص ١٩.

(٤) إبن حجر العسقلاني، فتح الباري لشرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، عن المرجع السابق، ص ٥٥.

٦. وهناك أيضا كتبٌ عديدة (وهي معتمدة عند أهل السنّة)، تذكر " نكاح المتعة "، مثل: صحيح البخاري، ومسلم، وسنن أبي داود، وابن ماجّة، والنسائي، والترمذي، والدارمي، وموطأ مالك، ومسند ابن حنبل، وتقول: "إنّ رسول اللّه قد أحلّ المتعةَ في حياته، وإنّ بعضَ الصحابة قد مارسها برخصة منه "(٥).

٧. وثمّة قول ليحيى بن أكثم لشيخ بالبصرة: " بمَن اقتديتَ في تحليل المتعة؟ فقال: بعمر بن الخطّاب. فإنّه قال: إنّ اللّه ورسولَه أحلاّ لكم مُتعَتَين (أي متعة النساء ومتعة الحجّ). وأنا أحرّمهما عليكم وأعاقِب. فقَبِلْنَا شهادَتَه. ولم نقبلْ تحريمَه "(٦).

٨. أمّا الإمام الصادق فقد أكّد شرعيّة زواج المتعة بقوله: " تزوّجوا منهنّ ألفًا لأنّهنّ أجيرات "(٧). وله أيضا: " كلّ نقطة من مياه الاغتسال تتحوّل يومَ القيامة إلى سبعين ملاكاً يشهدون لصالح مَن مارسَ زواجَ المتعة "(٨).

٩. وللصادق أيضا: إنّ الذي يعقد زواجَ المتعة مع امرأة لإرضاء اللّه، أو لاتّباع تعاليم الدين الحنيف وسنّة رسوله، أو لعصيان أمر الذي حرّم المتعة (عمر بن الخطاب)، ينالُ ثوابا عن كلّ كلمة تبادلها مع المرأة. ويمنحُه اللّهُ ثوابا عندما يمدّ يدَه إلى المرأة. وعندما يدخل عليها يغفرُ اللّهُ جميعَ ما تقدّم من ذنوبه. وعندما يغتسل تحلّ عليه رحمةُ اللّه ومغفرتُه مرّاتٍ عدّة على عدد الشعرات التي تبلّلت بمياه الاغتسال "(٩). ثمّ "إنّ الاعتقاد (الشيعي) شائع بأنّ ممارسةَ المتعة تجلبُ الثوابَ الإلهي "(١٠).

---

(٥) د. فرج فوده، المرجع السابق، ص ٢٣–٢٤.

(٦) دار الزهراء، المتعة ومشروعيّتها في الإسلام، ص ٥؛ عن كتاب وسائل الشيعة ٤٣٦/١٤

(٧) عن د. شهلا حائري، المتعة، حالة إيران، بيروت ١٩٩٥..، ص ١٨.

(٨) المرجع نفسه، ص ٢٤.

(٩) عن المرجع نفسه، ص ٢٤–٢٥.

(١٠) المرجع نفسه، ص ١٢٢.

١٠. ناهيك عن "أنّ الرجلَ، في رأي الكثيرين من الشيعة، يُصابُ بمختلف أنواع الأمراض العضويّة والنفسيّة عندما يرى امرأة جميلةً ولا يستطيعُ إشباع رغبتِه فيها"(١١).

ثالثاً – مذهب أهل السنّة

يقول أهلُ السُّنَّة بتحريم نكاح المتعة،

١. لأنّ اللّه قال: "والذين هم لفروجهم حافظون، إلاّ على أزواجهم، أو ما ملكت أيمانُهم. فإنهم غير ملومين. فمَن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون"(١٢).

٢. لأنّ الأحاديث جاءت صريحةً في تحريمه، مثل قول الرسول في حجّة الوداع: "يا أيّها الناس! إنّي كنتُ أذنتُ لكم في الاستمتاع بالنساء، إلاّ أنّ اللّه قد حرّم ذلك إلى يوم القيامة"(١٣).

٣. لأنّ "المتعة" زواج لا تتعلّق به أحكامُ القرآن، مثل الطلاق، والعدّة، والميراث.. "ويُحرّمُ المتعةَ كلُّ آيات الطلاق والصداق والعدّة والمواريث والحقوق"(١٤).

٤. لأنّه زواجٌ يُقصَد به قضاء الشهوة، لا التناسل، ولا المحافظة على النسل والأولاد. فهو، بذلك، يشبه الزنا.

٥. كما أنّ هناك "جمعًا من كبار الصحابة وأئمّة التابعين قد رفضوه، منهم: عمر، وعبداللّه بن الزبير، والأئمّة الخمسة: أبو حنيفة، ومالك، والشافعي،

---

(١١) أنظر د. شهلا حائري، ص ١٠٠.

(١٢) سورة المؤمنون ٢٣/ ٥-٧، وسورة المعارج ٧٠/ ٢٩-٣١.

(١٣) سترد مراجع هذا الحديث لاحقاً.

(١٤) كتاب نقض الوشيعة...، ص ٣١٩ ، ٣٢٠.

وابن حنبل، وزيد، وغيرهم كثير "[١٥].

٦. ثمّ هي " من بقايا الأنكحة الجاهليّة، ولم تكن مباحةً في الإسلام. لقد كانت أمراً تاريخيّا، لا حكماً شرعيّاً. بقيت في الإسلام بقاء العوائد التي لا تُستأصلُ إلاّ بزمن ".. كان يرتكبها، في صدر الإسلام، رجالٌ جهلة، وجرياً على عادة إجتماعيّة. فلمّا جاء الإسلام نسخها؛ ولم ينسخْها نسخَ حكْمٍ شرعي، بل نسخَ أمرٍ جاهلي"[١٦].

٧. إنّ المتعة تعني "اتّجار المرأة بفرجها، ببدنها وعرضها.. ألمتعة تجرح شرف المرأة.. ألمتعة إجارة المرأة نفسَها ليتمتّع بها الرجال "[١٧].

٨. "ألنكاح عقد يوجبُ ملكاً لا يرتفعُ إلاّ بالموت، أو بالطلاق. وانقطاعُ المتعة بدون طلاق لم يكن إلاّ من عدم الانعقاد "[١٨].

رابعاً – أزمنة التحريم

يقول أهل السنّة إنّ رسولَ اللّه قد حرّم المتعة في سبعة مواضع، وسبعة أزمنة. ويعتبر الشيعةُ ذلك حجّة في حسابهم. أمّا الأزمنة والمواضع فكما يلي:

١. موقعة خَيبر	شهر محرّم	السنة السابعة
٢. عمرة القضاء	شهر ذي الحجّة	السنة السابعة
٣. يوم الفتح	شهر رمضان	السنة الثامنة
٤. غزوة حُنين	شهر شوال	السنة الثامنة

---

(١٥) د. فوده، المرجع المذكور، ص ١٩.

(١٦) أنظر كتاب، نقض الوشيعة، ص ٢٥٧.

(١٧) أنظر كتاب نقض الوشيعة...، ص ٣٣٨.

(١٨) ألمرجع نفسه، ص ٣٢٨.

٥. غزوة أوطاس	شهر شوال	السنة الثامنة
٦. غزوة تبّوك	شهر رجب	السنة التاسعة
٧. حجّة الوداع	شهر ذي الحجّة	السنة العاشرة.

إلاّ أنّ هناك ملاحظات على هذا التحريم:

١. إنّ أوّل تحريم للرسول قد حدث سنةَ سبعٍ من الهجرة؛ معنى ذلك أنّ الرسول قد تركَ المسلمين عشرينَ سنةً كاملةً يمارسون فيها المتعة.

٢. إنّ المتعة قد أُحِلَّتْ وحُـرِّمَتْ، ثم أحلّتْ وحرّمتْ، سبعَ مرّات، خلال ثلاث سنوات فقط.. وهو أمرٌ يدعو للشكّ في نسبة الأحاديث إلى رسول الله.. ويزداد الشكّ أكثر إذا لاحظنا أنّ المتعة قد أبيحت وحرّمت ثلاث مرّات، خلال شهر واحد، من السنة الثامنة.

٣. ثمّ إذا كان الرسولُ حرّمها سبع مرّات، فهذا يعني أنّ الصحابة والمسلمين خالفوه ستّ مرّات. وهذا سيّءٌ في حقّ الصحابة والمسلمين.

٤. ثمّ إنّ أحاديث عديدة تشير إلى أنّ المتعة كانت مباحة في عهد الرسول، وفي عهد أبي بكر، وفي صدر عهد عمر. والذي حرّمها هو عمر وليس الرسول[١٩].

خامساً – ثبتٌ بالأحاديث النبويّة

هناك ما يقارب ثمانين حديثا نبويّا في أمر المتعة. معظمها مكرّر؛ وأكثرها يحرّمها بعدما كانت محلّلة. ومعتمدنا كتب الأحاديث النبويّة المشهورة عند أهل السنّة أنفسهم.

---

(١٩) أنظر في هذه كلّها د. فوده، المرجع المذكور، ص ٢٨–٣١.

١. في صحيــح البخاري أربعةُ أحــاديث في باب "نهي رسـول الله عن نكاح المتعة آخراً"[٢٠].

الأوّل : لعلي بــن أبي طالب، وهو مكرّر فــي ثلاثة مــواضــع، ومــؤدّاه أنّ الرسول نهى عن زواج المتعة في غزوة خيبر.

والثاني : "... عن أبي حمزة قال: سمعتُ ابنَ عبّاس سُئل عن متعة النساء فرخّص فقال: إنّما ذلك في الحال الشديد، وفي النساء قلّة".

والثالث : عن جابر وسَلَمة قــالا: "كنّا في جيش، فأتانا رسولُ اللّه، صلّى اللّه عليه وسلّم، فقال: إنّه قد أُذِنَ لكم أن تستمتعوا. فاستمتعوا".

والرابع : عن أياس بن سَلــمة عن أبيــه عن رســول اللّه قــال: "أيّمــا رجل وامرأة توافقا، فعُشْرَةُ ما بينهما ثلاث ليالٍ. فإن أحبّا أن يتزايدا أو يتتاركا"[٢١].

٢. وفي صحيح مسلم • هناك تسعة وعشرون حــديثا، أغلبها مكرّر في "كتــاب النكاح"، "باب نكاح المتــعة، وبيان أنّــه أُبيحَ ثم نُسخ، ثمّ أبيح ثم نُسخ. واستقرّ تحريمه إلى يوم القيامة".

ثلاثة أحــاديث عن عبــداللّه بن مســعود ترخّص بالمتــعة دون ذكــرٍ للنهي عنها. قال: "كنّا نغزو مع رسول اللّه، صلّى اللّه عليه وسلّم، ليس لنا نساء. فقلنا: ألا نستخصي؟ فنهــانا عن ذلك. ثمّ رخّص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجَلٍ. ثم قرأ عبداللّه: "يا أيّها الذين آمنوا! لا تحرّموا طيّباتِ ما أحلَّ اللّهُ لكم.."[٢٢].

---

(٢٠) يعلّق العســقلاني على "آخراً" بقوله: "يُفــهمُ منه انّه كان مبــاحاً، أنّ النهي عنه وقع في آخر الأمر"؛ ص ١٣٦.

(٢١) أنظر، في هذه الأحــاديث، صــحيح البــخــاري، باب "نهي رسول اللّه عــن نكاح المتعــة آخرا"، عن فوده، ص ٥٩-٦٢.

(٢٢) سورة المائدة ٥/ ٨٧.

حديثان عن سَلمة وجابر يفيدان ترخيص الرسول بالمتعة دون ذكر للنهي عنهـا. قالا: "خـرج علينا مـنادي رسول اللّه، صلّـى اللّه عليه وسـلّم، فقـال: إنّ رسولَ اللّه، صلّى اللّه عليـه وسلّم، فقال: إنّ رسـولَ الـلّه، صلّى اللّه عليه وسلّم، قد أذنَ لكم أن تستمتعوا. يعني متعة النسـاء".

وثلاثة أحاديث عن جـابر تفيد الاستمـتاع بالنساء على عـهد رسول اللّه وأبي بكر وعمـر؛ وإنّ الذي حرّمهـا هو عمر: عن أبي الزبيـر قال: سمـعتُ جابر يقول: "كنّا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق، ألأيّامَ على عهد رسول اللّه وأبي بكر، حتى نهى عنه عمر". وعن أبي نضرة قال: "كنتُ عند جابر، فأتاه آتٍ فقال: إبنُ عبّاس وابنُ الزبير اخـتلفا في المتعتين[٢٣]. فقال جـابر: فعلناهما **مع** رسول اللّه، صلّى اللّه عليه وسلّم، ثمّ نهانا عنهما عمر. فلم نعد لهما".

وحديث عن سَلمة قال: "رخّص رسولُ اللّه، عامَ أوطاس، في المتعة ثلاثا. ثم نهى عنها".

واثنا عشر حديثا تحكي قصّة سـبرة الجهني وصاحبه مع جارية من بني عامر، وكـيف تمتّعا بعد إذنِ رسول اللّه بالـمتعة، ثم كيف حرّم رسـولُ اللّه المتعةَ بعد ذلك إلى يوم القيامة. ونذكر له، هنا، حديثين، للتشابه بينها جميعا:

١ " عن سبـرة قال: "أذنَ لنا رسـولُ اللّه بالمتعة. فـانطلقتُ أنا ورجل إلى امرأة من بني عـامر. كأنّهـا بكرة عيطاء[٢٤]. فعـرَضْنا عليها أنـفسَنا. فقـالت: ما تُعطي؟ فـقلتُ: ردائي. وقـال صاحـبي: ردائي. وكـان رداء صـاحبي أجـود من ردائي. وكنتُ أشَبَّ منه[٢٥]. فإذا نظرتْ إلى رداء صـاحبي، أعجَبَـها. وإذا نظرتْ إليّ، أعجبْـتُها. ثم قالت: أنتَ ورداؤك يكفـيني. فمكثتُ معهـا ثلاثا. ثمّ إنّ رسولَ اللّه قال: مَن كان عنده شـيء من هذه النسـاء التي يتمتّع بها، فليُخلِ سبيلَها".

---

(٢٣) أي متعة النكاح ومتعة الحج.

(٢٤) طويلة العُنُق.

(٢٥) أكثر شباباً.

٢ " عن سبرة الجهني، عن جدّه، قال: "أمَرَنا رسولُ اللّه بالمتعة، عامَ الفتح، حين دخلنا مكّة. ثمّ لم نخرج منها حتّى نهانا عنها".

وخمسة أحاديث عن عليّ بن أبي طالب، تفيد نهي الرسول عن زواج المتعة، يومَ خيبر، مع ذكر المناسبة في ثلاثة منها، وهي الردّ على عبداللّه بن عبّاس : "... عن عليّ بن أبي طالب أنّ رسولَ اللّه نهى عن متعة النساء، يومَ خيبر، وعن أكل لحوم الحمر الإنسيّة". وعن عليّ أيضا "أنّه سمع ابنَ عبّاس يلينُ في متعة النساء. فقال: مهلاً يا ابنَ عبّاس، فإنّ رسولَ اللّه نهى عنها، يوم خَيبر، وعن لحوم الحمر الأنسيّة".

وحديث عن حوار عبداللّه بن الزبير مع عبداللّه بن عبّاس، خلال ولاية الأوّل وفي نهاية عمر الثاني، يدافع فيه عبداللّه بن عبّاس عن زواج المتعة.

وحديث يفيد تجويز عبداللّه بن عباس لزواج المتعة.

وحديث يفيد أنّها كانت رخصة وتمّ النهيُ عنها: "قال ابن أبي عمرة: إنّها كانت رخصةً في أوّل الإسلام لَمَن اضطُرَّ إليها، كالميتة والدم ولحم الخنزير. ثم أحكم اللّهُ الدينَ ونهى عنها"[٢٦].

٣. **وفي سنن أبي داود،** "باب في نكاح المتعة"، حديثان عن سبرة الجهني يفيدان النهي. والمناسبة في حجّة الوداع. "عن الزهري قال: كنّا عند عمر بن عبد العزيز، فتذاكرنا متعةَ النساء، فقال له رجلٌ يقال له ربيع بن سبرة: أشهد على أبي أنّه حدّث أنّ رسولَ اللّه نهى عنها في حجّة الوداع"[٢٧].

---

(٢٦) أنظر د. فوده، المرجع المذكور، ص ٦٣-٧٦.
(٢٧) أنظر د. فوده، المرجع المذكور، ص ٧٦-٧٧.

٤. وفي سنن ابن ماجّة، وردت ثلاثة أحاديث في "كتاب النكاح"، "باب النهي عن نكاح المتعة"، أحدها حديث علي بن أبي طالب عن تحريم المتعة يومَ خيبر؛ والثاني حديث سبرة بمناسبة حجّة الوداع؛ والثالث عن عمر بن الخطّاب، وهو لم يرد ذكرُه فيما سبق.

أمّا حديث سبرة فهو التالي: "قال: خرجنا مع رسول اللّه، صلّى اللّه عليه وسلّم، في حجّة الوداع. فقالوا: يا رسولَ اللّه! إنّ العزبة[٢٨] قد اشتدّت علينا. قال: فاستمتعوا من هذه النساء. فأتيناهنّ. فأَبَيْنَ أن ينكحنَنَا إلاّ أنْ نجعلَ بيننا وبينهنّ أجلاً. فذكروا ذلك للنبيّ (ص)، فقال: إجعلوا بينكم وبينهنّ أجلاً. فخرجتُ أنا وابن عمٍّ لي. معه برد، ومعي برد. وبرده أجود من بردي، وأنا أشبُّ منه. فأتينا على امرأةٍ. فقالت: بردٌ كبردكَ. فتزوّجتُها. ومكثتُ عندَها تلك اللّيلة. ثمّ غدوتُ ورسولُ اللّه (ص) قائمٌ بين الركن والباب. وهو يقول: "أيّها الناس! إنّي كنتُ أذنتُ لكم في الاستمتاع. ألا وإنّ اللّه قد حرّمها إلى يوم القيامة. فمن كان عنده منهنّ شيء فليخلِ سبيلَها. ولا تأخذوا مما آتيتموهنّ شيئا".

أمّا حديث عمر بن الخطّاب فهو "لمّا ولّي عمر بن الخطاب، خطب الناس، فقال: إنّ رسولَ اللّه (ص) أذنَ لنا في المتعة ثلاثاً. ثمّ حرّمها. واللّه! لا أعلمُ أحداً يتمتّع وهو محصن إلاّ رجمتُه بالحجارة، إلاّ أن يأتيني بأربعة يشهدون أنّ رسولَ اللّه أحلّها بعد إذ حرّمها"[٢٩].

٥. وفي سنن النسائي، في "باب النكاح"، تحت عنوان "تحريم المتعة"، أربعةُ أحاديث: ثلاثة منها تكرار لحديث عليّ بن أبي طالب عن تحريم المتعة يومَ خيبر؛ والرابع هو حديث سبرة دون تحديد زمن النهي[٣٠].

---

(٢٨) أي التجرّد من النساء.

(٢٩) أنظر د. فوده، المرجع المذكور، ص ٧٧-٧٩.

(٣٠) أنظر د. فوده، المرجع المذكور، ص ٧٩-٨٢.

٦. وفي سنن الترمذي، حديثـان: أوّلُهما حـديث علي عن نهي النبيّ عن المتعة زمنَ خَيبر؛ وثانيهما عن عبدالله بن عبّاس يذكر فيه أنّ المتعة منسوخة بآية "إلاّ عَلى أزْوَاجِهِم أو مَا مَلَكَتْ أيمانُهُـم"، وهي غريبة عمّا نعرفُـه عن ابن عبّاس في قبوله للمتعة.

جاء في حديث ابن عـبّاس، قال: "إنّما كانت المتعـةُ في أوّل الإسلام. كان الرجلُ يقـدمُ البلدةَ ليس له بها مـعرفـةٌ، فيـتزوّج المرأةَ بقـدر ما يرى أنّه يقـيم، فتحفظ له متاعَهُ، وتُصلحُ لهُ شَـيئَه؛ حتى إذا أُنزلتِ الآيةُ "إلاّ على أزواجهم أو ما ملكتْ أيمانُهم" قال ابن عبّاس: فكلُّ فَرْجٍ سوى هذين فهو حرام"[٣١].

٧. وفي سنن الدارمي، ثلاثة أحاديث تفـيد النهي عن المتعة. وكلّهـا سبق ذكرها: حـديث لعلي بن أبي طالب؛ وحـديثان لسـبرة، واحـد يذكر المناسـبة في حجّة الوداع، والثاني في عام الفتح[٣٢].

٨. وفي موطأ الإمـام مالك، حديثـان ينهيـان عن المتعـة: أوّلهمـا لعليّ؛ وثانيهـما عن عـمر بن الخطّاب. ومـفاد الحديـث عن عمر "أنّ خَـولةَ بنت حكيم دخلتْ على عمر بن الخـطّاب، فقالت: إنّ ربيعة بن أمـيّة استمتع بامـرأة، فحملتْ منه. فخرج عمرُ بنُ الخطّاب فزعاً يجـرُّ رداءَه، فقال: هذه المتعة! ولو كنتُ تقدّمتُ فيـها لرَجمتُ". وهو قـولٌ، في رأي د. فوده، غير مـفهوم، وحـديث غريب، لأنّ عمر، لو لم يعترف بالمتعة، لاعتبـرها زنا.. إلاّ أنّه، على ما يبدو، اعتبرها شبهة، لا أكثر[٣٣].

---

(٣١) أنظر د. فوده، المرجع المذكور، ص ٨٢–٨٣.

(٣٢) أنظر د. فوده، المرجع المذكور، ص ٨٣–٨٤.

(٣٣) أنظر د. فوده، المرجع المذكور، ص ٨٥.

٩. وفي مسند ابن حنبل، واحد وعشرون حديثا:

ثلاثة أحاديث لعلي بن أبي طالب تنهى عن المتعة؛

وحديثان لعبدالـلّه بن مسعود يؤكّدُ فيهما ترخـيص الرسول بالمتعة دون أن يذكر شـيئـا عن تحريمهـا في وقت لاحق، ويوثق عبـدالله حلَّ المتعـة بالنّص القرآني. وهو ما يؤيِّد نظر الشـيعة. قال في أحدهمـا: "كنّا نغزو مع رسول اللّه، صلّى اللّه عليـه وسلّم، وليسَ لنا نسـاءٌ، فقلنـا: يا رسولَ اللّه! ألا نسـتخـصـي؟ فنهانا عنه. ثمّ رخّصَ لنا بعدُ في أن نتزوّجَ المرأةَ بالثوب إلى أجَلٍ. ثم قرأ عبداللّه: "يا أيّها الذين آمنوا! لا تحرّموا طيّبات ما أحلّ اللّهُ لكم.."

وحديث لعبداللّه بن عمر بن الخطّاب، يؤكّدُ حلَّ المتعة، ذاكرا ممارستَها في عهد الرسول، ومهاجماً لمعارضيهـا تلميحاً. وهو حديث يساند قولَ الشيعة. جاء فيه: "سألَ رجلٌ ابنَ عمر عن المتعة، وأنا عنـده، متعةَ النسـاء. فقال: واللّهِ! ما كنّا على عهد رسول اللّه، صلّى اللّه عليـه وسلّم، زانين، ولا مسافحين. ثم قال: واللّهِ! لقد سـمعنا رسولَ اللّه، صـلّى اللّه عليه وسلّم، يقول: ليـكونَنَّ قبلَ يوم القيـامة المسيحُ الدجّالُ والكذّابون ثلاثون أو أكثر".

وخمسة لجابر بن عبداللّه، مكرّرة، تؤكّدُ جـميعاً قولَ الشيعة، حيث تنصُّ على ممارسة المتعة في عهد الرسول وأبي بـكر وعمر، حتى نهى عمر عنها. وهي ما يَنفي تحريمَ الرسـول لها، ويؤكدُ قولَ الشـيعة، في أنّ عمر هو الذي حـرّمها. في الحديث الأوّل: "كنّا نتمتّع على عهـد رسول اللّه (ص) وأبي بكر وعمر، حتى نهانا عـمر أخيـرا، يعني النساء". وفي الثاني: "مـتعتـان كانتا على عـهد النبيّ (ص)، فنهانا عنهما عمر. فانتهينا". وفي الثالث: "تمتّعنا متعتَين على عهد النبيّ (ص): ألحجّ والنسـاء. فنهانا عـمر عنـهمـا. فانتـهَينا". وفي الرابع والخـامس الشـيء نفسـه.

وعشرة لسبـرة بن معبد الجهني، تفيد نهيَ الرسـول عن زواج المتعة بعد ترخيص بها. وهي أحاديث تؤيِّدُ قولَ السنّة. ولا تخلو هذه الأحاديث من شبهات

حول صحّتها لما فيها من وقاحة السائلَين الصحابيَين ومن موقف المرأة الغريبة، ويعلّق د. فوده: "ولستُ أظنُّ أنّ مثل هذا الحوار يمكن أن يدور في زماننا المعاصر دون سابق معرفة وبدون أن ينتهي الأمرُ إلى إحد مراكز الشرطة".

وثلاثة أحاديث لسَلمة بن الأكوع: اثنان منهما يذكران أنّ منادي رسول الله أذِنَ بالمتعة دون أن يرد، في الحديثين، ذكرٌ للنهي؛ بينما يذكر الحديثُ الثالث ترخيصَ الرسول بالمتعة عامَ أوطاس ثلاثة أيّام ثم نهيه عنها. في الأوّل: "كنّا في غزاة، فجاءنا رسولُ الله، فقال: إن رسولَ الله، صلّى الله عليه وسلّم، يقول: استمتِعُوا". وفي الثاني: "خرج علينا منادي رسولِ الله، فنادى: إنّ رسولَ الله، صلّى الله عليه وسلّم، أذنَ لكم. فاستمتعوا. يعني متعةَ النساء". وفي الثالث: رخّص رسولُ الله (ص)في متعة النساء، عامَ أوطاس، ثلاثةَ أيّام. ثمّ نهى عنها".

وحديث عمران بن حصين، وهو من أهم أسانيد الشيعة عن آية المتعة؛ وأنّها لم تُنسَخ. وتأكيده أنّ الرسولَ لم ينهِ عن المتعة حتى مات. ونصُّ الحديث: "حدّثنا.. عن عمران بن حُصَين قال: نزلت آيةُ المتعةِ في كتابِ الله تبارك وتعالى، وعملنا بها مع رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، فلم تنزلْ آيةٌ تنسخُها. ولم ينهِ عنها النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم، حتى مات"[٣٤].

١٠. **وفي تفسير الطبري**، "جامع البيان في تفسير القرآن"، للآية: "فما استمتعتم به منهنّ فآتوهنّ أجورَهنّ فريضة". يقول الطبري: إختلف أهلُ التأويل في ذلك. فمنهم مَن قال بأنّ الاستمتاع هنا هو النكاح. وليس في القرآن إلاّ نكاح واحد. وأجورَهنّ، أي مهورَهنّ؛ وهو فريضة. وقال آخرون: بل معنى ذلك، فما تمتّعتم به منهنّ بأجر، تمتّعَ اللّذة، لا بنكاحٍ مطلق، على وجه النكاح الذي يكون بوليّ وشهود ومهر... فهذه المتعة، ألرجلُ ينكحُ المرأةَ بشرط، إلى أجَلٍ مسمّى. ويُشهد شاهدين، وينكح بإذن وليّها. وإذا انقضت المدّة فليس له

(٣٤) أنظر د. فوده، ألمرجع المذكور، ص ٨٦-٩٩.

عليهـا سبيل. وهي منه بريّة. وعليهـا أن تستبري مـا في رحمها. وليس بينـهما ميراث. وليس يرث منهما أحد(٣٥).

١١. وفي فتح الباري، لابن حجـر العسقلانـي، قوله: "باب نهي النبيّ (ص) عن نكاح المتـعـة أخيـرا"(٣٦). يعني: تزويج المرأة إلى أجل، فـإذا انقضى، وقعت الفرقة. وقوله: "أخيـرا" يُفهم منه أنّه كان مباحا، وأنّ النهي عنه وقع في آخر الأمر(٣٧).

١٢. وفي شرح نهج البلاغة، لابن أبي حديد، قـوله: "خطب ابنُ الزبير بمكّة على المنبر، وابن عـبّاس جالس مع الناس، تحت المنبر. فـقال: إنّ هـهنا رجلاً قـد أعمى اللّهُ قلبَـه، كـما أعـمى بصـرَه، يزعمُ أنّ متـعـةَ النساء حـلالٌ من اللّه ورسولِه. ويُفتي في القملة والنملة...

فقـام ابن عبّاس يردّ على ابن الزبيـر.. يا ابنَ الزبير! أمّا العـمى، فإنّ اللّه تعـالى يقول: لا تعـمى الأبصـار، ولكن تعـمى القلوب. وأمّا فـتـياي في القـملة والنملة، فإنّ فيـها حكمَين لا تعلمُهمـا أنتَ ولا أصحابُك... وأمّا المتـعة، فسَلْ أمَّكَ أسماء إذا نزلت عن بردى عوسجة...

فلمّا عـاد ابنُ الزبير إلى أمّه، سـألهـا عن بردى عوسجة، فـقالت: ألمْ أنهكَ عن ابن عبّاس، وعن بني هاشـم؟ فقال: بلى. وعـصيتُكِ. فقالت: يا بُنَي! إحذرْ هذا الأعمى الذي مـا أطاقتْه الأنسُ والجنُّ. واعلم أنّ عنده فـضائحُ قريش ومخـازيها بأسرها. فإيّاك وإياه آخرَ الدهر"(٣٨).

---

(٣٥) أنظر د. فوده، المرجع المذكور، ص ٩٩–١٠٢.
(٣٦) وردت في صحيح البخاري "آخرا". إنما المعنى واحد.
(٣٧) أنظر د. فوده، المرجع المذكور، ص ١٠٢–١٠٤.
(٣٨) أنظر د. فوده، المرجع المذكور، ص ١٠٦١٠٥.

سادساً - النّصُّ القرآني

يعتمد الشيعة على آية ٢٤ من سورة النساء، ليقولوا بنكاح المتعة. وهي: " فما استمتعتم به منهنّ، فآتوهنّ أجورهنّ فريضة ". على هذه الآية، هناك إضافة في مصحف عبدالله بن عبّاس، ومصحف عبدالله بن مسعود، ومصحف أُبَيّ بن كعب، فتصبح الآية " فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ منْهُنَّ، **إلى أَجَلٍ مُسَمّىً**، فآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ". ويؤكد الشيعة على أنّها هكذا نزلت. وهو، بالتالي، ما يقطع بشرعيّة المتعة في القرآن وفي الإسلام.

أمّا السنّة فلهم، في نقض ذلك، حجج :

١. إنّ الزيادة في الآية هي "إسرائيليّات، تسلّلتْ إلى ثنايا الدين القيّم".

٢. إنّ تفسير الشيعة لآية المتعة، بالإضافة التفسيريّة أو بدونها، هو رأي لا أكثر ولا أقلّ.

٣. ثمّ لنفترض وجود الزيادة، فهي، أوّلا- قد سقطت من المصحف العثماني المعتمد عليه، وثانيا- إنّ الـ "أَجَل" هو أَجَل العقد لا أَجَل الاستمتاع.

٤. إنّ آية المتعة نُسخت بآيات سورتي "المعارج والمؤمنون". ونصّها: " والّذينَ هُم لفُرُوجِهم حَافظُون، إلاّ عَلى أزواجِهِم أو مَا مَلَكَتْ أيمَانُهُم. فإنَّهم غيرُ مَلومِين. فمَنِ ابتَغَى وَرَاءَ ذَلكَ فَأولَئكَ هُمُ العَادُون "(٣٩).

٥. في الآيةالتالية لآية المتعة ما نصُّه: " ومَنْ لَمْ يَسْتَطعْ طَولاً أنْ يَنكِحَ المُحصَنَاتِ المؤمناتِ فمَا مَلَكَتْ أيمَانُكُم مِن فَتَيَاتِكم المؤمِنَاتِ ". في هذه الآية نصٌّ قطعيٌّ يحرِّم نكاح المتعة.

---

(٣٩) سورة المعارج، ٧٠/ ٢٩-٣١؛ سورة المؤمنون، ٢٣/ ٥-٧. إلاّ آنّ الشيعة يعتبرون السورتَين من أوائل العهد المكّي، فيما سورة النساء من العهد المدني. فلا يمكن، بالتالي، أن يكون هناك نسخٌ، لأنّ المنسوخ يكون متقدِّما، في الزمن، على الناسخ.

٦. ثمّة آية في القرآن تدعو إلى التعفّف للذين لا يسعهم النكاح : " وليَسْتَعْفِفِ الّذينَ لا يَجِدونَ نِكاحاً حتّى يُغنيهم اللّهُ مِن فضله "[٤٠] . إنّه " نصٌّ قاطعٌ محكمٌ في تحريم المتعة تحريمَ أبد "[٤١].

***

ألزواج المؤقّت، أو المتعة، في نظر الشيعة، " هو الحلّ الجذري للمشكلة الجنسيّة التي يُعاني منها الشباب، والتي تهدّد الإنسانيّة بالانحلال والانهيار "[٤٢]. وفي رأي مؤلّفي كتاب " المتعة ومشروعيّتها في الإسلام " أنّنا " حين ننظرُ إلى هذا التشريع بعمق، نرى مدى أهمّيّته في حلّ المشكلة الجنسيّة التي تجتاح العالمَ اليوم، والتي أدّت بالمجتمعات إلى شبه الانحلال والانهيار التام. فتشريع زواج المتعة هو لطف من اللّه تعالى، خصّ به عبادَه، لمنعِهم من الوقوع بما حرّمه من المعاصي والكبائر "[٤٣].

لهذا " دافعت المؤسّسةُ الدينيّة (في إيران)، بحسب د. شهلا حائري، عن الزواج الموقّت، بصفته رحمةً من اللّه للإنسانيّة، وضرورةً لصحّة الفرد، والمحافظة على النظام الاجتماعي "[٤٤].

وهي رحمة من اللّه تعالى لهذه الأمّة. و" ما أروع ما ورد عن حبر الأمّة، عبداللّه بن عبّاس، في هذا المجال، حيث قال: " رحمَ اللّهُ عمرًا! ما كانت المتعةُ إلاّ رحمةً من اللّه تعالى، رحمَ بها أمّةَ محمّد. ولولا نهيُهُ، لما احتاج إلى الزنى إلاّ شقيّ "[٤٥].

---

(٤٠) سورة النور، ٢٤/ ٣٣.

(٤١) أنظر كتاب نقض الوشيعة...، ص ٢٩٢.

(٤٢) كتاب : المتعة ومشروعيّتها في الإسلام، دار الزهراء، ص ٢٥.

(٤٣) ألمرجع نفسه، ص ٧.

(٤٤) د. شهلا حائري، ألمتعة، الزواج المؤقّت عند الشيعة...، ص ١٣.

(٤٥) ألمرجع نفسه، ص ٢٥.

الفصل الثاني عشر

الجنّة، نساؤها وغلمانُها

أوّلاً - نساء الجنّة بغية الأرب

ألكلامُ على الحياة الجنسيّة في الجنّة، وعلى نسائها وغلمانها وملذّاتها، يكمّل الكلام على الحياة الجنسيّة في هذه الدنيا. إنّه الحلقة الأخيرة لنشاط الرجال. إنّه اللّذة النهائيّة، الدائمة، والكاملة، التي لا لذّة بعدها ولا نشوة. وما ينتظر المسلم في الجنّة من لذّات عارمة ومستمرّة، هو نهاية الأرب، وغاية الغايات، ومحطّ الآمال والتمنيّات، وذروة الأميال والرغبات، وقمّة الشهوات التي يتوخّاها المؤمنون المجاهدون في هذه الدنيا.

هذه الرغبات، مهما اشتدّت هنا، تبقى ناقصة وقاصرة بالنسبة إلى ما ستكون عليه، هناك، في الجنّة الموعودة. ألنقص، هنا، برهان على الكمال، هناك. وزوال اللّذة، هنا، يحرّك الرغبة في الحصول عليها بكمالها ودوامها، هناك.

عن هذا عبّر الغزالي، وهو يتكلّم على لذّة الجماع العابرة، كمقدّمة لتلك اللّذة الدائمة والكاملة في الجنّة. قال: " وإحدى لذّات الدنيا الرغبة في دوامها في الجنّة ليكون باعثاً على عبادة اللّه.. فإنّ هذه اللّذة الناقصة بسرعة الانصرام

تحـرّك الرغبـة في اللّذة الكاملة بـلذة الدوام فيسـتحثّ على الـعبـادة الموصلة إليها "[١].

وفي المعنى نفسـه يقول الغزالـي أيضا: "إعلمْ أنّ شهـوة الوقاع سلِّطتْ على الإنسان لفائدتَين: إحداهما أن يدرِكَ لذّتَه فيقيسَ بها لذّات الآخرة.. فإنّ ما لا يُدرَكُ بالذوق لا يعظم إليه الشوق؛ والفائدة الثانية بقاء النسل.."[٢].

من أجل هذا، نتوقّف عـلى ما جاء في القـرآن عن مواصفـات نساء الجنّة وملذّات الرجـال. فهـذه، أيضا، تعطي صـورة واضحـة عن قناعات رسـول اللّه واختباراته وتعاليمه وسيرة حيـاته على الأرض. نصوص كثيرة. ناطقة. معبّرة. استغلّهـا المؤمنون المجاهدون الفاتحون. ووجدوا فـيها دافعا لجهـادهم، وحافزا لاستشـهادهم. وكم من تفسير لهذه الآيات، أضفى عليها بلاغةً ونطقا.

هذا بالإضـافـة إلى أنّ "ألنصّ القـرآني، على حـدّ قـول السـيّـد ابراهيم محـمود، يشكّل مـرجعا أسـاسيّا، بل ومـغريا، لمن يريد معـرفة كـيف هنّ نساء الجنّة "[٣]

ثانياً – نساء الجنّة بحسب القرآن

* نختار من سورة البقرة (٢/ ٢٥):

"وَبشّرِ الذينَ آمنُوا وعَمِلوا الصالحَات:

أنّ لهمْ جَنّاتٍ (أي حدائق ذات شجر ومساكن)،

تَجري من تحتِها (أي من تحت أشجارها وقصورها) الأنهارُ...

---

(١) إحياء علوم الدين، ٢/ ٢٨.

(٢) ألمرجع نفسه، ٣/ ٩٩.

(٣) ابراهيم محمود، الجنس في القرآن، ص ١٤٩.

ولهمْ فيها أزْواجٌ (من الحُور وغيرها) مُطَهَّرَةٌ (من الحَيض وكلّ قذر).
وهمْ فيها خَالِدُون (أي ماكثون أبدا، لا يفنون ولا يخرجون) ".

* ومن سورة آل عمران (٣/ ١٥):

" قلْ (يا محمّد لقومك): أَؤُنَبِّئُكُمْ (أخبركم) بِخَيْرٍ مِنْ ذلِكُمْ (أي من المذكور من الشهوات)
للذين اتَّقَوا (الشركَ) عنْدَ رَبِّهِمْ:
جَنّاتٌ تَجْري مِن تحتِها الأنهارُ، خَالِدِينَ فيها.
وأزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ (من الحَيض وغيره ممّا يُستقذَر)،
ورِضْوَانٌ مِنَ اللّهِ... "

* ومن سورة النساء (٤/ ٥٧):

" والذين آمَنوا وَعَملوا الصّالحَات،
سنُدخِلُهم جَنّاتٍ تَجري من تحتها الأنهار،
خالِدين فيها أبداً.
لَهُمْ فيها أزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ
ونُدخِلُهم ظِلاً ظَليلاً (أي لا تنسخُه شمس. وهو ظلّ الجنّة) ".

* ومن سورة الدخان (٤٤/ ٥١-٥٤):

" إنّ المُتَّقين في مَقَامٍ أَمِين.
في جَنّاتٍ وعيون.
يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ (أي لا ينظرُ بعضُهم إلى قفا بعضٍ لدوران الأسرّة بهم).
كذلك، وزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِيْنٍ (بنساء بيض واسعات الأعين حسانُها) ".

* ومن سورة الطّور (٥٢/١٧-٢٥):

١٧. "إنّ المُتَّقِين في جَنّاتٍ ونعيم،

١٨. فَاكِهِينَ (متلذّذين) بما آتَاهُم ربُّهم. وَوَقَاهُم ربُّهم عَذابَ الجحيم:

١٩. كُلُوا. واشْرَبُوا هَنيئًا بما كُنتُم تَعْلَمون.

٢٠. مُتَّكِئِينَ عَلى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ (بعضُها إلى جنب بعض).

وزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِيْنٍ (عِظام الأعين حسانُها).

٢١. والذين آمنُوا واتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بإيمَانٍ،

ألحَقْنَا بهم ذُرِّيَتَهُم. وما ألَتْناهُم (أي نقصناهم) من عملِهم من شيء.

كلُّ امْرِئٍ بما كسَبَ رهِيْنٌ.

٢٢. وأمْدَدْناهُم (زدناهم) بفاكهةٍ ولحمٍ ممّا يَشتهُون.

٢٣. يتنازَعونَ (يتعاطون بينهم) فيها (أي الجنّة) كأساً (أي خمراً)، لا لَغْوٌ فيهَا ولا تأثيمٌ.

٢٤. يطوفُ عليهم (للخدمة) غِلْمَانٌ لهم. كأنّهُم لؤلؤٌ مَكنونٌ (مصون في الصدف)

٢٥. وأقبلَ بعضُهم على بعضٍ يتساءلون (عمّا كانوا عليه وما وصلوا إليه تلذّذا) ".

* ومن سورة الرحمن (٥٥/٤٦-٧٦):

٤٦. "وَلِمَنْ خافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ..

٥٠. فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْريان..

٥٢. فيهما من كلِّ فَاكهةٍ زَوجان..

٥٤. مُتَّكِئِينَ على فُرُشٍ، بَطَائِنُهَا مِنْ إسْتَبْرَقٍ،

وَجَنَى الجَنَّتَينِ دَانٍ (أى ثمرُهما قريب ينالُه القائم والقاعد والمضطجع)..

٥٦. فِيهِنَّ (أي في الجنّتَين وما اشتملتا عليه من العلالي والقصور)
قاصِراتُ الطَّرْفِ (أي عينُهنَّ على أزْواجهنّ المتّكئين من الإنس والجنّ)،
لم يَطْمِثْهُنَّ إنْسٌ قَبْلَهُم ولا جانٌّ (أي لم يَفْتَضّهُنَّ أحد وهنّ من الحور).

٥٨. كأنّهُنَّ اليَاقُوتُ (صفاءً) والمَرْجَانُ (بَياضاً).

٦٢. وَمِنْ دُونِهِما جَنّتَانِ (أخرَيَان غير المذكورتَين آنفا).

٦٦. فيهِما عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ (فوّارتَان بالماء).

٦٨. فيهِما فاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ.

٧٠. فيهِنَّ (أي الجنّتَين وما فيهما) خَيراتٌ حِسَانٌ (أي بالأخلاق والوجوه).

٧٢. حُوْرٌ (شديدات سواد العيون وبياضها) مَقْصُورَاتٌ (مستورات) في الخِيَامِ (مضافة إلى القصور شبيهة بالخدور).

٧٤. لم يَطمِثْهنّ إنس قبلَهم (أي قبل أزواجهنّ) ولا جانّ..

٧٦. متّكِئِينَ (أي أزواجهم) على رَفْرَفٍ خُضْرٍ (بُسط أو وَسَائد) وَعَبْقَرِيٍ حِسَان (طنافس ناعمة) ".

* ومن سورة الواقعة (٥٦/ ١٠-٤٠):

١٠. " والسَّابقون السابقون (أي الأنبياء)

١١. أولئكَ المُقرَّبون

١٢. في جَنّات النّعيم

١٣. ثُلَّةٌ مِنَ الأوّلين (جماعة من الأمم الماضية)

١٤. وقليلٌ من الآخِرين (أي من أمّة محمّد)

١٥. على سُرُرٍ مَوْضُوْنَةٍ (منسوجة بقضبان الذهب والجواهر)

١٦. متّكئين عليها مُتَقَابِلين

١٧. يَطُوفُ عليهم (للخدمة) وِلْدانٌ مُخَلَّدون (لا يهرمون)

١٨. بأكوابٍ وأباريقَ وكـأسٍ من مَعِيْنٍ (أي من خمـرٍ جاريةٍ من منبع لا ينقطع أبداً)

١٩. لا يُصَدَّعُونَ عنـها ولا يُنْزِفُونَ (لا يحصل لهم منهـا صداع ولا ذهاب عقل بخلاف خمر الدنيا).

٢٠. وفاكهةٍ ممّا يَتَخَيَّرُون

٢١. ولحمِ طيْرٍ ممّا يَشْتَهُون (للإستمتاع)

٢٢. وحُورٌ عِيْنٌ (نساء شديدات سواد العـيون وبياضـها. وضـخـام العيون أيضـا. مفردها: عَيْنَاء)

٢٣. كأمثالِ اللُّؤلُؤِ المَكنون (المصون)

٢٤. جَزَاءً بما كانوا يَعملون.

٢٥. لا يَسمعون فيـها لغْواً ولا تأثيماً (أي لا يسمعون في الجنّة كـلاما فاحشا ممّا يُؤثِم)

٢٦. إلاّ قيْلاً : سَلاماً سَلاماً (أي قول السلام)

٢٧. وأصحابُ اليمينِ. ما أصحابُ اليمينِ؟

٢٨. في سِدْرٍ مَخْضُودٍ (شجر النبق الذي لا شوك فيه)

٢٩. وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ (شجر الموز المليء بالحمل من أسفله إلى أعلاه)

٣٠. وظِلٍّ مَمْدُودٍ (دائم)

٣١. ومَاءٍ مَسْكُوبٍ (جارٍ دائماً)

٣٢. وفَاكِهَةٍ كثيرةٍ

٣٣. لا مَقْطُوعَةٍ (في زمن) ولا ممنُوعَةٍ (بثمن)

٣٤. وَفُرُشٍ مَرفُوعَةٍ (على السُّرُر)

٣٥. إنَّا أنْشَأْنَاهُنَّ إنْشَاءً (أي الحور العين من غير ولادة)

٣٦. فَجَعَلْنَاهُنَّ أبْكَاراً (أي عـذارى. كلّما أتاهُنّ أزواجُـهنّ وجدوهُنّ عـذارى ولا وجع)

٣٧. عُرُباً (المتحبِّبة إلى زوجها عشقاً له) أتْراباً (المستويات في السنّ)
٣٨. لأصحابِ اليمين (أي أنشأناهنّ لهؤلاء الذين هم):
٣٩. ثُلّةٌ من الأوّلين
٤٠. وثُلّةٌ من الآخِرين".

* ومن سورة الصافات (٣٧/ ٤٠-٥٠):

٤٠. "... عبادَ اللّهِ المُخلَصِينَ
٤١. أولئك لهم (في الجنّة) رزْقٌ معلومٌ (بكرة وعشيًا):
٤٢. فواكـهٌ. وهم مُكْرَمونَ (ليست الفواكه، في الجنّة، لحفظ الصحّة بل للتلذّذ فقط).
٤٣. في جنّاتِ النّعيم
٤٤. على سُرُرٍ مُتَقَابِلِين (لا يرى بعضُهم قفا بعض)
٤٥. يُطافُ عليهم بكأسٍ من مَعِيْنٍ (خمرٍ يجري على وجه الأرض كأنهار الماء)
٤٦. بيضاءَ لذّةً للشّارِبينَ (بخلاف خمر الدنيا فإنّها كريهة عند الشرب)
٤٧. لا فيها غَوْلٌ (ما يَغتالُ عقولَهم) ولا هم عنها يُنزَفون (أي يسكرون)
٤٨. وعندَهُم قاصِراتُ الطّرْفِ (أي حابسات الأعين على أزواجهنّ لا ينظرنَ إلى غيرهم لحسنهم عندهنّ) عِيْنٌ (ضخام الأعين حسانها)
٤٩. كأنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ (أي لونهم أبيَض كلون بَيْض النعام، المستور بريشه. لا يصلُ إليه غبارٌ. ولونه بياض على صفرة، وهو أحسن ألوان النساء)
٥٠. فأقْبَلَ بعضُهم على بعضٍ يتساءلون (عمّا مرّ بهم في الدنيا)"

* ومن سورة ص (٣٨/ ٤٩-٥٢):

٤٩. "... وإنّ للمُتّقينَ لَحُسْنَ مآبٍ (مرجع في الآخِرة):
٥٠. جَنّاتِ عَدْنٍ، مُفَتّحَةً لهمُ الأبوابُ

٥١. مُتّكئينَ فيها (على الأرائك). يَدْعونَ فيها بفاكهةٍ كثيرةٍ وشَرَابٍ

٥٢. وعندَهُم قاصِراتُ الطَّرْفِ (حابسات العين على أزواجهنّ) أتْرَابٌ (أسنانهنّ واحدة. وهنّ بناتُ ثلاث وثلاثين سنة) ".

* ومن سورة الزّخرف (٤٣/ ٦٩-٧٣):

٦٩. ألذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين:

٧٠. أُدْخُلُوا الجَنَّةَ أنتم وأزواجُكُم تُحْبَرُونَ (أي تُسَرّون وتُكَرّمُون)

٧١. يُطافُ عليهم بِصِحَافٍ من ذهبٍ وأكوابٍ،
وفيها ما تشتهيه. وتَلَذُّ الأعْيُنُ. وأنتم فيها خالدون.

٧٢. وتلك الجنّة التي أُورِثْتُمُوهَا بما كنتم تعملون

٧٣. لكم فيها فاكهةٌ كثيرةٌ منها تأكلون ".

* ومن سورة يس (٣٦/ ٥٥-٥٨):

٥٥. "إنّ أصحابَ الجنّة اليومَ في شُغُلٍ فاكِهونَ (أي ناعمون عمّا فيه أهلُ النار ممّا يتلذّذون به، كافتضاض الأبكار. لا شغل يتعبون فيه. لأنّ الجنّة لا نصَب فيها)

٥٦. هم وأزواجُهم في ظلالٍ،
على الأرائكِ مُتّكئونَ.

٥٧. لهم فيها فاكهةٌ. ولهم ما يَدَّعُونَ (أي يتمنّون).

٥٨. سلامٌ قولاً من ربٍّ رحيم ".

* ومن سورة النّبَإِ (٧٨/ ٣١-٣٥):

٣١. "إنّ للمُتّقين مَفَازاً (مكان فوز في الجنّة)

٣٢. حَدائقَ وأعْناباً (بساتين وكروما)

٣٣. وَكَوَاعِبَ (جواري تكعّبتْ ثديُهُنّ. جمع كاعب) أتْرَاباً (على سنٍّ واحد)

٣٤. وكَأساً دِهَاقاً (أي أنهار من خمر)

٣٥. لا يَسْمَعونَ فيها لَغْواً (أي كلاما باطلا) ولا كِذَاباً (أي كذبا متبادلا) ".

ثالثاً– ما في القرآن من صفات نساء الجنّة

إنّ ما ورد في القرآن من معانٍ وصُوَر وصفات لنساء الجنّة هو التالي:

١. كَمٌّ هائلٌ من النساء في الجنّة مستعدّات متهيّآت لاستقبال الأبرار.

٢. هنّ أزواج مطهّرةٌ، أي "ليس عندهنّ من الإفرازات ما عند نساء الدنيا، مثل الحيض والنفاس والبول والغائط والبزاق والمخاط والنخامة والعرق والفثاء والضراط "[٤].

٣. هنّ حوريّات يتّصفن بجمالهنّ وعظم أعينهنّ وسعة البياض فيها.

٤. هنّ قاصرات الطرف، لا ينظرن إلاّ إلى أزواجهنّ، أمينات، وفيّات، صادقات.. "لقد وُصمتْ نساء الدنيا بوصمة النظر إلى ما دون زوجها من الرجال –ولو اضطراراً– فكانت حتما نقيصة محسوبة عليها، ورذيلة لا تكاد امرأة تسلم منها.. وهنا حكمة الباري أن يعوّض.. بنساء كَمُلَتْ فيهنّ هذه الصفة من نساء الحور. فيميّزهنّ بميزة كانت لنساء الدنيا تحدٍّ.. وهي قصر الطرف على أزواجهنّ.. وكان ذلك في أمرين: الأوّل– بيان أنّ طبيعة الخلق فيهنّ هكذا، لا يرون غيرَ أزواجهنّ. فقد تكيّفت عيونُهنّ البهيّة الواسعة الرائعة الحسن على أن لا ترى إلاّ أزواجهنّ.. ثانياً– بيان أنّ شدّة حبّها –أي الحوريّة– لزوجها هو كائن بدرجة يمسح عن عينيها غشاء لا ترى فيه إلاّ زوجَها.. وهذا حالها أبد الدهر... لكم هي نعمة أعطاها الرجل أن يمتلك حسّ ومشاعر ووجدان امرأته. لا تصرف منه ذرّة إلى أحد غيره "[٥].

---

(٤) المهندسة انتصار أحمد الصرّاف، أختي المسلمة! سبيلك إلى الجنّة، ص ٢٠.

(٥) كتاب: أختي المسلمة...، ص ٢٣-٢٥.

٥. هنّ منتظرات أزواجهنّ، مستعدّات، متّكآت على أسرتهنّ المصفوفة، بعضها على جنب بعض، وعلى فرشهنّ الحريريّة.

٦. هنّ مقصورات في الخيام، مستورات في القصور. "فأيّ وجدان ذلك الذي يستحوذ عليه ذلك الزوج الأغرّ والبعل الكريم؟!"(٦)

٧. لباسهنّ من سندس واستبرق وحرير.

٨. حسنُهنّ كالياقوت والمرجان والبيض المكنون واللؤلؤ المنثور. "أي عموم الحسن وإبداع الخلق وبراعة الجمال"(٧).

٩. أنشأهنّ اللّه إنشاء، أي خلقهنّ، من غير ولادة، كرمى لعيون الأبرار.

١٠. هنّ أبكار، عذارى، كلّما أتاهنّ أزواجُهنّ وجدوهنّ كذلك. قالت المهندسة انتصار: "إنّ للبكر من نساء الدنيا عند الأزواج مذاقاً وطعماً. لكنّ المرأة لا تصمد أكثر من لحظة واحدة عند زوجها لتصير بعد بكارتها ثيّباً إلى الأبد. تلك اللحظة التي لا تستغرق أكثر من دقيقة تمنُّ بها على زوجها أبدَ الدهر، وترقى بها متربّعةً على قمّة المحبّة في قلبه. فإذا كانت هذه اللحظةُ هي ميزان المرأة طيلةَ عمرها عند زوجها، فما بالكِ إن كانت المرأة أبد الدهر بكراً لا تتثيّب! وهو ما لا يكون إلاّ في حور الجنّة! كم تكون في ميزان زوجها إذن! وكم تفوق بهذا نساء الدنيا جميعاً"(٨).

١١. لم يمسّهنّ قبل أزواجهنّ، ولا بعدهم، أنسٌ ولا جانّ.

١٢. هنّ أتراب، مستويات في العمر، لا يتعدّين الثلاث والثلاثين. عمرهنّ "في سنّ النضرة والشباب على ميلاد واحد. فلا يعرف الشيبُ أو الهرمُ إليهنّ

---

(٦) المرجع نفسه، ص ٢٥.

(٧) المرجع نفسه، ص ١٤.

(٨) كتاب : أختي المسلمة...، ص ١٧.

سبيـلاً. وإنّ نضرة حور الجنّة وربيع عمـرهنّ الوارف رقّةً وحياةً وحـيويّةً لهو كمال نعـيم الرجال المؤمنين في الآخرة. لا يقفل ربيعُ عـمرهنّ أبد الدهر.. يزددن كلّ جمعة حسناً وبهاءً ووضاءةً وجمالاً "(٩)

١٣. هنّ عُـرُبٌ، أي متـحبّـبات ألى أزواجـهنّ عـشقـاً وهيامـاً. "لا ترى (الواحدة منهنّ) حولها ، على قول المهندسة انتصار الصرّاف، رجلاً غيرَ زوجها. ولا تحبّ قط سواه. ولا ينـبض فؤادُها ذرّة إلاّ بحبّـه. تنظر إليه فـلا ترى رجلاً غـيرَه. فـيصـيرُ أمـره كلّه إلى قلبـها، وشـأنُه إلى فؤادهـا. تلهبُـه بنظرات الودّ والتقرّب، فيَسمع منها ما لم يسمع من قبل. فيلتهبُ وجدانُه حبًا وحنيناً، وترميه بأجمل وأحسن ألفاظ الحبّ والتحبّب والعشق والتعشّق.

وقد روى ابن كَـثير مـا جاء في حديث الحـور: "كلّما جاء واحـدةً قالت: واللّهِ! مـا في الجنّة شيء أحـسن منك. ومـا في الجنّة شـيء أحبّ إليّ منك". ثم ينشـدنَ غناء لا تضارعه امـرأة ملكت مواهبَ الـغناء في الدنيا، ينشـدنه تحبّـبا لأزواجهنّ. وروى الترمـذي عن علي قال: قال رسول اللّه: إنّ في الجنّة مجتـمعاً للحور العين، يرفعـنَ أصواتاً لم تسمع الخلائقُ بمثلها. يقـلن: نحن الخالدات فلا نَبيد. ونحن الناعمات فلا نبـأس. ونحن الراضيات فلا نسخط. طوبى لمن كان لنا وكنّا له "(١٠).

١٤. هنّ كواعبٌ، أي كـبيرات الثـدي، مستـديرات، مليئات لحـما ودهنا. "ناضـجات النهـود والصـدور.. لأنّ في نضج النهد عـند المرأة متـاع بالغ لدى زوجها. وهناك من نساء الدنيـا مَن تفتقد إلى نهد ناضج لدى زوجهـا. فقد أكمل اللّه هذه الصفة في نساء الحور "(١١).

---

(٩) كتاب : أختي المسلمة...، ص ٢٢.

(١٠) كتاب: أختي المسلمة، ص ٢١.

(١١) كتاب : اختي المسلمة... ص ١٤.

١٥. لهنّ في أجسادهنّ رائحة ولا أطيب، وضياء ولا أعظم. تقول المهندسة انتصار: "لقد هالني الوصفُ حين وقفتُ أمام قول النبيّ عن حور الجنّة: "ولو اطّلَعَت امرأةٌ من نساء أهل الجنّة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحا، ولطاب ما بينهما"[١٢]. وفي رواية البخاري: "ولو أنّ امرأةً من نساء أهل الجنّة اطّلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما، ولملأت ما بينهما ريحا"[١٣].

رابعاً- ما في القرآن من متع الجنّة

أمّا الجنّة، التي يستمتع بها الرجال مع أزواجهنّ من الحور العين، فهي كما وصفها رسول اللّه بكلامٍ نسبَه إلى اللّه تعالى الذي قال: "أَعْددتُ لعِبادي الصالِحين ما لا عينَ رأتْ، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر"[١٤]. ولقد أجادت المهندسة إنتصار أحمد الصرّاف وأبدعت في وصف الجنّة. ونحن نعتمد على ما وصفت. قالت:

١. في الجنّة قصورٌ، بناؤُها "لبنة من فضّة، ولبنة من ذَهب، وملاطها المسك، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران. من يدخلُها ينعم ولا ييأس، يخلد ولا يموت. لا تُبلى ثيابُه، ولا يفنى شبابُه"[١٥].

٢. وفي الجنّة أيضا غرفٌ يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها.

٣. ولكلّ مؤمن في الجنّة خيمة من لؤلؤة واحدة مجوّفة، طولُها ستّون ميلاً. وله فيها أهلون يطوف عليهم، وهم لا يرون بعضهم بعضا. والخيمة

---

(١٢) أنظر مسند أحمد، كما هو مرويّ عن أنس بن مالك.

(١٣) كتاب: أختي المسلمة...، ص ٢٥-٢٦.

(١٤) رواه أبو هريرة في مسند أحمد ٥ / ٣٣٤.

(١٥) مسند أحمد بن حنبل ٧٨٠٣؛ أنظر أيضا الترمذي في سننه، وفي ألفاظ أخرى أنظر البخاري وأبا داود وأنس بن مالك وغيرهم...

مدوّرة، لها ألف باب من ذهب. يُدخل عليه من كل بابٍ بهديّة[١٦].

٤. وفي الجنّة أنهارٌ رائعة الحسن، وديعة الإنسياب، عذبة المياه، " فيها جنادل اللؤلؤ ". وهي سابحة على وجه الأرض، ليستْ محفورة في جوفها. حافّاتُها اللؤلؤ، وقبابُها اللؤلؤ، وطيبُها الأذفر "[١٧].

٥. وفي الجنّة، بنوع خاصّ، نهر الكوثر. قال النبيّ: " أتدرون ما الكوثر! قالوا: أللّهُ ورسولُه أعلم. قال: هو نهرٌ وَعَدَنِيهِ اللّهُ عزّ وجلّ، عليه خير كثير "[١٨]. وفي رواية أحمد: " ترابُه مسكٌ. ماؤه أبيض من اللّبن. وأحلى من العسل. تَرِدُه طيورٌ، أعناقُها مثل أعناق الجزور ".

٦. وفي الجنّة أنهارٌ أخرى، منها: البيدخ، ونهر بارق، والنيل، والفرات، وسَيحان، وجيحان[١٩].

٧. وفي الجنّة أشجارٌ ذات ظلّ ظليل (من قوله تعالى: " وندخلهم ظلاً ظليلاً ")[٢٠]. وهي ذوات أفنان وارفة. وهي، لشدّة اخضرارها واشتباك أغصانها، تميل إلى السواد (من قوله تعالى: " مُدْهَامَّتَان ")[٢١].

٨. وتتميّز أشجار الجنّة بوفرة ثمارها. ولكن لم تُغنِ الثمارُ شيئا إنْ هي كانت عاليةً بعيدةً عن الأيدي. لذا فقد ذلّل اللّهُ ثمارَها تذليلا (من قوله تعالى: " قطوفُها دانية "[٢٢]. وقوله أيضا: " وجنى الجنّتين دانٍ "[٢٣]. وقوله: " وذُلّلتْ

---

(١٦) أنظر صحيح مسلم ٥١/٢٣-٢٥؛ وصحيح البخاري ٥٩/٨..

(١٧) انظر الترمذي في سننه، وصحيحي مسلم والبخاري. انظر الترمذي في سننه، وصحيحي مسلم والبخاري.

(١٨) رواه مسلم في صحيحه.

(١٩) أنظر رواية أحمد عن أنَس، ٣/١٣٥، وصحيح مسلم...

(٢٠) أنظر سورة النساء ٤/٥٧.

(٢١) سورة الرحمن ٥٥/٦٤.

(٢٢) سورة الحاقة ٦٩/٢٣.

قطوفُها تذليلا "[٢٤]). وفاكهة الجنّة كثيرة لا تُخفَى، ولا تُمنَع (من قوله تعالى: "وفاكهة كثيرة. لا مقطوعة. ولا ممنوعة "[٢٥]).

٩. ومن أجود أشجار الجنّة وفواكهها المذكورة النخل، والرمّان والأعناب، والموز. وبالجملة، فيها من كلّ فاكهة.

١٠. وفي الجنّة شجرة تسمّى "سدرة المنتهى". وهي في السماء السابعة. حجم الثمرة فيها مثل قلال هجَر. وورقُها مثل آذان الفيلة. يخرج من ساقها نهران ظاهران ونهران باطنان[٢٦].

١١. وشراب الجنّة من عَين تُسمّى سلسبيلا، ومن خمر رائع الحسن جميل المذاق (من قوله تعالى: "يُسقَون من رحيقٍ مختوم. ختامُه مسك "[٢٧]). وهي تجري في أنهار، كالماء واللبن والعسل (من قوله تعالى: " فيها أنهارٌ من ماء غيرِ آسن. وأنهارٌ من لبن لم يتغيّر طعمُه. وأنهارٍ من خمرٍ لذّةً للشاربين. وأنهارٍ من عسل مصفّى "[٢٨]). هذه الخمرة ليس فيها ما يوجع البطون مغصا، ولا تُذهبُ العقول. مَن شربها لن يتعرَّض للغوِ في الكلام، ولا لإثمٍ أو رذيلة أو صداع (لقوله تعالى: "يُطافُ عليهم بكأس من معين. بيضاء لذّة للشاربين. لا فيها غوَلٌ ولا هم عنها ينزفون "[٢٩]. ولقوله أيضا: "يطوف عليهم ولدان مخلّدون[٣٠]، بأكوابٍ وأباريق، وكأس من معين، لا يصدعون عنها ولا ينزفون "[٣١]).

---

(٢٣) سورة الرحمن ٥٥/ ٥٤.
(٢٤) سورة الإنسان ٧٦/ ١٤.
(٢٥) سورة الواقعة ٥٦/ ٣٢-٣٣.
(٢٦) أنظر صحيحي البخاري ومسلم.
(٢٧) سورة المطففين ٨٣/ ٢٥-٢٦.
(٢٨) سورة محمّد ٤٧/ ١٥.
(٢٩) سورة الصافات ٣٧/ ٤٥-٤٧.
(٣٠) سنرى بعد قليل قصّة هؤلاء "الولدان المخلّدون".
(٣١) سورة الواقعة ٥٦/ ١٧-١٩.

١٢. وثياب أهل الجنّة من أفخم الثياب. إنّها من سندس خضر، واستبرق وحرير. حليهم أساور من فضة وذهب ولؤلؤ. وعليهم أكاليل درّ وياقوت. وعليهم تيجان كتيجان الملوك. وهم فيها شباب جرد مكحّلون.

١٣. آنية الشرب والأكل صحاف من ذهب وفضّة، وأكواب تلذّ الأعين، وكؤوس مزاجها كافورا وزنجبيلا..

١٤. ويأكل أهل الجنّة ويشربون ولا يتغوّطون ولا يبوّلون، ولا يتمخّطون ولا يبزقون..

١٥. يتّكئ أهل الجنّة على فرش، بطائنُها من استبرق. وفيها أسرّةٌ مرفوعة. ونمارق، أي وسائد، مصفوفة. وثياب خضر وعبقريّ حسان (أي بُسط).

١٦. أمّا الخدم والحشم فهم فوق ثلاثمائة خادم، يغدون على الأبرار، ويروحون، كلّ يوم بثلاثمائة صحفة من ذهب. في كلّ صحفة لون ليس في الأخرى(٣٢).

خامساً – ما بين الجنّة وهذه الدنيا

يعلّق السيّد محمود على أوصاف الجنّة ونسائها، فيقول: "إنّ هذه الأوصاف المتعلّقة بنساء الجنّة تلعب دوراً إغرائيّاً لجذْب الإنسان إلى الإسلام.. وإبعادِه عن متع الدنيا الرخيصة. فما في الآخرة أمتعُ وأبقى وأكثر إثارةً"(٣٣).

ثمّ يختصر السيّد محمود، في كتابه "الجنس في القرآن" ما تتّصف به الحياة الجنسيّة في الجنّة بما يلي:

---

(٣٢) أنظر المهندسة إنتصار أحمد الصرّاف، أختي المسلمة... ص ٢٩-٣٦.

(٣٣) الجنس في القرآن، ص ١٥٠.

١. إنّها دائمة بمقابل قصر الدنيا وإغراءاتها المعنويّة والماديّة.

٢. وليس على المؤمن الجَنّاتي (من الجنّات) خوفٌ ولا قلق.

٣. وإنّ المتعة الكبرى هي متعة الجسد.

٤. وإنّ المتع الجسديّة الرجوليّة ستكون متنوّعة؛ لا يُشعر فيها بملل ما.

٥. وفي حال المواقعة "لا إنزال مني فيها، لأنّ وظيفة المنيّ الأساسيّة هي من أجل الإنجاب.. ولأنّ المنيّ يلوّث صاحبَه، ويقلّل من عمليّة الإثارة".

وأمّا المهندسة أنتصار أحمد الصرّاف فتتوسّع في تعليقاتها وفي مقارنتها بين ما هنّ عليه نساء الدنيا وما هنّ عليه نساء الجنّة. كما تحثّ بنات جنسها إلى احترام أزواجهنّ في الدنيا ومحبّتهم، لأنّ ما في جنّة الخلد ما يغري. تقول:

"من السذاجة أن تتصوّرَ المرأةُ أنّ اللّهَ أسجَدَ لزوجها في كيانه الآدمي مجتمعَ الملائكة كلّه، ثم هي تأتي لتحطّ من قيمته"...

وتضيف:

"وبسط سبحانه وتعالى بساطَ التنافس بين هذا الخلق في صورة حور الجنّة وبين نساء الدنيا يحاولن التنافس على تكريم الرجل لتقاربَ في فعلها ما تفعله حور الجنّة"[٣٤].

وتعجب من زوجة لا تؤدّي الكرامة لرجلها:

"وهو سبحانه يوكل نساءَ الجنّة أن يرفعنَ رايات العزّة وشامات الكرامة لرجالهنّ، حينما تُقَدِّمُ لهم زوجاتُهم في الدنيا الأذى، ولو قلّ. قال صلّى اللّه عليه

---

(٣٤) كتاب: أختي المسلمة. سبيلك الى الجنّة، ص ١٠.

وسلّم: " لا تؤذي امـرأةٌ زوجَها فـي الدنيا إلاّ قالـت زوجتُه من الحـور العِين: لا تؤذيه. قاتَلَكِ اللّه. فإنّما هو عندك دخيلٌ، يوشكُ أن يفارقَكِ إلينا " [٣٥].

وتستنتج المهندسة إنتصار:

" فكم نحن –نساء الدنيا– فقيرات الحسن! ولو بلغ ما بلغ! فعلى أي شيء تؤذي المرأةُ منّا زوجَها، وقد أعـدّ اللّهُ تعالى له هذا الحسنَ كلّه (في حور الجنّة)! وليس هذا فحسب. بل إليكِ فاسمعي "[٣٦]:

" ألا تخجل امرأةٌ تزدري زوجَها؟ أو تُنقِصُ من قدره مقدار أنملة؟

" ألا تخجل من نفسـها وهي تنظر نفسَها بجانب زوجـته من الحور العين ونساء الجنّة؟

" كم يساوي حسنُها بجانب حسنِهنّ؟!

" وكم تساوي رقّتُها بجانب رقتِهنّ؟!

" وكم يكون قدر بكارتها بجانب بكارتِهنّ التي لا تنقطع؟!..

" فما أقلّ حياء مَن لا تتقرّبُ لزوجها بالتقدير والطاعة من نساء الدنيا!..

" وأهمسُ من طرفٍ خـفيٍّ لبنات جنسِنـا، والحيـاء يجـتاح كـيـانَنا.. هل تستطيع إحداكنّ أن تعيش لزوجها مقصورة الطرف عليه..

" وكم تستحقّ المرأة، إذا مهّدتْ نفسَهـا لغير زوجها، أن تُقتل رجماً!.. وأن تُدفن قبراً!.. وكم تكون حـقيرة ذليلة، إذا هي تطلّعت لرجل وهي مع رجل، إلاّ أن تتوبَ إلى ربّها، وتعظّمَ حقّ زوجها، ولو كان مقعَداً كفيفا!.. "[٣٧].

---

(٣٥) رواه الترمذي ١١١٧٤، وأحمد ٥/ ٢٤٢. أنظر المرجع السابق، ص ١١.
(٣٦) كتاب: أختي المسلمة...، ص ١٦.
(٣٧) ألمرجع نفسه، ص ١٨، ٢٣,٢٠، ٢٥..

سادساً – نساء الجنّة في الأحاديث النبويّة

أما الأحاديث النبويّة في شأن نساء الجنّة فكثيرة هي أيضا. وهي تفسّر ما جاء في القرآن وتوضحه. كما تفسّر أيضا تصرّفات النبيّ وتعاليمه واختبارات حياته.

جاء عن أنَس أنّ النبيّ قال: "ولو أنّ امرأة من نساء أهل الجنّة اطّلعتْ إلى الأرض لأضاءت ولَملأتْ ما بينهما رائحة.." (٣٨). وعلّق رسولُ اللّه على ما جاء في القرآن: "كأنّهنّ الياقوت والمرجان" (٣٩)، فقال: "تنظرُ إلى وجهها في خدرها أصفى من المرآة. وإنّ أدنى لؤلؤة عليها لَتُضيء ما بين المشرق والمغرب. وإنّه يكون عليها سبعون ثوبا يُنفذُها بَصَرُهُ حتى يرى مخَّ ساقِها من وراء ذلك" (٤٠).

وجاء في الترمذي عن النبي قوله: "إنّ في الجنّة لَمُجتمَعاً للحور العين يرفعنَ أصواتا لم تسمع الخلائق مثلها. يقلن: نحن الخالدات فلا نَبيد. ونحن الناعمات فلا نبأس. ونحن الراضيات فلا نسخط. طوبى لمن كان لنا وكنّا له" (٤١).

وروى مجاهد عن النبيّ تفسيرَه لقوله تعالى: "وأزواجٌ مُطهّرة" (٤٢)، أي: من الحيض، والغائط، والبول، والبصاق، والنخامة، والمني، والولد".

ونقل الأوزاعي تفسيرَ النبيّ لقوله تعالى: "في شغل فاكهون" (٤٣)، أي: شغلهم افتضاض الأبكار (٤٤). فقال رجلٌ: يا رسولَ اللّه! أيُباضَعُ أهلُ الجنّة؟ قال:

---

(٣٨) أخرجه البخاري. راجع إحياء علوم الدين للغزالي، ٤/ ٥٤٠.

(٣٩) سورة الرحمن، ٥٥/ ٥٨.

(٤٠) عن إحياء علوم الدين، ٤/ ٥٤٠.

(٤١) حاشية في إحياء علوم الدين، ٤/ ٥٤١.

(٤٢) القرآن: سورة البقرة، ٢/ ٢٥؛ سورة آل عمران، ٣/ ١٥؛ سورة النساء، ٤/ ٥٧.

(٤٣) سورة يس ٣٦/ ٥٥.

(٤٤) يعلّق صاحب كتاب "تحفة العروس": فبُشرى للشبّان الصالحين التائبين"، ص ٣٨١.

يُعطى الرجلُ منهم من القوّة في اليوم الواحد أفضل من سبعين منكم "[٤٥].

وقال رسـولُ اللّه: "إنّ الرجلَ من أهل الجنّة لَيتزوّج خمسمائة حوراء، وأربعة آلاف بكر، وثمانية آلاف ثيّب. يعانق كلَّ واحدة منهنّ مقدار عمره في الدنيا "[٤٦]. وعن أنَس قال: "قال رسولُ اللّه: إنّ الحور العين في الجنّة يتغنّين: نحنُ الحورُ الحسانُ، خُبِّئْنَا لأزْواجٍ كرام "[٤٧].

وأخرج الترمذي عن رسول اللّه قوله: "إنّ أهلَ الجنّة جردٌ مردٌ جعادٌ مكحولون. أبناء ثلاث وثلاثين على خلق آدم. طولهم ستّون ذراعا في عرض سبعة أذرع "[٤٨].

" عن أبي هُريرة قال: قيل: يا رسولَ اللّه! هل نُفضي إلى نسائنا (في الجنّة)؟ فقال: والذي نفسي بيده! إنّ الرجلَ ليُفضي في الغداة الواحدة إلى مائة عذراء ".. وفي رواية: "سئل نبيّ اللّه: أنطأ في الجنّة؟ قال: نعم. والذي نفسي بيده! دحْماً دَحْماً[٤٩]. فإذا قام عنها رجعتْ مطهّرةً بكراً "..

و" عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسولُ اللّه: إنّ أهل الجنّة إذا جامعوا نساءهم عدْنَ أبكاراً ". وفي حديث أيضا: "يُعطى المؤمن في الجنّة قوّة كذا وكذا من الجماع. قال أنَس: يا رسولَ اللّه! ويُطيقُ ذلك؟! قال: يُعطى قوّة مئة ". وفي حديث عن أبي أمامة، رضي اللّهُ عنه، أنّه سمع رسولَ اللّه، صلّى اللّه عليه وآله وسلّم، سئل: هل يتناكحُ أهلُ الجنّة؟ فقال: بذَكَرٍ لا يَمَلُّ، وشهوةٍ لا تنقطع دحما دحما ".

---

(٤٥) أخرجه الترمذي، انظر إحياء علوم الدين، ٤/ ٥٤١.

(٤٦) عن إحياء علوم الدين، ٤/ ٥٤١.

(٤٧) عن المرجع نفسه.

(٤٨) عن المرجع نفسه، ٤/ ٥٤٢.

(٤٩) الدحْم: الجماع بدفع جديد، ونصبُه بفعل مضمر، أي يدحمون دحماً. والتكرير للتأكّد، أي دحما بعد دحم" تعليق كتاب تحفة العروس، حاشية ص ٣٨١.

وتعليقاً على حديث النبيّ "لا تؤذينّ امرأةٌ زوجَها في الدنيا إلاّ قالت زوجتُه من الحور العين: لا تؤذيه. قاتلكِ اللّهُ! هو عندكِ دخيل. يوشكُ أن يُفارقَكِ إلينا"[٥٠]، قال صاحب كتاب "تحفة العروس":

"وبصدد الكلام على الحور العين، يخطر سؤالٌ على بال الكثيرين، ولا أظنُّهم من النساء. فقد سمعتُ هذا السؤال من الرجال، ولم أسمعْه من غيرهم. وهذا هو: لقد وعد الرسولُ الرجالَ المؤمنينَ بالعديدِ من الحور العِين. وخصّهم بذلك. ولم يكرّرِ الإسلامُ للنساء المؤمنات مثل ذلك؟!

"ألجواب: إنّ من طبيعة الرجل إمكانُ توزيع عاطفته وهبةِ قلبِه إلى نساء كثيرات، بخلاف المرأة التي لا تستطيع ذلك، إلاّ إذا كانتْ شاذّةً منحرفةً. لذلك، كانت في الجنّة -كما هي في الدنيا- مقصورةً على زوجها. لا تشتهي غيرَه. ولن تشتهي. فتتمُّ سعادتُها بسببِ ما طبَعَها سبحانه وتعالى عليه"[٥١].

سابعاً – غلمان الجنّة

أمّا الموضوع الخطير جدًّا في مسائل المتع الجنسيّة في الجنّة فهو موضوع مواقعة الغلمان. وقد لا نقول شيئاً من عندنا، أو من تفاسيرنا، في موضوع دقيق كهذا. إنما اعتمادنا على نصوص القرآن نفسها، وعلى ما جاء في كتاب "خواطر مسلم في المسألة الجنسيّة" للشيخ محمّد جلال كشك. وهو شيخٌ أزهريٌّ جليل. هذا الكتاب طاردَه علماءُ الأزهر، ومنعوا تداوله في الأسواق، ورفعوا بوجه صاحبه دعوى قضائيّة. إلاّ أنّ القضاء قال كلمته، وأفرج عنه. ثمّ أعيدت طباعتُه، مع إشارة على غلافه: "بأمر القضاء".

---

(٥٠) رواه ابن ماجّة والترمذي في سننهما.

(٥١) كتاب تحفة العروس، ص ٢٣٥.

ولقد جاء "أمـرُ القضاء" بقولُه: "أمّا الاستـمتاعُ بالولدانِ في الجنّة لِمَن عَفَّ في الدنيا، فـإنّه رَجْمٌ بالغيب. لا يعلمُ حـقيقتَـه إلاّ اللّه. ولا يملكُ مَن يَنفي أو يُثـبتُ دليلاً حـاسِمـاً في هذا الموضـوع.. والعلمُ به لا يَزيدُ من علمِ الجـاهل بما يُفـيدُه.. كـما وأنّ الجـهْلَ لا يضـرُّ.. والجدلُ فـيـه عقـيم. والخـوضُ فيـه غيـرُ مجدٍ.. "[٥٢]

يقول الشيـخُ الجليل : إنّ أهمّ ما يُلفتُ النظرَ في متَعِ الرجال الجـنسيّة في الجنّة "وعدُه سبـحانَه وتعالى للمؤمنين بولدانٍ وغلمـانٍ في الجنّة "مخلّدون"، وغاية في الجمال والنضارة"[٥٣].

"واللفظ المختار شـديدُ التوفيق والتعبـير، أيّ وُلدانٌ خالدي الولدنة، أي لا يتجاوزون تلك المرحلة التي تَفتُنُ العـربيَّ المصابَ بهذا الداء. بل تُثبتُ الدراساتُ أنّها السـنُّ التي تغوي الغالبـيّةَ العظمى من الـذكور الذين سُجِّلَ لهم مَـيْلٌ لُوطِيٌّ مؤقّتٌ. فـمَن قاوَمَها وكَـبَحَ نفسَه عن الفعلِ فلهُ في الجنّة مـا اشتهى، تماماً كما للشابِّ العـفيف الذي صـانَ نفسَه عن الزنا بالفـتاة التي اشتـهى، فله في الجنّة "حورُ عِـيْنٍ"، كلّما فَضَّ بكارَةَ واحـدةٍ عادتْ بِكْراً ولو فضَّـها سبـعينَ مرّة في اللّيلة. فما أحـلى البكارةَ في زمنِ الخلودِ الذي تَسقُطُ فيه الخِـبْرة. كذلك مَن عفَّ نفسَه عن الغلامِ الأمردِ فله في الجنّة "ولدانٌ مخَلّدون"، أي غلامٌ يبقى أمردَ إلى الأبد.. وهل جَزاءُ الإحسانِ إلاّ الإحسان؟!"[٥٤]

ويبـرّرُ الشـيخُ هذه الظاهرة فـيـقـول: "وحُقَّ للدارسـين القـولُ أنّه، منذ الإغريـق، لم يَحدثْ تسـامحٌ وقَبـولٌ إجتـماعيٌّ لهـذه الظاهرة إلاّ في الحـضارة الإسـلاميّة. فالناسكُ يَعشقُ الغلامَ، ويَمرضُ في حـبّه.. فيستجيبُ (الغلامُ) لذلك بروحٍ أكثرَ من متسامحـة. ويزورُ عاشقَه (أي الناسكَ) حتى يُشفى. ثمّ لا يكتفي

---

(٥٢) محمّد جلال كشك، خواطر مسلم في المسألة الجنسيّة، ص ١٣٢.

(٥٣) المرجع نفسه، ص ٢٠١.

(٥٤) المرجع نفسه، ص ١٣٠-١٣١.

بذلك. بل يعرضُ عليه "المعاشرة"(٥٥).

ويخبرنا الشـيخ الجليل عن أحد معلّمي الصبـية في الأندلس "أنّه اشتكى غلامَـه المتمنّعَ إلى قـاضي البلدة، فحكَمَ القـاضي بأنَّ الجَمَالَ هُوَ لِـلاسْتِمْـتَاع. عندَها عانقَ المعلِّمُ فـتاه، بأمر المحكمة، عناقَ اللأم للألف. وبلغَ من اقـتناعِ الغلامِ بقرار المحكمة أنّه طلبَ من اللّه أن يَغفرَ له خطيئةَ التمنّع"(٥٦).

ثمّ يعلّق الشـيخُ كشك على ما جـاء في القرآن عن غلمـان الجنّة، في ثلاث سوَر، هيَ: الطور، والواقعة، والإنسـان؛ وقد أثبتنا نصوصَها سـابقا.

يقول في تعليقه على سورة الواقعة (٥٦/ ١٠-٤٠):

"ولا أظنُّ أنّ أحـداً يسـتطيعُ المجـادلةَ في أنّ "الولدان" هنا هم غلمـان. وأنّهم يعرضـون في مجال التـنعّم والتلذّذ، كجزاء حـسنٍ للمؤمنين. مـثَلُهم مَثَلُ الأباريق والخمـر والفاكهة والطيـر وحور العِين(٥٧). كلّها للمـتعة، بما فيـها من حسن. وإذا كان "الولدان" و "حور العين" هما الكائنان العاقلان؛ وحور العين، ثابتٌ في الأثر وبنصّ القـرآن، أنّهنّ للاستمـتاع الجنسي، (فـالولدان" أيضا هم كـذلك). وكلّ الفرق فـي الآية بينهنّ (أي بين الحـور العين) وبين الولدان، هو أنّ حـور العين "لؤلؤ مكنون" والولدان "لؤلؤ مـنثور". والمفـسّـرون، رضـي اللّه عنهم، قـرّروا أنّ اللؤلؤ المنثور أكـثر جـمالاً من المكنون، وإنْ كـان المكنون أكـثر صيانةً، وأكـثر إثارةً للمخاطر. إلاّ أنّ اللّهَ سـبحانَه وتعالى قـد آثر هؤلاء الغلمان بالجمالَين، المكنون والمنثور معاً.."(٥٨).

ثم يقول الشيخ كشك معلّقاً على سورة الإنسان (٧٦/ ١٢-٢٢):

---

(٥٥) المرجع نفسه، ص ١٨٦.

(٥٦) المرجع نفسه، ص ١٣٣.

(٥٧) هذه أشياء ذكرها القرآن استثارة للمتعة...

(٥٨) المرجع المذكور، ص ٢٠٢.

" قال المفسّرون: مضطجعون على الأسرّة المزيّنة بفاخرِ الثياب والستور. وإنما خصّهم (الله) بهذه الحالة، لأنّها أتمُّ حالاتِ التنعّم. أي غلمان يُنشِئُهمُ الله تعالى لخدمة المؤمنين، "مخلّدون"، أي دائمون على ما هم عليه من الطراوة والبهاء.. أي باقون على ما هم عليه من الشباب والنضارة، والغضاضة والحسن. لا يهرمون، ولا يتغيّرون، ويكونون على سنّ واحدة على مرّ الأزمنة (تفسير القرطبي). إذا نظرتَهم منتشرين في الجنّة لخدمة أهلها، خلتَهم، لحسنِهم وصفاء ألوانهم وإشراقِ وجوههم، كأنّهم اللؤلؤ[٥٩].

ثمّ يعلّق الشيخ على سورة الطور (٥٢/ ٢٠-٢٩) فيقول:

" وإذا كان المفسّرون قد اتّفقوا على دوام صفة الولدنة، أو خلودهم في سنّ الغلمان، فقد استنتجْنا أنّ الحكمةَ في النصّ على الخلود هي تأكيد مصدر النعمة في هؤلاء الغلمان لمن يشتهيهم، ودوامها، بعكس ما في الدنيا من زوال الفتنة بدخول الغلام سنَّ الرجولة.. " وسيكافئ اللّهُ الأبرار ويجازيهم على " ما صبروا " جنّةً وحريراً وولداناً مخلّدين، مع ثيابٍ سندس واستبرق وأساور من فضّة.. تماما كأنّهم " هِبِيِّين أو بّانْك "[٦٠]..

ثمّ يستنتج الشيخ جلال كشك من هذه المعطيات القرآنيّة الحقائق التالية:

١. من الخطأ تقييم الحياة الأخرى بمقاييس هذه الحياة التي نعيشها. ففي الجنّة، أو النار، لا خير ولا شرّ. لأنّ الشرّ والخيرَ هو بما يعود عليك بنتيجة العمل. وهذه غير متاحة في عالم الخلود. فلا شيء يضرّك ولا تستطيع الإضرار بأحد. فكيف يكون الفعلُ شرّيرا!! وبالتالي، فلا خير، وإنّما هناك لذيذ وألذّ.

٢. كلّ المحرّمات في هذه الأرض تسقط في الآخرة. فقد وعَدَنا بالخمر وإن كانتْ أفضل من خمر هذه الأرض. فهي لا تسبّبُ صداعاً ولا عطشاً.. وحور

(٥٩) المرجع المذكور، ص ٢٠٢-٢٠٤.

(٦٠) المرجع نفسه، ص٢٠٥-٢٠٦.

عينٍ بلا عدد. ولا أظنُّ أنّ هـناك سبباً مثل اختـلاط الأنساب أو الأمـراض يبرّرُ تحريمَ التمتّع بهنّ على نحوٍ يختلفُ عمّا في دار الفناء هذه.

٣. ثمّ "لماذا النـصُّ على أنّهم غلمـانٌ وولدانٌ!! وإذا كـانت الغـايةُ هي الخدمـة الحسنة والمنظر الجمـيل.. فلماذا لم يكونوا مـلائكة؟ وهل أجمل أو أبهى من الملائكة؟.. ليس للغلـمان من صـفة يتـميّـزون بهـا على الملائكة في الخدمـة والجمال والتكريم، إلاّ أنّ الملائـكة كائنات غير جنسيّـة.. من هنا نذهب للقول بأنّ لهؤلاء الغلمان مهمّةً خاصّةً استلزمت إنسانيّتَهم.

٤. ثمّ إذا قال رسـولُ اللّه: "مَن سرّه أن يسقـيَه اللّهُ عزّ وجلّ الخـمرَ في الآخرة، فليتركها في الدنيا. ومَن سرّه أن يكسوه اللّهُ الحريرَ في الآخرة، فليتركهُ في الدنيا... فلماذا نضـعُ «فِيْتُوْ» على اشتهاءٍ معيّنٍ، ونقولُ إنّه محظورٌ في الجنّة. واللّهُ يقول: "ولكم فيها ما تشتهي أنفسُكم"(٦١).

٥. ثمّ أيّةُ محـاولةٍ لإنكارِ هؤلاء الغلمان، سـتنتهي بصـاحبـها إلى إنكار الطابع الحسّيّ لجنّتِنا واقتباس التصوّر المسيـحيّ عن جنّة روحيّة لا أجسادَ فيها ولا اشتهاء ولا متع حسّيّة.. غير أنّ جنّتَنا هي "جنّة شهوانيّة حسّيّة، نأكلُ فيها، ونمارسُ الجنسَ، كأنّ هذا عيبٌ لا يليق!! ونحن أمام نصـوص صريحة تؤكّدُ أنّ الجزاء سـيكون بصورة ما من نفس الـعمل. فسنُعَـوَّضُ في الآخرة عمّـا حُرِمْنَا منه، أو ما تعفّفنا عنه، أو ما أحْسَنَّا شكرَ نعمته. ولا مجال لأيّ خجل أو استخزاء من ناحية المطالب الحسّيّة للجسد، كما يفعلُ صرعى الحضارة الغربيّة.

---

(٦١) سورة فصّلت ٤١/٣١. هذا وإنّ أحاديث عديدة تشير إلى أنّ ما حرم الإنسانُ نفسَه منه هنا سيُـعوّض عليه به هناك. فكان رسـول اللّه يمنعُ أهلَه الحليةَ والحـرير، ويقول: "إن كنتم تُحبّـون حليةَ الجنّةِ وحـريرَها، فلا تلبسـوها في الدنيا" (عن النسـائي، والحاكم، وابن حبـان، وابن حنبل. أنظركتاب تحـفة العروس، ص ٢٧٠). وعند ابن قـيّم الجوزيّة أيضا قوله: ألزاني يعرّضُ نفسَه لفوات الاستـمتاع بالحور العين في المساكن الطيّبة في جنّات عدن" (روضة المحبّين، ٣٦١، عن تحفة العروس ص ٣٧٨).

٦. ثمّ أنّ اللّذة الجنسيّة، وهي التي قال ابنُ القيّم أنّها وحدَها التي ستبقى في الآخرة... وكما أنّ المؤمن السويّ يستمتع بأنثى إسمُها حور عِين، فكذلك مَن ابتُليَ بهوى الغلمان في الدنيا، وعفّ، وما تخطّى حدودَ اللّه، يمتّعُه اللّهُ بكائنات مذكّرة إسمها الولدان المخلّدون. أمّا أن يستمتعا روحيّا، أو جسديّا، فهذه مزاجات شخصيّة لا نتدخّلُ فيها.

٧. ثمّ أنّ الذي كبح شهوتَهُ، وصان عفّتَه، وحفظ فرجَه، ألا يستحقُّ الجزاء! وما الجزاء إلاّ أن ينالَ في الجنّة ما اشتهى وأفضل؟!.. فكما أنّ "حور العين" جزاءُ مَن اشتهى الزنا ولم يقربْهُ من خشية اللّه، فكذلك "الولدان" جزاءُ مَن اشتهى وعَفّ... واللّهُ أعلم!... فالعفّةُ مطلوبةٌ وجزاؤها التحرّرُ والقوّةُ في الدنيا.. والجنّةُ ونعيمُها، بحورِها وولدانِها، أو ما شئتَ ممّا لا عينَ رأتْ ولا أذنَ سمعتْ في الآخرة... إن شاء اللّه...[٦٢].

ونختم بكلمة للسيّد ابراهيم محمود، الذي وضع كتابَ "الجنس في القرآن"، وكأنّه يؤكّد لنا ما ورد في القرآن والأحاديث النبويّة وتفاسير الصحابة والمسلمين، فقال: "إنّ القرآن غنيٌّ بالحضور الجنسي... ويصعبُ استيعابُ الإسلام دون تصوّرٍ جسديٍّ له"[٦٣].

وقد يكون عبد الكريم الخطيبي أكثر صراحة من السيد محمود عندما قال: "إنّ القرآن، إذاً، هو الكلامُ الشعائري الفاتحُ للشهيّة. إنَّهُ وَسِيْلَةُ الجمَاع". والسيّد محمود هو الذي دلّنا على قول الخطيبي[٦٤] هذا.

***

(٦٢) المرجع المذكور، ص ٢٠٦-٢١٤.

(٦٣) الجنس في القرآن، ص ١٩.

(٦٤) عبد الكريم الخطيبي، الإسم العربي الجريح، بيروت، دار العودة، ١٩٨٠، ص ١٠١، عن كتاب "الجنس في القرآن"، حاشية ٨١، ص ١٢٦.

وفي كلّ حال، يمكننا اعتبار الكلام عن الجنّة، حيث النساء والغلمان، وما فيها من شهوات وملذّات، من أكل وشرْب وجنس، وما إلى ذلك، كلاماً به نختم هذا البحث الغنيّ. وهل بوسع أحدٍ من البشر العاديّين أن يزيدَ كلاماً على كلام النّبيّين!! أو أن يتصوّر أكثرَ ممّا توحيه الجنّة!! رائعة الإسلام تكمن في مسيرته المتكاملة بين الأرض والسماء. فهو جنّةٌ دنيويّة في السماء الخالدة. وأحسن ما في الدنيا، على ما يُجمع عليه العلماء المسلمون، دعوة اللّه أحبّاءَه بقوله لهم : "وانْكِحُوا ما طابَ لكمْ مِنَ النِّسَاء". وفي الجنّة ما هو "أطيب".

المصادر والمراجع

١. الأبرشي، محمّد عطيّة، مكانة المرأة في الإسلام، دار الشعب، القاهرة، ١٩٧١، ١٢٦ ص.

٢. إبن الأثير، عزّ الدين، (+٦٣٠ هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، الجزء ٦ ألنساء، دار الفكر بيروت، ١٩٧٣، ٤٥٦ ص.

٣. إبن الجوزي، أخبار النساء، هذّبه وحقّقه إيهاب كريم، دار النديم، بيروت، ١٩٩١، ١٨٤ ص.

٤. إبن حبيب، أبو جعفر محمّد، المحبّر، بيروت، الأصفعيّة، ١٣٦١ هـ.

٥. إبن حزم الأندلسي، طوق الحمامة في الإلفة والألّوف، تحقيق إحسان عبّاس، المؤسّسة العربيّة، بيروت، ١٩٩٣، ٣٢٢ ص.

٦. إبن سعد، محمّد، (+٢٣٠ هـ)، الطبقات الكبري، المجلّد ٨ في النساء، دار صادر بيروت، بدون تاريخ، ٥١٧ ص.

٧. إبن الشريف، د.محمود، ألحبّ في القرآن، سلسلة إقرأ، ٤٦٩، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١، ١٤٨ص.

٨. إبن قيّم الجوزيّة، أخبار النساء، شرح وتحقيق د.محمّد قمحية، دار الفكراللّبناني، بيروت، ١٩٩٠، ٢٥٨ ص.

٩. أبو بكر، أسماء، زوجة واحدة! هل تكفي؟!.. تعدّد الزوجات.. محاولة للفهم الصحيح، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٢، ١٥٢ ص.

١٠. الإستانبولي، محمود مهدي، تحفة العروس، أو الزواج الإسلامي السعيد،

مكتبة دار الفكر، عمّان، ط٢، ١٩٨٥، ٥٤٢ ص.

١١. أمين، قاسم، ألمرأة الجديدة، دراسة الدكتورة زينب محمود الخضيري، دار سينا للنشر، القاهرة، ١٩٨٧، ١٤٠ ص.

١٢. الإنطاكي، أحمد أمين، رفع الشقاق في أحكام الطلاق، حلب، ١٩٦٦, ٦٠ ص.

١٣. بحرالعلوم، عزّ الدين، ألزواج في القرآن والسنّة، دارالزهراء، بيروت، ط٣، ١٩٨٦، ٣٤٤ ص.

١٤. برّ، د.فتنَت مسّيكة، حقوق المرأة بين الشرع الإسلامي والشرعة العالميّة لحقوق الإنسان، مؤسّسة المعارف، بيروت، ١٩٩٢، ٢٤٦ ص.

١٥. بنت الشاطئ، د.عائشة عبد الرحمن، تراجم سيّدات بيت النبوّة، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٧٨، ١٠٤٨ ص.

١٦. البهيّ، د. محمّد، رأي الدين بين السائل والمجيب، دار الفكر، ط٢، ١٩٧٢، ٢٢٨ ص.

١٧. تفّاحة، أحمد زكي، ألمرأة والإسلام، دار الكتاب اللّبناني–دار الكتاب المصري، بيروت والقاهرة، ١٩٧٩، ١٩٢ ص.

١٨. حائري، د. شهلا، ألمتعة، ألزواج المؤقّت عند الشيعة، حالة إيران ١٩٧٨–١١٩٨٢، ترجمة فادي حمّود، شركة المطبوعات، بيروت، ط٢، ١٩٩٥، ٣٤٠

١٩. الخولي، البهي، الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة، دار القلم، كويت، ١٩٦٨، ٢٧٦ ص.

٢٠. الخيامي، أمير مهنّا، زوجات النبي وأولاده، سيرة وتاريخ، مؤسّسة عزّ الدين، بيروت، ١٩٩٠، ٤٠٦ ص.

٢١. دروزة، محمّد عزّة، ألقرآن والمرأة، المطبعة العصريّة، صيدا، ١٩٥١، ٦٤ صفحة .

٢٢. الرايس، حياة، جسد المرأة. من سلطة الإنس إلى سلطة الجان، دار سيناء للنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٥، ١٤٢ ص.

٢٣. رضا، السيّد محمّد رشيد، حقوق النساء في الإسلام، نداء للجنس اللطيف، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ط٢، ١٩٨٥، ١٥٢ ص.

٢٤. الرفاعي، محمود أحمد، حُكم القيام والتقبيل في الإسلام، مكتبة الغزالي، دمشق، ١٩٧٠، ١٠٠ ص.

٢٥. رفعت، محمّد، شهيرات النساء العربيّات والمسلمات، مؤسّسة عزّ الدين، بيروت، ١٩٩١، ٢٥٤ ص.

٢٦. سعد الدين، د. ليلى حسن، المرأة في الإسلام، بنتًا، زوجةً، أمًّا، سلسلة الأدب والحياة، مكتبة الرسالة الحديثة، عمّان، ١٩٨٠، ثلاثة أجزاء: ١١٦، ١٠٤، ١٠٤ ص.

٢٧. السعدي، د. نوال، معركة جديدة في قضيّة المرأة، دار سيناء للنشر، القاهرة، ١٩٩٢، ٦٠ ص.

٢٨. السيوفي، عصام، المرأة في الأدب الجاهلي، المرأة في التراث العربي، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩١، ١٥٨ ص.

٢٩. الشعّار، الشيخ مروان محمّد، العلاقات الجنسيّة في الإسلام، دار النفائس، بيروت، ١٩٩٠، ١٥١ ص.

٣٠. الصالح، د. الشيخ صبحي، المرأة في الإسلام، معهد الدراسات النسائيّة في العالم العربي، مكتبة بيروت الجامعيّة، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠، ٥٨ ص.

٣١. صدقي، نعمت، حَرَم الدكتور محمّد رضا، من تربية القرآن، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٠، ٣٠٨ ص.

٣٢. الصرّاف، مهندسة إعتصام أحمد، أختي المسلمة. سبيلك إلى الجنّة، دار

الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٨، ١٦٠ ص.

٣٣. الصيمري، مجيد، ألزواج في الإسلام وانحراف المسلمين عنه، الدار الإسلاميّة، بيروت، ١٩٧٩، ١٧٨ ص.

٣٤. عاصي، محمود، رياض النساء، مجموعة مختارة من أخبار النساء، جمع وإعداد مؤسّسة عزّ الدين، بيروت، ١٩٩١، ٣٠٢ ص.

٣٥. العاملي، الشيخ محمّد الحسن الحرّ، وسائل الشيعة، دار الإسلاميّة طهران.

٣٦. عبد الفتاح، سيّد صادق، غرائب النساء، المركز العربي للثقافة والعلوم، بيروت، ٣٧٦ ص.

٣٧. العثيمَين، محمّد بن صالح، فتاوى ورسائل للنساء، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٨٩، ١٦٠ ص.

٣٨. العسقلاني، إبن حجر، (+٨٥٢هـ)، كتاب الإصابة في تمييز الصحابة، الجزء ٤ كتاب النساء، مطبعة السعادة بمصر، ١٣٢٨ هـ، ٢٢٤-٥٠٨ ص.

٣٩. علي، مولانا محمّد، ألطلاق في الإسلام، ترجمة السيّدة حبيبة يكن، ألمكتبة العصريّة، صيدا، بدون تاريخ، ١٥٦ ص.

٤٠. عيسى، إبراهيم، ألجنس وعلماء الإسلام، مدبولي الصغير، القاهرة، ٩٦٤.

٤١. ألغزالي، أبو حامد، (+١١١١)، إحياء علوم الدين، جزء ٢ و ٣ ، المكتبة التجاريّة الكبرى بمصر، بدون تاريخ.

٤٢. فرّوخ، عمر، الأسرة في الشرع الإسلامي، المكتبة العصريّة، بيروت، ط٢، ١٩٧٤، ١٩٢ ص.

٤٣. فضل الله، السيّدة مريم نور الدين، نساء في القرآن، دار الزهراء، بيروت، ١٩٩٣، ٦١٩ ص.

٤٤. فضل اللّه، السيّدة مريم نور الدين، المرأة في ظلّ الإسلام، دار الزهراء،

بيروت، ط٤، ١٩٨٥، ٣٨٠ ص.

٤٥. فيّاض، نبيل، حوارات في قضايا المرأة والتراث والحرّيّة، دار أسامة، دمشق، ١٩٩٢، ٢٦٨ ص.

٤٦.القرطبي، أبو عمر، (+٤٦٣ هـ)، كتاب الاستيعاب في أسماء الأصحاب، بهامش كتاب الإصابة، المارّ ذكره تحت رقم ٢، الجزء ٤ كتاب النساء، ٢٢٤-٥٠٨ ص.

٤٧. كريم، إيهاب، طرائف النساء من التراث العربي، دار النديم، بيروت، ١٩٩١، ١٦٠ صفحة.

٤٨. كشك، الشيخ محمد جلال، الحرّيّة في الإسرة المسلمة، سلسلة نحو وعي إسلامي ٣٥، المختار الإسلامي، القاهرة، ط٢، ١٩٧٩، ٧٦ ص.

٤٩. كشك، الشيخ محمد جلال، خواطر مسلم في المسألة الجنسيّة، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ط٣، ١٩٩٢، ٢٤٠ ص.

٥٠. مجموعة من المفسّرين: ألبيضاوي (+٦٨٥ هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل،

٥١. ألخازن، (+٧٢٥ هـ)، لباب التأويل في معاني التنزيل،

٥٢. ألنسفي، (+٧٠١هـ)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل،

٥٣. الفيروزابادي، (+٨١٧ هـ)، تنوير المقباس من تفسير ابن عبّاس.

٥٤. المحامي، محمد كامل حسن، المرأة في القرآن الكريم، الموسوعة القرآنيّة، المكتب العالمي للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٢، ١٣٤ ص.

٥٥. محمّد، عبد الغني عبد الرحمن، زوجات النبيّ محمّد وحكمة تعدّدهنّ، دار المسيرة بيروت، ومكتبة مدبولي القاهرة، ١٩٩١، ٧٤ ص. عربي+٧٢ ص. ترجمة إنكليزيّة.

٥٦. محـمود، إبراهيم، ألجنس في القـرآن، رياض نجيب الريّس للكتـب والنشر، لندن، ١٩٩٤، ١٦٢ ص.

٥٧. ألمرنيسي، فـاطمة، ألحريم السـياسي، النبيّ والنساء، ترجـمة المحامي عـبد الهادي عبّاس، دار الحصاد، ١٩٩٠، ٢٤٠ ص.

٥٨. المصري، سناء، خلف الحجاب. موقف الجماعات الإسلاميّة من قضيّة المرأة، دار سيناء للنشر، القاهرة، ١٩٨٩، ١٢٠ ص.

٥٩. منصور، الإستاذ الدكتور إسماعـيل، تذكير الأصحاب بتحريم النقاب. وفق القـواعد المسـتـمدّة من علمَي الأصـول والحـديث، مطبعـة النسـر الذهبي، القاهرة، ١٩٩٠، ٢٣٤ ص.

٦٠. ألمودودي، أبو الأعلى، ألحجاب، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١، ٣٤٤

٦١. اليعمـري، أبن سيّد الناس أبو الفتح، عيون الأثر في فنون المغـازي والسير، بيروت، ١٩٧٤.

٦٢. ...(لا كاتب)، ألمتعة ومشروعيّتها في الإسلام، دار الزهراء، سلسلة مشكلتنا ١، بيروت، ١٩٨٢، ٢٤٤ ص.

٦٣. Bousque, G:-H:, L'éthique sexuelle de l'Islam; Ed Maisonneuve et Larose; Collection Islam d'Hier et d'Aujourd'hui, XIV; Paris; 1966; 220 pp.

٦٤. Brooks, Géraldie, Les Femmes dans l'Islam; Un monde caché; traduit de l'anglais par Jacqueline Lahana; éd; Belfond; Paris 1995; 326 pp.

٦٥. Morsy Magali, Les Femmes du Prophète; Ed; Mercure de France; Paris 1989; 178 pp.

فهرس النساء

